

23/5/14

~~NOA~~
~~N/SIA~~

مَجَانِي الْأَدَبِ

في
حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع
أحد الآباء اليسوعيين
مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثاني



طبع راعة

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٦

بمخسة مارف ولاية يروساليمية ١٩٢٣

2767

٢٥٠٩
١٠١٥

١١٨٨
١١٨٨

PRINTED

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّوَكُّلِ

فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِحُكْمِهِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ وَلَا آخِرَ لَبَدِّتِهِ . قِيَوْمٌ لَا
يُفْنِيهِ الْأَبَدُ . وَلَا يُغَيِّرُهُ الْأَمَدُ . بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ . مُنَزَّهُ عَنِ الْجَسَمِيَّةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ .
قَوِيَّتُهُ لَا تَرِيدُهُ بَعْدًا عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبِيدِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَهُوَ مَعَكُمْ أَنْيَا كُنْتُمْ . لَا يُشَابِهُ
قُرْبَهُ قُرْبُ الْأَجْسَامِ . كَمَا لَا يُشَابِهُ ذَاتُهُ ذَوَاتُ الْأَجْرَامِ . مُنَزَّهُ عَنْ
أَنْ يَحْدَهُ زَمَانٌ . مُقَدَّسٌ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مَكَانٌ . رَزَاهُ أَبْصَارُ الْأَبْرَارِ .
فِي دَارِ الْقَرَارِ . عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ . حَيٌّ قَادِرٌ . جَبَّارٌ
قَاهِرٌ . لَا يَبْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ الْمُلْكُ
وَالْمَلَكُوتُ . وَالْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ . خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَجَالَهُمْ .
لَا تَحْصِي قُدُورَاتُهُ . وَلَا تَنْتَاهِي مَعْلُومَاتُهُ . عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ . لَا
يَنْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءَاتِ . يَعْلَمُ السِّرَّ
وَالْخَفِيَّ وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ . وَخَفَايَا السَّرَائِرِ . مُرِيدٌ
لِلْكَاتِبَاتِ . مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ . لَا يَجْزِي فِي مُلْكِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . جَلِيلٌ
وَلَا حَفِيرٌ . نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ

يَسْأَلُ لَمْ يَكُنْ . هُوَ الْمُبْدِي الْمَعِيدُ . الْفَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ . لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ .
وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ . وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ .
وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ . إِلَّا بِمُجِيبَتِهِ وَإِرَادَتِهِ . سَمِعُ بِصِيرٍ مُتَكَلِّمٍ بِكَلَامٍ
لَا يُشَبِّهُ كَلَامَ خَلْقِهِ . وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُجْنَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ
بِمُدْرِيَتِهِ . وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسَكُونٍ إِلَّا وَلَهُ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ . قَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

فَمَا عَجَبًا كَيْفَ يَنْصِي الْأِلَهَ أَمْ كَيْفَ يُجَدُّهُ الْجَلَّادُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ مَا رَزَقَنِي إِلَيْهِ بِهِمْ مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءٍ
فَالَّذِي أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى مِنْهُ سُجْنَانُ مُبْدِعِ الْأَشْيَاءِ
(مستقطف الابشيهي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمَ أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَابٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا
يَنْزِلُ وَلَا يَحُلُّ فِي قَابٍ . وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْكَثَمِ . وَعَنْ
لَمَّا ذَا وَلَمْ . وَأَنَّهُ لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ . وَكُلَّمَا يَخْطُرُ فِي أَلْوَهُمْ وَالْخَيَالِ
وَالْهَكْمِ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّثْبِيلِ . فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ . لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ
صِفَاتِ الْخُلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

فِي مَكَانٍ وَلَا عَلَى مَكَانٍ . فَإِنَّ الْمَكَانَ لَا يَنْحَصِرُهُ وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ
فَإِنَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَإِنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ
كَانَ مُنْزَهَا عَنِ الْمَكَانِ . وَلَيْسَ الْعَرْشُ بِحَامِلٍ لَهُ بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ
يَحْمِلُهُمْ لُطْفُهُ وَقُدْرَتُهُ . وَأَنَّهُ تَقَدَّسَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ قَبْلَ
خَلْقِهِ الْعَالَمِ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي
الْأَزَلِ . وَلَا سَبِيلَ لِلتَّغْيِيرِ وَالْإِنْقِلَابِ إِلَى صِفَاتِهِ . وَهُوَ سُجَّانُهُ
مُقَدَّسٌ عَنِ صِفَاتِ الْخُلُوقِينَ مُنْزَعٌ . وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مَرْنِيٌّ كَمَا نَعْلَمُهُ
فِي الدُّنْيَا بِلَا مِثْلٍ وَلَا شَيْءٍ . كَذَلِكَ رَأَاهُ فِي الْآخِرَةِ بِلَا مِثْلٍ وَلَا شَيْءٍ .
لِأَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا لَا تُشَابِهُ رُؤْيَا الدُّنْيَا . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخالق

٣ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

كَيْفِيَّةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةِ الْجَبَّارِ بِالْقَدَمِ
هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ مُبْتَدِعًا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ النَّسَمِ
قَالَ آخَرُ :

تَبَارَكَ اللَّهُ فِي عِلَاءِ عِزَّتِهِ فَكَلَّ كُلَّ لِسَانٍ عَنْ تَعَالِيهِ
لَا كَوْنُ يَنْحَصِرُهُ لَا عَيْنَ تَنْظُرُهُ لَا كَشْفَ يُظَاهِرُهُ لَا جَهْرَ يُبْدِيهِ
حَارَتْ جَمِيعُ الْوُرَى فِي كُنْهِ قُدْرَتِهِ فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
سُجَّانُهُ وَتَعَالَى فِي جَلَالَتِهِ وَجَلَّ عِزًّا وَلُطْفًا فِي تَسَامِيهِ

٤ قَالَ حَكِيمٌ : أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتُ دَالَاتٌ .
وَشَوَاهِدُ قَائِمَاتٌ . كُلُّ يُوَدِّي عَنْهُ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ . وَقَالَ
آخَرُ : سَلِ الْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكَ . وَشَقَّ أَنْهَارَكَ . وَجَنَى
بِمَارِكَ . فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ إِخْبَارًا . أَجَابَكَ أَعْتَابًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
لَقَدْ جِئْتُ أَنْبِيئِي لِنَفْسِي مُجِيرًا فَجِئْتُ الْجِبَالَ وَجِئْتُ النُّجُورَا
فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيءُ ضَرِيءَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ الْمُفَضِّلُ بْنُ عِيَاذٍ رَجُلًا يَشْكُو بِلَاءَ تَزَلُّ بِهِ فَقَالَ : يَا هَذَا
أَتَشْكُو مِنْ يَدِّكَ إِلَى مَنْ لَا يَدَّ لَكَ (المقدّم الفريد لابن عبد ربه)
آيَاتٌ عَنْ قَمَرِ الرَّحْمَنِ :

فَكَمْ لَيْتَ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي وَرَاعَيْتُ الْوَدَادَ وَمَا رَعَانِي
أَنَا الْمُرْخِي السُّورَ عَلَى الْعَاصِي عَلَى الْعَبْدِ الْجُسُورَ إِذَا عَصَانِي
وَأَصْفَحُ لِلْأَنْبِيَاءِ إِذَا أَتَانِي وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
وَأَنْ تَادَانِي الْخَاطِي بِصِدْقِي وَإِخْلَاصِي حَوَى كُلُّ الْمَآنِي
فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ بِكَالٍ عِزًّا وَيَخْطِي بِالسَّرَّةِ وَالْأَمَانِي
(فِي الْخَبِيرِ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوَاطِلَ يَسُوقُ
بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ . (وَفِي الْخَبِيرِ أَيْضًا) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا خَلَقْتُ
الْخَلْقَ لِيَرْجُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْجَحَ عَلَيْهِمْ
(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

محبة الخالق

كُلُّ فِعْلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ بِرٌّ . وَلَا يَنْخُصُّ الْقُرْبُ
إِلَّا بِالتَّوْبَةِ عَنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُجِبَ عَنِ اللَّهِ
نَعَالَى وَأَشْرَكَ بِرُكَاخِيَا لِعَلَّاقِي مَحَبَّتِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (للقاشاني)
دَخَلَ هَارُونَ عَلَى بَعْضِ النُّسَاكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ
أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَحِبُّ اللَّهَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
كَذَبْتَ وَاللَّهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوْ أَحْبَبْتَهُ لَمَا عَصَيْتَهُ . ثُمَّ أُنْشِدَ
يَقُولُ :

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْأَعْمَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ نِعْمَةٌ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ
(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ الدِّينِ الْمُقَلِّسِيُّ :

فَإِجْعَلْ عَلَى قَلْبِكَ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ لِحَسَنِ سِوَاهُ
أَتَجْمَلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدَّعِي
سِوَاهُ وَمَا فِي الْكَوْنِ يُشَقُّ إِلَّا هُوَ
فَإِنْ كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي الْحَسَنِ وَاحِدًا
فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٧ مِنْ كَلَامِ ابْنِ زُهْرَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُحِبًّا لِخَالِقِهِ
 حَتَّى يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي مَرْضَاتِهِ سِرًّا وَاعْلَانِيَةً . فَيَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ
 لَا يُرِيدُ إِلَّاهُ . وَسُئِلَ مَا عِلَامَةُ الْعَارِفِ فَقَالَ : عَدَمُ الْفُتُورِ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَعَدَمُ الْمَلَالِ مِنْ حَبِّهِ وَعَدَمُ الْأَنْسِ بِفَيْرِهِ . وَقَالَ : لَيْسَ الْعَجَبُ
 مِنْ حُبِّي لَكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ . وَلَكِنْ الْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ
 مَلِكٌ قَدِيرٌ
 (لِهَا : الدِّينِ الْعَامِلِي)

حمد الله

٨ قَالَ بَعْضُهُمْ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقْدِرُ اللَّهُ لَا قَدْرَ وَسِعَ الْعَبْدُ ذِي التَّنَاهِي
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلًا
 أَزِيدُكَ تَقْصِيرًا تَرِدُنِي تَفْضُلًا كَأَنِّي بِالتَّصْغِيرِ أَسْتَوْجِبُ التَّفْضُلَ
 وَلَهُ أَيْضًا :

أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ أَشْكُرُ
 فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُدْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرٌ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنْ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ إِلَاهَهُ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَبْدُ إِلَاهُهُ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
 فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَالِبِهِمْ لَهْجًا تَضْغِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ

وَمَا أوردَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ النَّيْمِيِّ قَوْلُهُ :
 لَا تَخْضَعَنَّ لِتَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالْذِّينِ
 وَأَرْعَبٌ إِلَى اللَّهِ بِمَا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
 أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ مِنْ الْخَلَائِقِ مُسْكِينِ ابْنِ مُسْكِينِ
 (الاعلاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لما حَضَرَ يَشَرَ بْنَ النَّصُورِ الْمَوْتَ فَرَحَ قَبِيلُ لَهُ : أَتَفْرَحُ بِالْمَوْتِ
 فَقَالَ : أَتَجْمَعُونَ قُدُومِي عَلَى خَالِقِ أَرْجُوهُ كَمَا يَمِي مَعَ خَلْقٍ أَخَافُهُ
 قَالَ الشَّيْخُ شِهَابٌ :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَمَا خَابَ حَاشَا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكُّلٌ
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِهِ تَفَرُّ بِالَّذِي تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلاً
 وَلِلَّهِ الشَّافِعِيُّ حَيْثُ يُؤَلُّ :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي بِمَحْوِ عَفْوِكَ سُلْماً
 تَمَاطَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِمَقْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَ
 قِيلَ لِأَعْرَابِي وَقَدْ مَرَضَ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِذَا مِتُّ قَالِي
 أَيْنَ يَذْهَبُ بِي . قَالُوا : إِلَى اللَّهِ . قَالَ : فَمَا كَرِهْتِي أَنْ يَذْهَبَ بِي
 إِلَى مَنْ لَمْ أَرِ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

اللهم الى الله

١٠ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ عَمَلَ الْخَائِفِينَ وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ حَتَّى أَتَمَّ بِرِّكَ الْنَّعِيمِ .
 طَمَعًا فِيهَا وَعَدْتُ وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتُ . اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ
 وَأَجِرْنِي مِنْ نَقَمَاتِكَ . سَبَقَتْ لِي ذُنُوبٌ وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ
 إِلَيْكَ بَلْ أَوْسَلْ وَأَفِرْ مِنْكَ إِلَيْكَ

العفو من الله

١١ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرُّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
 قَالِي حِيلَةً إِلَّا رَجَائِي بِعَفْوِكَ إِنَّ عَفْوَتَكَ وَحُسْنَ ظَنِّي
 فَكَمُ مِنْ رَذَلٍ لِي فِي الْخَطَايَا عَضِضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
 يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ الْخَائِفِينَ إِنْ لَمْ تَغْفُ عَنِّي
 (دُعَاءُ) اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجَى مِنْ عَمَلِي وَإِنْ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ
 مِنْ ذَنْبِي . اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أُلْبِغَ رَحْمَتَكَ وَرَحْمَتَكَ أَهْلُ
 أَنْ تَبْلَغَنِي لِأَنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

١٢ (دُعَاءُ آخَرُ) . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَتَمِّكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ
 الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَعَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ
 لَفُتِحَ بِالرَّحْمَةِ أَنْفَقَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَاقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ
 لَفُتِحَ أَنْفَرَجَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْعَسْرِ لِلْيَسْرِ يَسَّرَتْ . وَإِذَا
 دُعِيَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلشُّورِ انْشَرَّتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى كَشْفِ
 الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ انْكَشَفَتْ . وَبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الْكَرَمِ الْوُجُوهِ .

وَأَعَزَّ الْوُجُوهُ . الَّذِي عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ . وَخَصَصَتْ لَهُ الرِّقَابُ . وَخَلَقْتَ
 لَهُ الْأَصْوَاتَ . وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ . مِنْ مَخَافَتِكَ . وَبِقُوَّتِكَ الْيَسِيرَةِ
 تُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِكَ . وَتُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتِي دَانَ لَهَا الْعَالَمُونَ . وَبِكَلِمَتِكَ
 الَّتِي خُلِقَتْ بِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . وَبِحِكْمَتِكَ الَّتِي صَنَعْتَ بِهَا
 الْحِجَابَ . وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَهَا لَيْلًا . وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَنًا .
 وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهَارًا . وَجَعَلْتَ النَّهَارَ نُشُورًا مُبْصِرًا . وَخَلَقْتَ
 بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِيَاءً . وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ
 نُورًا . وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَوَاكِبَ وَجَعَلْتَهَا نُجُومًا وَرُجُومًا وَمَصَابِيحَ وَزِينَةً
 وَرُجُومًا . وَجَعَلْتَ لَهَا مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ . وَجَعَلْتَ لَهَا مَطَالِغَ وَمَجَارِي .
 وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكًا وَمَسَابِجَ وَقَدَّرْتَهَا فِي السَّمَاءِ مَنَازِلَ . فَأَحْسَنْتَ
 تَقْدِيرَهَا . وَصَوَّرْتَهَا فَأَحْسَنْتَ تَصْوِيرَهَا . وَأَخْصَيْتَهَا بِأَسْمَائِكَ إِحْصَاءً .
 وَدَبَّرْتَهَا بِحِكْمَتِكَ تَدْبِيرًا . فَأَحْسَنْتَ تَدْبِيرَهَا . وَتَخَرَّجْتَ بِهَا سُلْطَانَ
 اللَّيْلِ وَسُلْطَانَ النَّهَارِ وَالسَّاعَاتِ وَعَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ . وَجَعَلْتَ
 رُؤْيَيْهَا لِجَمِيعِ النَّاسِ مَرَأًى وَاحِدًا

(لبهاء الدين)

اغراء بآثار الدين

١٣ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِضٌ قَدْ هَلَكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ
 وَالْآخِرُونَ . فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْمَلَ سَفِينَتِكَ تَقْوَى اللَّهِ وَعُدَّتَكَ

أَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَزَادَكَ الْأَعْمَلُ الصَّالِحَ فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ
هَلَكَتَ فَبِذُنُوبِكَ (لأن عبد ربه)

أَرَى رِجَالًا يَأْذَنُ الدِّينَ قَدْ قَعُوا
وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ

فَاسْتَفْنِ بِالْدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا
اسْتَفْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

مِنَ الدِّيَارِ الْمُنُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :
أَبْنِي إِنْ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيمَةٌ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ
فَطِنُ كُلِّ رَزِيَّةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرْ
قَالَ الرَّافِعِيُّ :

أَقِمَا عَلَى بَابِ الرَّحِيمِ أَقِيمَا
وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِهِ قَتِيمَا

هُوَ الْبَابُ مَنْ يَفْرَغُ عَلَى الصَّدَقِ بَابَهُ
يَجِدُهُ رَوْوَقًا بِالْعِبَادِ رَحِيمًا
(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو الْمَهْدِيَةِ :

حَتَّى مَتَى ذُو آتِيهِ فِي تَيْبِهِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَعَاقَاهُ
بَيْتُهُ أَهْلُ آتِيهِ مِنْ جَاهِلِيٍّ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَأْهَوَا
مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لَيْتِي بِهِ فَإِنَّ عِزَّ الْمَرْءِ تَقْوَاهُ

ذكر فروع شجرة الإيمان أي الأعمال

١٤ الْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ فُرُوعُ الْإِيمَانِ هِيَ تَحِبُّ الْحَرَامِ وَأَدَاءُ الْقَرَائِضِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْعَقَّةِ عَنِ الْحَرَامِ . وَالْآخَرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ وَهِيَ الْعَدْلُ فِي الرِّعْيَةِ وَالْكَفُّ عَنِ الظُّلْمِ . وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةٍ أَمْرٍ وَالْإِزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ مَا يَخْتَارُ أَنْ يَتَّعِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ مَا تَزِيدُ أَنْ يَفْعَلَ مَعَكَ مِنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ غَيْرُكَ السُّلْطَانُ وَكُنْتَ مِنْ رِعْيَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَظَالِمِ الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَجَاوِزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا مَلَكَ عَمِلَ بِالْعَدْلِ فِي رِعْيَتِهِ (للنزالي)

قَالَ الْمَعْرِيُّ : حَبِيبٌ مَرْبِيبٌ
لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ ٢
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَافُهُ لَكَانَ كَالْمُعْدُومِ فِي وَجْدِهِ ٣
وَتَجَدُّهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَلْبِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ ٤

١٥ كَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ يَقُولُ : يَا زَيْدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبِّكَ إِذَا مَتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَدِّ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا

نَدِمْتَ عَلَى التَّقْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَدْرِ

يَمَا يُنْسَبُ لِحَضْرَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ : رحمه الله

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا طَلَعُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْآفَتَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنَا

لَرَجَّوْا : جَعَلُوها حِلَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفَنَا

مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَكْبَادِ : لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَيْسَ الْجَدِيدُ . إِنَّمَا

الْعِيدُ لِمَنْ آمَنَ الْوَعِيدُ . سُلِّ بَعْضُ الرُّهْبَانِ مَتَى عِيدُكُمْ . فَقَالَ : يَوْمَ

لَا نَحْيِي اللَّهَ سُجَّانَهُ وَتَمَالَى قَدْ ذَلِكَ عِيدُنَا . لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَيْسَ

الْمَلَأْسُ الْفَاحِشَةُ . إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ آمَنَ عَذَابُ الْآخِرَةِ . لَيْسَ الْعِيدُ

لِمَنْ لَيْسَ الرَّقِيقُ . إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

١٦ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ

وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ يُخَصِّي عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثٌ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

إِحْزَنْ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنُ وَلَا تُسِيْءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ

وَأَضْعِفْ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعِي ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمْكِنُ

الطَّالِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ . وَانْتَهَى بِوُضُوئِهِ إِلَى ذَلِكَ

لذات الجنة

٢٠ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذُنَ سَمِعَتْ
وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ (لبهاء الدين)

قَالَ بَعْضُهُمْ : ^{سَمِعَ بَابُ} هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجَنَانِ الْخُلُودُ
أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْحَمَى
أَفِضُوا قَانِسًا مِنَ الْمَاءِ قِيضًا فَتَحْنُ عِطَاشًا وَأَنْتُمْ وَرُودُ
مِيضًا

أَنْتَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

حدّ الزهد

٢١ قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا الزُّهْدُ . قَالَ : أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَشْمِثُ اللَّمَّةُ وَلَا
قَشَفَ اللَّيْثَةِ . وَلَكِنَّهُ صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَقِيلَ لِأَخْرَ : مَا
الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ : أَنْ لَا يَنْبَغَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ . وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَكَ .
وَقِيلَ لِحَمْدِ بْنِ وَاسِعٍ : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَا يُبَالِي
بِمَيْدٍ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا . وَقِيلَ لِلْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي
الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمُنْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ

(لابن عبد ربه)

ذلة الدنيا

٢٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ كُلَّمَا أَرْدَادَ صَاحِبُهُ شَرِبًا أَرْدَادَ عَطْشًا . وَكَالْكَلَسِ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ السَّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الدُّعَافُ ^{لَا} وَكَالْحَلَامِ النَّائِمِ الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرْحُ . وَكَالْبَرْقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي الظُّلَامِ مُقِيمًا . وَكَدَوْدَةَ الْإِبْرِيْسِمِ الَّتِي لَا تَزْدَادُ إِلَّا يَرِيْسِمُ عَلَى نَفْسِهَا لَهَا إِلَّا أَرْدَادَتْ مِنْ الْخُرُوجِ بَعْدًا وَفِيهِ قِيلَ :

كَدُودُ كَدُودِ الْفَرِّ يَسْجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ عَمَّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

الرَّاهِبُ وَالْمَسَافِرُ

٢٣ قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنِيَّةَ : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَعِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْفِكْرِ لَا يَفْتُرُ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّامِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ . حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ . فَاحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَارْتَعِبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ . وَتَضَرَّعَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ . قَالَ : كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمَالِحِ يَنْرُ وَلَا يُزْوِي . وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالْبَرْقِ الْخَلْبِ يَنْرُ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالسَّحَابِ الصَّيْفِ يَمُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِظِلِّ الْعَنَامِ يَنْرُ وَيُخَذَّلُ .

وَبَزَّهَرِ الرَّيِّعِ يَنْضُرُ. ثُمَّ يَصْفَرُ قَرَاهُ هَشِيماً. وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ يَرَى
السُّرُودَ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحَسْرَةُ. وَبِالْعَسَلِ
الْمُسُوبِ بِالسَّمِ الزَّعَافِ يَغْرُ وَيَقْتُلُ

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ إِذَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَةِ
لَيْنٌ لَمْسُهَا وَيَقْتُلُ نَشْمًا. فَأَعْرِضْ عَنْهَا وَعَمَّا يُغْجِبُكَ مِنْهَا لَعَلَّ مَا يَصْحَبُكَ
مِنْهَا. وَدَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ فِرَاقِهَا. وَكُنْ أَسْرًا مَا تَكُونُ فِيهَا
أَحْذَرُ مَا تَكْرَهُ مِنْهَا. فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصٍ
مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ. وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَدَى
وَدَارُ الْغُرُورِ وَدَارُ الْغَيْرِ
قَالُوا فَلْتَهَا بِحَذَائِرِهَا لَمْ تَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطْرَ
أَيَا مَنْ يُؤْمِلُ طُولَ الْحَيَاةِ وَطُولُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرٌ
إِذَا مَا كَبُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ
مِنَ الدِّيَّانِ الْمُسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ قَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمٍ
فَكُنْ مُوسِرًا شَيْتَ أَوْ مُعْسِرًا قَمَا تَقْطَعُ الدَّهْرَ إِلَّا بِهَمٍ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَفْصُهُ تَوَقَّعَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ

٢٥ قَالَ حَكِيمٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : تُرِيدُ أَنْ أُرِيكَ الدُّنْيَا. فَقَالَ : نَعَمْ.
فَأَخَذَ يَدَيْهِ وَأَنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مِزْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ الْأَدَمِيِّينَ
مُلَقَّاةٌ. وَبَقَايَا عِظَامِ نَجْرَةٍ وَخِرْقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّتْ بِنَجَاسَاتٍ. فَقَالَ :

هَذِهِ رُؤُوسُ النَّاسِ الَّتِي رَأَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ تَمْلُؤُهُ مِنْ
 الْحَرِصِ وَالْأَجْنَهَادِ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا. وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ
 مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجِدُونَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَعِمَارَةِ الدُّنْيَا كَمَا تَجِدُونَ.
 فَالْيَوْمَ قَوَتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَأَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى. وَهَذِهِ الْحَرْقُ
 كَانَتْ أَوَّلُهُمْ الَّتِي كَانُوا يَتَرْتُونَ بِهَا عِنْدَ التَّجْمُلِ وَقْتَ الرُّعُونَةِ
 وَالتَّجْمُلِ وَالتَّرْتِنِ. فَالْيَوْمَ قَدْ أَقْتَهَا الرِّيحُ فِي التَّجَسَّاتِ. وَهَذِهِ
 عِظَامُ دَوَائِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ عَلَى ظُورِهَا. وَهَذِهِ
 التَّجَسَّاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمُ اللَّذِيذَةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا
 يَقْرُبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا. فَهَذِهِ جَمَلَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا كَمَا تُشَاهَدُ وَتَرَى.
 فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكْ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ الْبُكَاءِ. قَالَ فَبَكَى
 جَمَاعَةُ الْحَاضِرِينَ

وَلِلَّهِ الْحَزِينِ حَيْثُ قَالَ :

يَا طَائِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنَّهَا شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
 دَارٌ مَتَى مَا أَصْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتَ غَدًا تَبَّالُهَا مِنْ دَارِ
 غَارَتِهَا لَا تُقْضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى بِجَلَالِ الْأَخْطَارِ
 فَاقْطَعْ عِلَاقَ حُبِّهَا وَطِلَافِهَا تَلَقَّ الْهَدَى وَرَقَاهَا الْأَسْرَادِ
 ٢٦ مِثْلُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَاشْتَغَالِهِمْ وَاهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسَانِ الْآخِرَةِ
 وَإِهْمَالِهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي الْبَحْرِ فَمَدُّوا إِلَى حَبِيزَةٍ لِأَجْلِ
 قَضَاءِ الْحَاجَةِ. فَتَزَلُّوا إِلَى الْحَبِيزَةِ وَالْمَلَّاحُ يُنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا الْمَكْثَ

لَيْلًا يَفُوتَ الْوَقْتُ وَلَا تَشْتَمِلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الزَّكَبَ سَاوٍ .
 نَضُوا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِي نَوَاحِيهَا فَالْمَقَالِمُ مِنْهُمْ لَمْ يَسْكُنُوا
 وَعَادُوا إِلَى الزَّكَبِ . فَوَجَدُوا الْأَمَاكِينَ خَالِيَةً فَجَاسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِينِهِ
 وَأَوْقَعِيهَا . وَأَطِيبَ مَوَاضِعِهِ وَأَرْقَعِيهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ
 الْجَزِيرَةِ . وَوَقَّفُوا يَتَزَهُونَ فِي زَهْرِيهَا وَأَثْمَارِهَا . وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا .
 وَيَسْمَعُونَ تَرْتُّمَ أَطْيَارِهَا . وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصَابِهَا الْمَلُونَةِ وَأَشْجَارِهَا . فَلَمَّا
 مَادُوا إِلَى الزَّكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأَوُا مَأْسَمًا . فَعَمِدُوا فِي
 أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ .
 تَزَهُوْا وَفِي الرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . حَتَّى سَارَ الزَّكَبُ قَبْعِدًا وَعَنَهُ
 وَأَنْقَطَعُوا فِي أَمَاكِينِهِمْ وَتَخَلَّفُوا . إِذْ لَمْ يُضْعُوا إِلَى الْمُنَادِي وَلَمْ يَسْمَعُوا .
 فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ . وَنَهَشَتْهُ الضَّبَاعُ .
 فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ . وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ
 الْهَالِكُونَ . هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَنَسُوا الْآخِرَةَ وَسَلَمُوا كَلِيَّتَهُمْ إِلَى
 الدُّنْيَا وَرَكَبُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ
 الْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمُ الْعَصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُوا
 يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا . فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِنِهَاةِ وَنِعْمَتِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ قَهْرِهِ
 وَحَاجَتِهِ . إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ . وَكَثُرَتْ أَوْسَاحُهُمْ وَأَصَادُهُمْ

(للغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَكُونُ

حَوْلَهُ فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا
جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَنْفِرِ اللَّهُ لَهُ
قَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

أَيَّامُنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَفْنَى الْعُمُرِ فِي قِلٍّ وَقَالَ
وَأَتَبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفَنِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ غَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إِنْ عَلِمَ أَنَّ الدُّنْيَا مَنَزِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ وَالْإِنْسَانُ فِيهَا عَلَى
صُورَةِ مُسَافِرٍ . فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ . وَإِنَّمَا
وَطْنُهُ وَقَرَارُهُ وَمُكْنَتُهُ وَأَسْتَقْرَارُهُ بَعْدَهَا . فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنْ عُمرِ
الْإِنْسَانِ كَأَمْرِ حَلَةٍ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقُضِي مِنْهُ كَأَسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي
سَفَرِهِ . وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكْفَرِيَّةٌ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكْفَرٌ مَخْرُجٌ
يَقْطَعُهُ . وَكُلُّ نَفْسٍ فَكَخُطْوَةٍ يَخْطُوهَا . وَيَقْدِرُ كُلُّ نَفْسٍ أَنْ يَنْقُضَ
يَقْرُبَ مِنَ الْآخِرَةِ . وَهَذِهِ الدُّنْيَا قُطْرَةٌ مِنْ عِبَرِ الْقُنْطَرَةِ وَاسْتَقْلَ
بِعِمَارَتِهَا فَنِي فِيهَا زَمَانُهُ . وَأَنْسَى الْمَنَزِلَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ .
وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ . وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَسْتَعِشُّ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا
بِإِعْدَادِ زَادِهِ لِعَلَاذِهِ . وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . وَهَمَّا جَمَعَهُ مِنْهَا
فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا قَاتِلًا . وَنَمْنَى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَرَائِثِهِ وَسَائِرُ

ذَخَائِرِهِ قَانِيَةً رَمَادًا وَزُبَابًا لَا فِضَّةَ وَذَهَبًا . وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا
 يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا يَبُودُهُ . وَجَمِيعُ مَا يُخْلَقُ يُكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً
 وَيَصُغَبُ عَلَيْهِ زُرْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَحَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ . إِنْ
 كَانَ قَدْ جَمَعَ أَلْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طَلِبَ مِنْهُ الْحِسَابُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ
 مِنْ حَرَامٍ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ
 الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ
 وَأَكْثَرُهَا مُنْقَضٌ بِالتَّعَبِ . وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ . وَبَسِيطٌ بِتَقَوُّتِ رَاحَةِ
 الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا
 نِهَآيَةَ لَهُ . فَسَهِّلْ عَلَى الْعَافِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ لِنَيْلِ
 رَاحَةٍ دَائِمَةٍ بِلَا انْقِضَاءٍ . الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ وَلَا
 نِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَلَا يَذْرُكُ أَلْوَهُمُ طُولُهَا (لَاغزالي)
 ٢٩ لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بَنِي دِي النَّوْنِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قَصْرَهُ
 وَأَنْفَقَ فِي بَنَائِهِ يَوْمَ أَمْوَالِهِ فَجَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ .
 وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةً مَاءٌ كَانَتْهَا بِحِيرَةٌ . وَبَنَى فِي وَسَطِهَا
 قُبَّةً وَسَبَقَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَدْيِيرِ
 قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوْلَيْهَا مُحِيطًا
 بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتِ الْقُبَّةُ فِي غَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا
 يَفْتَرُ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا . فَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا
 يُنْشِدُ هَذِهِ الْآيَاتَ :

أَتَبْنِي نِسَاءَ الْحَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كَهَابُهُ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَمْتَضِيهِ رَجُلٌ
فَلَمْ يَلَيْثَ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (الطَرطُوشِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

نَمَضِي كَمَا مَضَتْ أَقْبَابُ قَبْلَانَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ الدَّاعِي
تَبَقَى النُّجُومُ دَوَائِرَ أَفْلَاكِهَا وَالْأَرْضُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ نَاعٍ
وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا تَجُورُ خِدَاعُهَا أَبَدًا عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

خطبة ابي الدرداء في اهل الشام

٣٠ لَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخِي
لَكُمْ نَاصِحٍ . فَاجْتَمِعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ .
وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ . وَتَقُولُونَ مَا لَا تَذَرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا
قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا . وَأَمَلُوا بَعِيدًا . وَجَمَعُوا كَثِيرًا . فَأَصْبَحَ أَمْلَهُمْ
غُرُورًا . وَجَمَعَهُمْ بُورًا . وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا

وَرَوَى الْجَاهِظُ قَالَ : وَجَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : ابْنُ آدَمَ . لَوْ رَأَيْتَ
يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ . لَزَهَدْتَ فِي طَوْلِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ .
وَلَرَغَبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ . وَلَقَصَرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَمَيْلِكَ .
وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدَمُكَ . وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ . وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ
وَحَشَمُكَ . وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ . وَأَنْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ . فَلَا أَنْتَ
فِي عَمَلِكَ زَانِدٌ . وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ (الطَرطُوشِي)

قَالَ فخرُ الدِّينِ الْبَكْرِيُّ :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْقَوْلِ عِوَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَامِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ قَبَادُوا جَمِيعًا مُسرِعِينَ وَزَالُوا
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لِكُلِّ أَجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فِرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ انْهَرَاقِ قَلِيلُ
أَرَى عِلْلَ الدُّنْيَا عَلَى كَمِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ أَفْتَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلُ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ تَارِكِي أَرْخَنِي فَقَدْ أَفْتَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ
رَأَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَحَبَّهُمْ كَأَنَّكَ تَتَحَوَّنُ نَحْوَهُمْ بِدَلِيلِ
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي ضَبَّةَ :

قَوْلُ وَقَدْ قَاضَتْ دُمُوعِي حَرَّةَ أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءَ تَذْهَبُ

خِلَائِي لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ

(الطرطوشي)

٣١ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ . وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ . يُقَالُ كَانَ عَلَى قَبْرِ

يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ مَكْتُوبٌ . هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَيْهَا قَبْلَ مَوْتِهِ وَأَمَرَ أَنْ
تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ هَذِهِ :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَاسٍ
فَقَدْ جَاءَ فِي الْمَوْتِ الْمَهْلُ بِسَكْرَةٍ فَلَمْ تُنَجِّنِي مِنْهُ أُلُوفُ قَوَارِسِ
فَيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ يَا وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هُدَيْتَ بِأَسْرِ

(للغزالي)

قَالَ ابْنُ سَادَةَ :

بَنُو الدُّنْيَا بِجَهْلِ عَظَمُوهَا فَجَلَّتْ عَنْهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ
يَهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا هَارِشَةُ الْكِلَابِ عَلَى الْعِيرَةِ
قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ :

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِينَ عَامًا فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَحَقُّهُ الْيَلَالِي
وَنِصْفُ النَّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَذْهَبُ لِعَقْلِهِ يَمِينًا عَنْ شِمَالِ
وَنُكْتُ النَّصْفِ أَمَالٌ وَحِرْصٌ وَشُغْلٌ بِالْكَاسِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ وَهُمْ بِأَرْتِحَالٍ وَأَنْتِحَالِ
فَحُبُّ الْمَرْءِ طَوْلُ الْعُمْرِ جَهْلٌ وَقِسْمُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ
٣٢ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تُخْذَعَنَّ كَمَا خُذِعَ مَنْ قَبْلَكَ . فَإِنَّ الَّذِي أَصْبَحَتْ
فِيهِ مِنَ النَّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ
يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ . فَلَوْ بَقِيََتِ الدُّنْيَا لِلْعَالَمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ . وَلَوْ

بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَمْ تَتَقَبَّلِ لِلآخِرِ . يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَبًا
وَفِضَّةً ثُمَّ سَلَّمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ وَأَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا وَأَفْلَادَ
كَبِدِهَا ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ .
لَا تَفْرَحْ فِيمَا يَزُولُ وَلَا غَنَى فِيمَا يَفْنَى

٣٣ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : رَكِبَ مَلِكٌ يَوْمًا فِي زِيٍّ عَظِيمٍ فَتَشَرَّفَ
لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئًا مُكَبًّا عَلَيْهِ لَا
يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ . فَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ
يَنْظُرُونَ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مُلِكًا مِثْلَكَ وَكَانَ
عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَمَاتَ هُوَ وَمِسْكِينٌ قَدْ دُفِنَ إِلَى جَانِبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .
وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا . ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا . ثُمَّ
نَسَقَتْ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَأَخْطَطَتْ عِظَاهُمَا فَلَمْ أَعْرِفِ
الْمَلِكَ مِنَ الْمِسْكِينِ . فَلِذَلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .
وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

وَحَقَّكَ لَوْ كَشَفَتْ التُّرْبُ عَنْهُمْ لَمَا عُرِفَ الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ
وَلَا مَنْ كَانَ يَلْبَسُ ثَوْبَ شَعِيرٍ وَلَا الْبَدَنُ الْمُنْمُ بِالْحَرِيرِ
قَالَ التَّيَاهِي :

وَأَنَا لَهِيَ الدُّنْيَا كَرَكِبِ سَفِينَةٍ نَظَنُّ وَثُوقًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي
وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَحْذَرَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبٍ دُنْيَا تَغُرُّ بِوَصْلِهَا وَسَتَقْطَعُ

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنَّ أَلْيَبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
 ٣٤ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَيْسَ أَفْخَرُ نِيَابِهِ وَمَسَّ أَطْيَبُ طَيْبِهِ
 وَنَظَرَ فِي مِرَاوٍ فَأَعْجَبَهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ . وَخَرَجَ إِلَى
 الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرَيْنِ . فَقَالَتْ :

أَنْتِ نِعَمُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتُ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
 لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَإِنْ
 فَأَعْرَضَ بَوَاجِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوْتُهُ يُسْمَعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ .
 ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْفَسُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ مِنْ حَوْلِهِ .
 فَصَلَّى وَرَجَعَ فَلَمْ تَذُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ
 أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

يَا اللَّهُ رَبِّكَ كَمْ قَصِيرٍ مَرَرْتَ بِهِ قَدْ كَانَ يُعْمَرُ بِالذَّنَاتِ وَالطَّرَبِ
 طَارَتْ عَنَابُ الْمَنَآيَا فِي جَوَانِبِهِ قَصَّاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
 يَعْمَلُ وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ فِي دَعْوَةٍ فَلَا وَرَيْكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ
 وَأَنْشَدَ أَيْضًا :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدَا لَنْ تَذُودَ الْمُتُونِ عَنْكَ الْمَلْبَانِي
 إِنَّ هَذَا الْبِنَاءَ يَبْقَى وَتَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَيَّامَ تَطْوِي . وَالْأَعْمَارَ
 تَقْنَى . وَالْأَبْدَانُ فِي النَّارِ تَبْلَى . وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكُضَانِ تَرَاضًا
 الْبَرِيدُ . يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (الطرطوشي)

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ : وَجَدْتُ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْمُرُورِ بِالدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةِ
 آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أَلْجَأَهُ خَوْفٌ إِلَى بَيْتٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَمَلَّقَ بَعْضُ نِجْنٍ
 نَائِبِينَ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْتِ . وَوَقَعَتْ رِجَالُهُ عَلَى شَيْءٍ قَدْ هَمَّا فَظَرَ فَإِذَا
 بِحَيَاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُحُورِهِنَّ . وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ
 فَإِذَا ثُعْبَانٌ قَاغِرٌ فَاهُ تَحْوُهُ . فَرَقَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنِ الَّذِي يَتَلَقَّى بِهِ فَإِذَا
 فِي أَصْلِهِ جُرْدَانٌ أَيْضٌ وَأَسْوَدُ يَمْرُضَانِ الْغُصْنَ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ .
 فَيَنْمَا هُوَ مَهْمٌ بِنَفْسِهِ انْتِفَاءُ الْجِلَّةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبِ مَنْهُ
 حَجَرٌ مُخَلٌّ قَدْ وَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ قُطَاعَمٍ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ .
 فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالْتِمَاسِ النُّجَاةِ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ
 فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَاتٍ لَا يَذْرِي مَنْ قَسَاوَرَهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ الْجُرْدَيْنِ دَائِبَانِ فِي
 قَرْضِ الْغُصْنِ الَّذِي يَتَلَقَّى بِهِ وَأَنَّهَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهَوَاتِ النَّبِيِّ .
 وَلَمْ يَذَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ . قَالَ الْحَكِيمُ : فَشَبَّهْتُ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ
 آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافٍ بِالْبَيْتِ . وَشَبَّهْتُ الْحَيَاتِ الْأَرْبَعَ بِالْأَخْلَاطِ
 الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ وَالْبَاطِلِينَ وَالْأَيْضِ .
 وَشَبَّهْتُ الْغُصْنَ الَّذِي تَلَقَّى بِهِ بِالْحَيَاةِ . وَشَبَّهْتُ الْجُرْدَيْنِ الْأَيْضِ
 وَالْأَسْوَدَ اللَّذَيْنِ يَمْرُضَانِ الْغُصْنَ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَدَوْرَانِهِمَا فِي إِفْتَاءِ الْأَيَّامِ وَالْأَجَالِ . وَشَبَّهْتُ الثُّعْبَانَ الْقَاغِرَ فَاهُ
 بِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ الْعَسْلَةَ الَّتِي تَطَاعَمُهَا بِالَّذِي يَرَى
 الْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَبْسُ قَلْبُهُ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

٣٦ جَادَبَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي شَيْءٍ فَفَخَّرَ عَلَيْهِ الْكِنَانِيُّ
وَأَسْتَطَالَ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدٍ وَتَسْبِ يُمْلِكُ سُورَ الْمُجَدِّ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ
(للاصبهاني)

٣٧ قَالَ غَائِمُ الْوَرَّاقُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ قَبْلَ وَقَاتِهِ يَوْمَ
قَالَ لِي : أَمَعَكَ الْوُاحِكُ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ أَكْتُبْ :

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَمُضَوًّا
لَيْسَ تَمُضِي مِنْ حُطَّةٍ لِي إِلَّا تَقْصَاتِي بِمِرْهَابِي جُرْوًا
ذَهَبَتْ حِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ فُضْوًّا
لَهَفَ نَفْسِي عَلَى لَيْالٍ وَأَيَّامٍ تَجَاوَزْتُهُنَّ لَعِبًا وَلَهْوًا
قَدْ أَسَانَا تَكْلُّ الْأَسَاءَةِ فَالْتَمَهُمْ صَحْحًا عَنَّا وَغَفْرًا وَعَفْوًا
(للشريشي)

نواب الدهر

٣٨ لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْحَيْرَةَ قِيلَ لَهُ : هُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ
الْمُلُوكِ يُقَالُ لَهَا الْحَرْقَةُ بِنْتُ التُّعْمَانِ بْنِ الْأَنْدَرِ . وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ
عَقَائِلِ الْعَرَبِ . وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بَيْعَتِهَا نَشَرَتْ عَلَيْهَا أَلْفَ
قَطِيفَةٍ خَزٍّ وَدِيْبَاجٍ وَمَعَهَا أَلْفُ وَصِيفٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ فَجَاءَتْ
كَالْشَّنِّ الْبَالِي . فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْبَصْرِ قَبْلَكَ . يُجِبِّي

إِلَيْنَا خَرَجُهُ وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ . حَتَّى صَاحَ بِأَصَاحِجِ الدَّهْرِ
فَشَتَّتَ مَلَائِنَا . وَالْدَّهْرُ ذُو نَوَابٍ وَصُرُوفٍ . فَلَوْ رَأَيْنَا فِي أَيَّامِنَا
لَا زِيدَتْ فَرَائِضُكَ فَرَاقَانَا . فَقَالَ لَهَا سَعْدُ : مَا أَنْعَمَ مَا تَعْمَلِينَ بِهِ .
قَالَتْ : سَعَةِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَكَثْرَةُ الْأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَتْ
تَقُولُ :

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ لَيْسَ تُنْصَفُ
قُبًّا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرُّفُ
ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرٍ إِلَّا وَالْدَّهْرُ يُعْقِبُهُمْ
حَسْرَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدُ وَأَمَرَ بِرَدِّهَا
(الطرطوشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُمَا نَدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَيْبَةِ يَلْقَانِي
وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ وَإِنْ يَصْفُلِي يَوْمًا تَكَدَّرَ فِي الثَّلَاثِي

٣٩ قَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

يَا دَهْرُ وَنَحْمُكَ قَدْ أَكْثَرْتَ قَجَمَاتِي شَقَلَتْ أَيَّامَ دَهْرِي بِالْمَصِيبَاتِ
مَلَأْتَ أَلْحَاطَ عَيْنِي كُلَّهَا مَرْنَا فَأَيْنَ لَهْوِي وَأَحْبَابِي وَلَدَائِي
حَمْدًا لِرَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا أَقَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَلْدَائِي
قَالَ غَيْرُهُ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَغُلٍّ سَحَابَةٍ أَظْلَمْتَكَ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكَ أَضْمَحَلْتَ

فَلَا تَكُ فَرَحَانَا بِهَا حِينَ أَقْبَلْتَ وَلَا تَكُ جَزَعَانَا بِهَا حِينَ وَلَّتْ
وَوَلَّ آخَرُ:

عَمِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غَضَا كَمَا يَغْرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
وَنَحْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعٍ عَيْنِي قَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا الْحُجُبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخِيرَهُ بِمَا فَعَلَ الشَّيْبُ
وَأَنْشَدَ آخَرُ:

مَا الْنَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا أُنْقَلَبْتَ يَوْمًا بِهِ أَنْقَلَبُوا
يُعْظَمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَبَّتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَا لَا يَشْتَهِي وَتَبَّوْا
٤٠ قَالَ ذُو الْكَلَّاحِ الْحَمِيرِيُّ فِي الدُّنْيَا:

إِنْ صَفَا عَيْشُ أَمْرِي فِي صَبِيحِهَا جَرَّعَتْهُ مُسِيًّا كَأْسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ أَنْعَمُ الْعَالَمُ عَيْشًا قِيلَ ذَا
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرْدَجَانِيُّ:

يَقْصِدُ أَهْلُ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَابِ الدُّنْيَا وَأَقَاتَهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُجْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرَبُ أَصْوَاتُهَا
كَبَّ الْجَمْرِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقِلًا فِي السِّجْنِ:

وَمَا هَذِهِ إِلَّا يَامُ إِلَّا مَنَازِلُ فَمِنْ مَنَزِلٍ رَجَبٍ إِلَى مَنَزِلٍ ضَنْكِ
وَقَدْ هَذَبْتَ الثَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا صَفَا الذَّهَبُ إِلَّا لَبِزْتُ قَلْبَكَ بِالسَّبَكِ
أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ يُوسُفَ أَسْوَدَ لِيُنْكَرَ مَحْبُوسًا عَلَى الظُّلْمِ وَالْإِفْكَ
أَقَامَ جَمِيلُ الصَّبْرِ فِي السِّجْنِ بَرْهَةً قَالَ بِهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ إِلَى الْمَلِكِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي:

هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ فَأَقَطَهَا اللَّهُ
فَهُمْ فِيهَا يَمِيشُونَ وَيَلْحُونَ الْكِرَامَا

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ مِمَّا بِلَى أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدْ
بَلَغَ مِنَ الْفُخْلِيِّ عَنِ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا . وَأَعْتَرَلَ الْحَاقُّ وَلَزِمَ قُلُلَ الْجِبَالِ
وَالسِّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْمَايَةِ الْمُضَوِّ . فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ
هُودٍ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ فَازَّكَمَهُ ابْنُ هُودٍ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَمْرُضُ
عَالِيهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ
وَأَحْجَارِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَاسِ الْأَعْلَاقِ وَالْجَوَارِي
وَالْحَشَمِ وَالْأَجْنَادِ وَالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ . فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا
انْقَضَى قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي . قَالَ : رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلَكِنَّهُ
تَمُوزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ انْتِظَامُ مُلْكِكَ . وَإِنْ لَمْ
تَقْدِرْ عَلَيْهَا قَدْ هَذَا الْمُلْكُ شَيْبَةً لَا شَيْءَ . قَالَ : وَمَا هِيَ الْخَصْلَةُ . قَالَ :
تَعَمُّدُ قَنَاصِ عِطَاءٍ عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدَرُ الْبَلَدِ . ثُمَّ
تَزَكُّبُهُ عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلِكٌ أَلُوتَ مَدْخَلِ إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ :
سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا . فَقَالَ الْعُلَمَاءُ : يَا هَذَا أَفَقَّحِرُ
بِأَمْرِ تَزَكُّبِهِ غَدَا (الطرطوشي)

٤٧ قَالَ التَّمَنِّي :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ قَا بَالُنَا نَمَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَايِي الضَّانَ فِي جَهْلِهِ مَوْتَهُ جَالِيئُوسَ فِي طَبِيعِهِ
قَالَ أَبُو الْعَمَّاهِيَّة :

وَأَرَى الطَّيِّبَ بِطَبِيعِهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِهِ أَتَى
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالْأَدَاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَبْزِي مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ الدَّادَوِي وَالْمَدَّادَوِي وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ أَشْتَرَى
قَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ :

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ هَذَا مِنْ عَرْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
أَيْنَ كَعْنَمَانُ وَتَمْرُودٌ وَمَنْ مَلِكُ الْأَرْضِ وَوَلِيٌّ وَعَزَلٌ
أَيْنَ عَادُ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ بِخَلٍّ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تَغْنِ الْهَلَلُ
وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

قَبْرٍ وَأَعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا بِي قَدْ جَرَى
يَا لَأَمْسٍ كُنْتُ نَظِيرُكُمْ وَأَلْيَوْمَ أَرَانِي الْبَرَى
قُلْ رَبِّهَا أَلِطَفَ بِهَا وَأَرْحَمَ عِظَامًا فِي الْأَثَرَى

قَالَ أَبُو الْعَمَّاهِيَّة :

تَمَلَّطَ بِأَمَالٍ طَوَالَ أَيِّ آمَالٍ
وَأَقْبَلَتْ عَلَى الدُّنْيَا مُلِحًا أَيَّ إِقْبَالٍ

أَيَا هَذَا تَجَمَّزَ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
 فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ
 ٤٣ قَالَ الْأَصْمِغِي : صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ
 أَبَا الْمَتَاهِيَةَ وَقَالَ لَهُ : صِفْ لَنَا مَا تَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ هَذِهِ الدُّنْيَا .
 فَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقَصْرِ
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :
 يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا أَشْتَهَيْتَ لَدَى الرَّوَاحِ أَوْ الْبُكُورِ
 فَقَالَ : حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :
 فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّقَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
 فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَوْقِفًا مَا كُنْتُ إِلَّا فِي غُرُورِ
 فَبَكَى الرَّشِيدُ . فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : بَثَّ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لِتُسْرِهِ فَحَزَنَتْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَعُهُ فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي عَمَى فِكْرِهِ أَنْ يَزِيدَنَا
 مِنْهُ (لِلفَخْرِيِّ)

٤٤ أُنْشِدَ أَبُو الْمَتَاهِيَةَ :
 الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَاقِ مُشْتَرِكٌ لَا سُوقَةَ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ
 مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلاكِ مَا مَلَكَوْا
 وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي طَرَفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَرَّتْ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتَرِسٍ
وَلِلَّهِ دَرَمَنٌ قَالَ :

أَتَمْنَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرٌ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرٌ
وَتُصْنَعُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ لَسِيرٌ
وَتَرْفَعُ فِي الدُّنْيَا بَنَاءَ مُقَاخِرٍ وَمَثَوَاكَ بَيْتٌ فِي الصُّبُورِ صَغِيرٌ
وَدُونُكَ قَاصِنٌ كَلَّمَا أَنْتَ صَائِرٌ فَإِنَّ يُوتِ الْمَيِّتِينَ قُبُورٌ
قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ فِي هَلٍ أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ فِي هَلٍ
هَفٍ بِالْمَقَابِرِ وَأَنْظِرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا وَفِيهِمْ لَكَ يَا مَعْرُودُ مَوْعِظَةٌ
فَقِيهِمْ لَكَ يَا مَعْرُودُ مَوْعِظَةٌ مَا دَامَ يَتَفَعَّلُ التَّفَكِيرُ وَالنَّظَرُ
لِلَّهِ دَرَكٌ مَاذَا تَسْتُرُ الْحَقُّ وَفِيهِمْ لَكَ يَا مُغْتَرٌ مُعْتَبَرٌ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَالْوَيْلُ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ آتَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
سَارَ الْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَصْبَحَ الْهَبْرُ مَضْجَعِي وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
صَرَخَتِ الْخُوفُ فِي التُّرْبِ يَا ذُلَّ مَصْرَعِي
أَيُّ إِخْوَانِي الَّذِينَ إِلَيْهِمْ تَطَلُّعِي

مُتٌ وَخَدِي قَلَمٌ يَمُتُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي
قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَلَيْنَ أَصْنَى نَصِيحُ
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَوَاعِيهِ فَصِيحُ
نَحْنُ لَاهُونَ وَأَجَا لُ الْمُنَايَا لَا تُرِيحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ . فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنْ الْعُمَرَانِ
إِلَى الْحُرَابِ (لبهاء الدين)

مِمَّا وَجَدَ عَلَى قَبْرِ :

تُجَايِكَ أَجْدَاثٌ وَهَنٌ سَكُوتُ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِفَيْحِ بِلَاعَةِ لَيْنِ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا خَالِطَ الدِّينِ بِالدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ بِسَوَاءِ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَمَبٍ وَالْمَوْتُ يُنْخَوِّكَ يَهْوِي فَاتِّخَا فَاهُ
قَالَ آخَرُ :

تَرَوُّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ وَإِعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
تَعْمِيكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

٤٧ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

حَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَمْرٌ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَآرَأَفُ
يُجِلُّ تَخْلِصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُدْفِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
دَخَلَ النَّبِيُّ الْمَقَابِرَ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

سَهْبًا وَرَعِيًا لِإِخْوَانٍ لَنَا سَأَلُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدُ
عِنْدَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يُؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ

٤٨ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمَوْحِشَةِ . وَالْحَالِ الْمَقْفَرَةِ . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . ثُمَّ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْهَا

خَلَقْنَا وَإِلَيْهَا مَعَادُنَا وَعَلَيْهَا نَحْشَرُنَا . طَوِيَّ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ الْحَسَنَاتِ

وَقَفَّعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لابن عبدربه)

٤٩ الْأَيَّامُ خَمْسَةٌ يَوْمٌ مَفْقُودٌ . وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَيَوْمٌ مَوْرُودٌ . وَيَوْمٌ

مَوْعُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . فَالْمَقْصُودُ أَمْسُكَ الَّذِي فَاتَكَ مَعَ مَا قَرَّطْتَ فِيهِ .

وَالْمَشْهُودُ يَوْمُكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَتَرَوْدُ فِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ . وَالْمَوْرُودُ

هُوَ عَذَابُكَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنْ أَيَّامِكَ أَمْ لَا . وَالْمَوْعُودُ هُوَ آخِرُ

أَيَّامِكَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَاجْعَلْهُ نُسْبَ عَيْنِكَ . وَالْمَمْدُودُ هُوَ آخِرُ تَكَلُّفِكَ

وَهُوَ يَوْمٌ لَا أَنْقِصَاءَ لَهُ . فَاهْتَمَّ لَهُ غَايَةُ اهْتِمَامِكَ فَإِنَّهُ إِمَّا نَعِيمٌ دَائِمٌ

أَوْ عَذَابٌ مُخَلَّدٌ

٥٠ جَاءَ فِي التَّنْجِيحِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ
قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ
أَسْرَارَكُمْ . وَآخِرُ جَوَا مِنْ الدُّنْيَا قُلُوبُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ .
فَفِيهَا أُخْبِرْتُمْ وَلَتَغَيِّرَهَا خُلُقْتُمْ (لبهاء الدين)

كَمْ مِنْ لَيْلٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكَرُّرِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ . وَحَرَمْتَ عَلَى
نَفْسِكَ النَّوْمَ . لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ أَلْبَاسُ فِيهِ . فَإِنْ كَانَ نَيْتُكَ غَرَضَ
الدُّنْيَا وَجَذَبَ حُطَايَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا وَالْمُبَاهَاةَ عَلَى الْأَقْرَانِ
وَالْأَمْثَالِ قَوْلِيلُ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ . وَإِنْ كَانَ قَسْدُكَ فِيهِ تَهْدِيبَ
أَخْلَاقِكَ وَكَسْرَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ طُوبَى لَكَ .
وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

سَهْرُ الْعُيُونِ لَغَيْرِ وَجْهِكَ ضَايِعٌ وَبُكَاءُهُنَّ لِغَيْرِ قَسْدِكَ بَاطِلٌ
(أيها الولد للغزالي)

وَكَانَ آخِرُ مَا قَالَهُ ذُو الرُّمَّةِ :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفْتَ نَفْسِي وَقَدْ حَلَمْتَ
عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جَنِينِي إِذَا اخْتَضَرْتَ
وَفَارِجَ الْكَرْبِ زُخْرِي عَنِ النَّارِ
فِي الْحُوفِ

٥١ سَيَّلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْحَافِي عَنِ اللَّهِ . فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا

اللَّهِ فِي مَخَافَةِ وَعِيدِهِ . قُلُوبُهُمْ بِالْخَوْفِ قَرِحَةٌ وَأَعْيُنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
بَاكِةٌ . وَذُمُّهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ . يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ
وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا . وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَانِنَا . وَالْقِيَامَةُ مُوعِدُنَا . وَعَلَى جَهَنَّمَ
طَرِيفُنَا . وَبَيْنَ يَدَي رَبِّنَا مَوْفِقُنَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْخَالِصِينَ
لَمْ يَرَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فَكَبِيرِينَ وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ . شُرُورُهُمْ
مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ غَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ .
صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً لِمُعْتَمِي رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ الْحَسَنُ : عَجَبًا لِمَنْ خَافَ
الْعِقَابَ وَلَمْ يَكُفْ . وَلِمَنْ رَجَا النَّوَابَ وَلَمْ يَعْمَلْ

(لابن عبد ربه)

في التوبة

٥٢ لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْغَزِيِّ الْوَفَاةُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي
فَقَصَّرْتُ . وَنَهَيْتَنِي فَمَعْصَيْتُ . وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ . فَإِنْ غَفَوْتَ فَقَدْ
مَنْنْتَ . وَإِنْ عَاقَبْتَ . فَمَا ظَلَمْتُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّكَ فِي دَارِهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَنْقُطِعُ فِيهَا أَمَلُ الْآمِلِ
تُجَلُّ الذَّنْبُ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةُ مِنْ قَابِلِ
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بِمَدِّ ذَاخِلَةٍ مَاذَا يَفْعَلُ الْحَازِمُ الْعَاقِلُ
قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ اجْعَلْ خَطَايَاكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ إِلَى أَنْ

تُتَوِّبُ . وَأَمَّا حَسَنَاتُكَ فَأَلْهَ عَنْهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَحْصَاهَا مَنْ لَا يَسْأَلُهَا
 ٥٣ حَكِي أَنَّهُ حَاكَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ قُبُورًا وَتَأْتِي فِي صَنْعَتِهِ . فَلَمَّا
 بَاعَهُ رُدَّ عَلَيْهِ بِعُيُوبٍ فِيهِ فَبَكَى . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : يَا هَذَا لَا تَبْكُ فَقَدْ
 رَضِيتُ بِهِ . فَقَالَ : مَا بُكَائِي لِذَلِكَ بَلْ لِأَنِّي بَالَفْتُ فِي مَسْنَعَتِهِ
 وَتَأَنَّمْتُ فِيهِ جُهْدِي فَرُدَّ عَلَيَّ بِعُيُوبٍ كَانَتْ خَفِيَّةً عَلَيَّ . فَأَخَافُ أَنْ
 يَرُدَّ عَلَيَّ عَمَلِي الَّذِي أَنَا عَمِلْتُهُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (إيها الدين)

٥٤ اِسْمِعْ مِنِّي كَلَامًا تَفَكَّرْ فِيهِ حَتَّى تَجِدَ خَلَاصًا . لَوْ أَنَّكَ أَخْبِرْتَ
 أَنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ الْأُسْبُوعِ يَجِيسُكَ زَائِرًا فَإِنَّا أَعْلَمُ أَنَّكَ فِي تِلْكَ
 الْمُدَّةِ لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِإِصْلَاحِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ نَظَرَ السُّلْطَانِ سَيَمُصُّ عَلَيْكَ
 مِنَ الْثِيَابِ وَالْبَدَنِ وَالْأَدَارِ وَالْأَفْرَاشِ وَغَيْرِهَا . وَالْآنَ تَتَفَكَّرُ إِلَى مَا
 أَشْرْتَ بِهِ فَإِنَّكَ فِيهِمْ ذِكْرٌ وَالْكَلامُ الْقَرْدُ يَكْفِي الْكَيْسَ وَالْعَاقِلُ
 تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ . إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكَ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكَ
 وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكَ وَنِيَّاتِكَ (إيها الولد للنزالي)

٥٥ مِنْ خُطْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَكُونُوا مِنْ
 خَدَعَتِهِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَغَرَّتْهُ الْأُمْنِيَّةُ وَاسْتَهْوَتْهُ الْبِدْعَةُ فَرَكَنِي إِلَى
 دَارِ مَرِيَّةِ الرُّؤَالِ وَشِبْكَةِ الْأَنْتِقَالِ . إِنَّهُ لَمْ يَقْوَمِ مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ
 فِي جَنْبِ مَا مَضَى إِلَّا كَانَاخَةِ رَاكِبٍ أَوْ صَرَّةٍ حَالِيَةٍ فَلَمَّا تَرَجَعُونَ
 وَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . فَكَا نَكْمُ وَبِمَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَمِمَّا
 تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ . فَخُذُوا الْأَهْبَةَ لِأَرْوَافِ النُّفُوسِ

وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِقُرْبِ الرِّحْلَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ عَلَى قَدَمٍ قَادِمٌ .
وَعَلَى مَا خَافَ نَادِمٌ

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ) . أَيُّهَا النَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ . وَأَلْبَسُوا
قِتَاعَ الْحَقَاقَةِ . وَأَجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَسَعِيَكُمْ لِمُسْتَقَرِّكُمْ . وَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ . وَإِلَى اللَّهِ صَارُونَ . وَلَا يُبْنِي عَنْكُمْ هُنَاكَ
إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدْ مَتَّوهُ . أَوْ حَسَنُ ثَوَابٍ خَزَّنُوهُ . إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُقَدِّمُونَ عَلَى
مَا قَدْ مَتَّمْ . وَتَجَارُونَ عَلَى مَا أَسَلَقْتُمْ . فَلَا تُخَدِّعْكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا
دُنْيَةٍ . عَنْ مَرَاتِبِ جَنَّاتٍ عَلَيْهِ . فَكَانَ قَدْ انْكَشَفَ الْقِتَاعُ وَارْتَفَعَ
الْأَرْتَابُ . وَلَا فَي كُلِّ أَمْرٍ مُسْتَرَّةٌ وَعَرَفَ ثَوَاهُ وَمُنْقَلَبُهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَهْ يَا ذُلِّي وَيَا خَجَلِي إِنْ يَكُنْ مِتِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا وَنَفَيْتُ النَّوْمَ عَنْ مَقَلِّي
كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا خَائِفًا عَنْ خِيَةِ الْأَمَلِ
فَعَلَى الرَّحْمَنِ مُتَكَلِّي لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُوْنَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : اسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ قَاسِرٌ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ .
فَكَيْفَ تَرْجُو نَحْنَ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَسَاوَةِ
وَالْخَطَايَا الْمُتَوَازَةِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

إِجْمَلُ الْهَمَّةِ فِي الرُّوحِ وَالْهَزِيمَةُ فِي النَّفْسِ وَالْمَوْتُ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ

مَنْزِلَكَ الْقَبْرِ. فَأَهْلُ الْمَقَابِرِ يَنْظُرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ.
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلا زَادٍ
قَالَ شَاعِرٌ :

يَا ذَا الَّذِي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورًا
إِحْرَصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ مَتًى يَكُونُ حَوْلَكَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا
٥٨ رُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ أُعْطِيَ شَرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ. فَلَمَّا أَخَذَ
الْقَدَحَ غُشِيَ عَلَى عَقْلِهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ: مَا بِأَلَاكَ
يَا أَبَا سَعِيدٍ. قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ أَهْلِ النَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ
الْجَنَّةِ: أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ. قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا
عَلَى الْكَافِرِينَ

رُوِيَ فِي وَصَايَا لُثْمَانَ الْحَكِيمِ لِأَنَّهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ
أَلَدُكَ أَكْبَسَ مِنْكَ. يُنَادِي وَقْتُ السَّحْرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ. لَقَدْ أَحْسَنَ
مَنْ قَالَ :

لَقَدْ هَنَفْتُ فِي جَنَاحِ لَيْلٍ حَمَامَةً عَلَى قَتْنٍ وَهْنًا وَإِنِّي لَنَائِمٌ
كَذَبْتُ وَبَيَّتَ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ
وَأَزْعَمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ لِرَبِّي وَلَا أَبِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمُ

دعاء

٥٩ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعَةِ تَمَامِهَا. وَمِنَ الْعِصَةِ دَوَامِهَا. وَمِنَ
الرَّحْمَةِ شُمُولِهَا. وَمِنَ الْعَافِيَةِ حُصُولِهَا. وَمِنَ الْعَيْشِ أَرْغَدَهُ. وَمِنَ

الْعَمْرَ أَسْعَدَهُ . وَمِنَ الْإِحْسَانِ أَمَّهُ . وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ . وَمِنَ الْفَضْلِ
 أَعَذَّبَهُ . وَمِنَ الْإِلْطَافِ أَنْفَعَهُ . اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . اللَّهُمَّ اخْتِمْ
 بِالسَّعَادَةِ أَجَالَنا . وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنا . وَاقْرِنِ بِالْعَافِيَةِ غَدُونا
 وَأَصَالَنا . وَأَجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَرَجِيئَنَا . وَصُبْ سِحَالَ غَفْوِكَ
 عَلَى ذُنُوبِنَا . وَمِنْ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ غُيُوبِنَا . وَأَجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا . وَفِي
 دِينِكَ اجْتِهَادَنَا . وَعَلَيْكَ تَوَكُّلُنَا وَاعْتِمَادُنَا . نُبْتَاعُ عَلَى نَفْسِ الْإِسْتِقَامَةِ .
 وَأَعِزَّنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ الدَّمَامَةِ . يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقَلَ
 الْأَوْزَارِ . وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ . وَاكْفِنَا وَأَصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ .
 وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأَهْلَانَا وَعَشِيرَتِنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ
 الْبُيُوتِ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (أيها الولد للغزالي)

البرقي

٦٠ قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي : لَمَّا رَأَى الْهَلَسِيْفَةُ تَابُوتَ
 الْأِسْكَندَرِ وَقَدْ أَخْرَجَ لِيُدْفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَرَ أَهْيَبَ
 مِنْهُ الْيَوْمَ . وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ . وَقَالَ آخَرُ : سَكَنَتْ حَرَكَهُ
 الْمَلِكُ فِي لَذَاتِهِ . وَقَدْ حَرَّكَنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ حَزَعًا لِقَمِيدِهِ . وَهَذَا
 الْمَعْنَى أَخَذَهَا أَبُو الْعَلَاءِ بِرِئَاءِ ابْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ :
 بِكَيِّتِكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
 وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَلَدٍ مَاتَ لَهُ :

بَلَيْتَ عِظَامُكَ وَالْأَسَى يَجِدُّ وَالصَّبْرُ يَفْدُ وَالْبُكَ لَا يَفْدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَّاهِ وَلِقَائِهِ دُونَ أَلْفِ سَاعَةٍ مَوْعِدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْجَأٍ صُمْتُهُ لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ أَلْمُحْدُ
بِالْيَاسِ أَسْأَلُو عَنْكَ لَا يَجْلُدِي هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزَنِ تَجْلُدُ
٦١ قَالَ ابْنُ الْأَخْفَفِ بِرِّي أَبْنَةُ:

وَلَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بِعَدْلِكَ وَالْأَسَى
أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرَى وَلَدَهَا:

بِأَفْرَحَةِ الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَدِ يَا لَيْتَ أُمِّكَ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدْ
لَأَرَأَيْتَكَ قَدْ أَذْرَجْتَ فِي كَفْنٍ مُطِيبًا لِلْمَنَآيَا آخِرَ الْأَبَدِ
أَيَقْنَتُ بِعَدْلِكَ أَيُّ غَيْرِ بَاقِيَةٍ وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعُ زَالٍ عَنْ عَصْدٍ
قَالَ أَعْرَابِيٌّ بِرِّي أَبْنَةُ:

بُنَيَّ لَيْنَ صُنْتَ جُفْرُنُ بِمَالِهَا لَقَدْ قُرِحْتَ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتَ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِنُ وَدَفِينُ
قَالَ الْغَنِي بِرِّي بَعْضَ أَوْلَادِهِ:

أَصْحَتُ بِجُدِّي الدُّمُوعَ رُسُومُ أَسْفَا عَلَيْكَ وَفِي الْهُوَادِ كُلُّومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْحُكْمِ

٦٢ قَالَ الْحُكَمَاءُ : لَا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ .
وَقَالُوا : إِذَا وَجَدْتُمْ الْحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى السُّكَّكِ فَخْذُوهَا . وَقَالَ
زِيَادٌ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَنْفَعُوا بِأَحْسَنِ
مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِنْ قَصَرْتُ فِي عَمَلِي

يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

٦٣ قَالَ الرَّبَاحِيُّ فِي خُطْبَتِهِ بِالْمَرْبِدِ : يَا بَنِي رِيَّاحٍ لَا تَحْجَرُوا صَغِيرًا
تَأْخُذُونَ عَنْهُ . فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيْلِ بِسَأَلَتِهِ . وَمِنَ الْجِمَارِ صَبْرَهُ .
وَمِنَ الْخُتْزِيرِ حِرْصَهُ . وَمِنَ الْفَرَّابِ حَذَرَهُ . وَمِنَ الثَّعْلَبِ رَوْعَانَهُ .
وَمِنَ السِّنُورِ ضَرَعَهُ . وَمِنَ الْفَرْدِ حِكَايَتَهُ . وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ .
وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ . وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ سِيرَ اللَّيْلِ . وَمِنَ
الشَّمْسِ ظُهُورَ الْيَمِينِ بَعْدَ الْيَمِينِ (لابن عبد ربه)

٦٤ قَالَ كُفَيْبٌ : اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ
النَّاسِ فِي عَلَانِيَتِكُمْ . وَقِيلَ : مَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنَ
نَفْسِهِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلنُّعْمَانِ : أَوْصِنِي . فَقَالَ :

اسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِكَ

٦٥ قَالَ الْأَخْفَ بْنُ قَيْسٍ . لَا صَدِيقَ لِمُتَلَوِّنَ . وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ .
وَلَا رَاحَةَ لِحُسُودٍ . وَلَا مَرُوءَةً لِدِينِي . وَلَا زَعَامَةً لِسَيِّئِ الْخُلُقِ
(مؤنس الوحيد للشمالي)

٦٦ قِيلَ : تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ تَتَخَلَّصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . تَجَنَّبْ مِنْ
الْحَسَدِ تَتَخَلَّصَ مِنَ الْحُزَنِ . وَلَا تَجَالِسْ جَالِسَ السُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنَ
الْمَلَامَةِ . وَلَا تَرْكَبِ الْمَعَاصِيَ وَقَدْ خَلَصْتَ مِنَ النَّارِ . وَلَا تَجْمَعِ أُمُالَ
وَقَدْ اسْتَرَحْتَ مِنْ عِدَاوَةِ الْخُلُقِ
(للغزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَقْدِرُ الْكَذْبُ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ الْأَلْيَالِي
يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ الْأَلْيَالِي وَيَخْطِي بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَذِبٍ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْحُلَالِ
٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَلْتُ عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ فَوَجَدْتُهُ مَرِيضًا
وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً . قُلْتُ لَهُ : أَيْ أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ . فَقَالَ
لِي : قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . قُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي مِنَ النَّاسِ . قَالَ : الْفُقَهَاءُ . قُلْتُ
لَهُ : فَمَنِ الْمُلُوكُ . قَالَ : الزُّهَادُ . قُلْتُ لَهُ : فَمَنِ الْأَشْرَافُ . قَالَ :
الْأَنْعِيَاءُ . قُلْتُ فَمَنِ الْفُتُوخَاءُ . قَالَ : مَنْ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ
أَمْوَالَ النَّاسِ . قُلْتُ فَمَنِ السُّفَلَاءُ . قَالَ : الظُّلَمَةُ أَوَّلِيكَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ

رَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ حُدَيْمٍ وَعَظَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَوْمًا . فَقَالَ

لَهُ عَمْرُ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ. قَالَ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ قَطْطَاعَ. فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى مُخَالَفَتِكَ (نوادير القليوبي)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَلَمَّا اخْتَضَرَ ذُو الْأَصْبَحِ دَعَا ابْنَهُ أَسِيدًا. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشَ حَتَّى سَمِعَ الْعَيْشَ. وَإِنِّي مُوَصِّيكُ بِمَا نَ حَفَظْتُهُ بَلَّغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَّغْتُهُ. فَأَحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ. وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ. وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ. وَلَا تَسْتَأْذِنْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ. وَاکْرِمْ صِنَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ يَكْرِمُكَ كِبَارُهُمْ. وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِنَارُهُمْ. وَأَسْخَ بِمَا لَكَ. وَأَعَزَّ جَارَكَ. وَأَعِنْ مَنْ أَسْتَعَانَ بِكَ. وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ. وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيحِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلَ لَا يَبْدُوكَ. وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْئَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَنْتُمُ سَوْدُوكَ (للأصبهاني)

٧٠ سَمِعْتُ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيْهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ. فَقَالَ: أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ. وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ. وَحُسْنُ التَّنَبُّؤِ. وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْإِسْتِبدَادُ. وَالْتِمَازُ. وَالْعِجْلَةُ (لابن عبد ربه)

٧١ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَافٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْدِّينُ أَوْلَاهَا وَالْعَمَلُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا
وَالْزَيْلُ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَالْإِيْنُ عَاشِيهَا

وَالَّذِينَ تَعْلَمُونَ مِنْ عَيْنِي مُحَدَّثَهَا . إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَهْلِهَا
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَدِّقُهَا . وَلَسْتُ أَرْشِدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا
٧٢ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا يُدْمُ عَلَى مَا سَلَفَ إِلَيْهِمْ . اللَّهُ فِي عَمَلٍ لَهُ
وَالْمَوْلَى الشُّكُورُ فِيمَا أَسْدَى إِلَيْهِ . وَالْأَرْضُ الْكَرِيمَةُ فِيمَا بُذِرَ فِيهَا .
وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا . ظِلُّ النَّسَامِ . وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ . وَالنَّسَاءُ
الْكَاذِبُ . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . الْغَنَى فِي النَّفْسِ .
وَالشَّرَفُ فِي التَّوَاضُّعِ . وَالْكَرَمُ فِي التَّقْوَى . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرِفُ
إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . ذُو الْبَاسِ لَا يُعْرِفُ إِلَّا عِنْدَ الْفَقْدِ . وَذُو الْأَمَانَةِ لَا
يُعْرِفُ إِلَّا عِنْدَ الْإِخْلَافِ . وَالْإِخْوَانُ لَا يُعْرِفُونَ إِلَّا عِنْدَ
النَّوَابِ

٧٣ قَالَ أَبُو ذُرٍّ لِكَاتِبِهِ : اعْلَمْ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ . إِنْ أُلْمِسَ
لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ . وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ . وَهِيَ سُؤَالُكَ
الشَّيْءَ . وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ . وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ . وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ .
فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَنْبِجْ . وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِعْ . وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكَمْ . وَإِذَا
أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ . وَاجْمَعْ الْكَثِيرَ بِمَا تُرِيدُ فِي الْبَلِيلِ بِمَا تَقُولُ (يُرِيدُ
الْكَلَامَ الَّذِي يَقِلُّ حُرُوفُهُ وَيَكْثُرُ مَعَانِيهِ)

٧٤ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ . أَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وَدَّهُ .
وَيَبْدِلُ لَكَ رِفْدَهُ . وَيَسْتَمِرُّ فِي مُهِمَّتِكَ جُهْدَهُ . وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ
بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ . ذُو رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يَتَمَلَّقُ لَكَ بِلِسَانِهِ .

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ . وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَآيَمَانِهِ
 ٧٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ كَمَا
 تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ
 عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَاحْذَرِ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فَيَأْجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ
 بِالْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلٍ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى
 قَوْلٍ مَا لَمْ تَفْعَلْ (لابن عبد ربه)

٧٦ أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعْلِمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
 نَصِيفُ الدَّوَاءِ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى

كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
 وَتَرَكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُشُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
 فَأَبَدًا بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِيَاهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
 فَهَذَا يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيَهْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
 لَا تَنَهُ عَنْ حُلِيِّ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
 ٧٧ قَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ لِلْإِسْكَانْدَرِ : إِنَّ النَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا
 قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا . فَاحْتَرَسْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا . تَسَلَّمَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا

٧٨ قَالَ الْعَنَبِيُّ : اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ . قَالُوا :
 لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى قَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنَعَةٌ .
 وَلَا تُثِقْ بِأَمْرٍ . وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

٧٩ قَالَ لَقَمَانُ لِابْنِهِ : لَا تَزْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا
فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ
نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ . يَا بُنَيَّ لَا تَضْحَكُ
مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ أَرْبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَنْبَغُكَ . يَا بُنَيَّ
لَا تُضِغْ مَالَكَ وَتُضِلَّ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ
مَا تَزَكَّ . يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمُ يَرْحَمُ . وَمَنْ يَهْتُمُّ يَسْتَلِمُ . وَمَنْ يَقُلِ
الْخَيْرَ يَنْفَعُ . وَمَنْ يَقُلِ الْبَاطِلَ يَأْتُمُ . وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَنْدَمُ .
يَا بُنَيَّ زَاكِمُ الْعُلَمَاءِ بِرُكْبَتِكَ . وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأَذُنِكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ
يَحْيَا بُورَ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَتَّةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ
٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عُتْبَةَ : لَمَّا بَلَغْتُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي :
يَا بُنَيَّ قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصَّبَا . فَأَلْزَمِ الْحَيَاءُ نَكْنَ مِنْ أَهْلِهِ .
وَلَا تَرَاهُ فِتْنِينَ مِنْهُ . وَلَا يُغَرِّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ
نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذْ أَرْضَى . قَالَ فِيكَ
مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلْسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمُ
مِنْ غَيْبِ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعِينَادِ :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ أَمْرٍ فَكُنْهُ يَكُنْ وَنَاكَ مَا يُعْجِبُكَ
فَلَيْسَ عَلَى الْمُجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ حِجَابٌ إِذَا جِئَتْهُ تَعْجِيبُكَ
٨١ مِنْ كَلَامِ أُمَيْرِئُسَ : إِنَّهُمْ أَخْلَافُكَ السَّيِّئَةِ فَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتْ

إِلَى حَاجَاتِهَا مِنَ الدُّنْيَا كَانَتْ كَالْحَطْبِ لِلنَّارِ وَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ . وَإِذَا
عَزَلَتْهَا عَنْ مَادِيهَا وَحُلَّتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَهْوَى انْطَفَأَتْ كَأَنْطَفَاءِ النَّارِ
عِنْدَ قُدْثَانِ الْحَطْبِ . وَهَلَكَتْ كَهَلَاكِ السَّمَكِ عِنْدَ قُدْثَانِ الْمَاءِ
٣ قَالَ أَبُو الْقَفْجِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا طَالَ بَنُكَ النَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا فِي الْخِلَافِ طَرِيقُ
فَخَالِفِ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ
٨٤ وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَفَلَهُ الشَّيْخُ الْمَقِيدُ فِي الْإِرْشَادِ : كُلُّ
قَوْلٍ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَوْ . وَكُلُّ صَمْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَسَهْوٌ .
وَكُلُّ تَغْظُرٍ لَيْسَ فِيهِ أَعْتَابٌ فَلَهْوٌ

٨٥ وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ . إِنْ مَرَّتْكَ الصَّغِيرَةُ وَمَرَّتْكَ الْكَبِيرَةُ
سَيَانٍ . فَيَقِيلُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . فَقَالَ : الْجُرْأَةُ وَاحِدَةٌ . وَمَا عَفَّ عَنْ
الدَّرَّةِ . مَنْ يَسْرِقُ الدَّرَّةَ

٨٦ (سَانِحَةٌ) غَفَلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ . وَأكْبَرُ
الذُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ آثَامٌ أَوْ لُحْمَةٌ مِنَ اللَّحْمَاتِ . حَتَّى إِنْ
أَهْلُ الْقُلُوبِ عَدُّوا الْوَافِلَ فِي آثَانِ الْغَفْلَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ . وَكَمَا يُعَاقِبُ
الْعَوَامُ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ كَذَلِكَ يُعَاقِبُ الْخَوَاصُّ عَلَى غَفْلَاتِهِمْ . فَاجْتَنِبِ
الْإِخْتِلَاطَ بِأَصْحَابِ الْغَفْلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ
زُمَرَةِ أَهْلِ الْكَمَالِ

٨٧ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَبْنَاهُ فَقَالَ : لِيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ .

وَقَوْلِكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسِكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرُوا إِلَى مَنْ لَا يُنِيبُهُ . وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يُنِيبُهُ

٨٩ قِيلَ لِلْحَكِيمِ : إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزِمُنِي أَنْ يَقْبَلَ بَلْ يَلْزِمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا
قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَنْبِيهُ النَّاصِحِ
الطَّفَّ . وَقِيَامُ مَنْ مَلَقَ الْكَاشِحَ (لبهاء الدين)

٩٠ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِي :

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَالْبَسْ مِنْ التَّوْقِي أَعَزَّ مَلْبَسٍ
وَأَدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَأَخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَ
٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مِنْ أَحْسَنَ عَشِيرَتِكَ . وَعَمَّكَ مَنْ عَمَّكَ
خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مِنْ قَرَبٍ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُقْرَاطُ وَهُوَ يَلْمِذُ فَيْثَاغُورُسَ الْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَلْتَ
الْحِكْمَةَ خَدَمْتَ الشَّهَوَاتِ الْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرْتَ خَدَمْتَ الْعُقُولِ
الشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءَ : لَا تُكُنْ يَمُنَ يَرَى الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ
وَلَا يَرَى الْخِلْدَ فِي حَلْقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءَ : لِأَنَّهُ لَا يُسْتَحْفَ بِهِمُ السُّلْطَانُ

وَالْعَالَمُ وَالصَّدِيقُ . فَمَنْ اسْتَحَفَّ بِالسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ . وَمَنْ
اسْتَحَفَّ بِالْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنْ اسْتَحَفَّ بِالصَّدِيقِ ذَهَبَتْ رُؤُوسُهُ
(لبهاء الدين)

٩٥ أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ وَالْمَوْتُ
فَلَا تَبْقَى بِالْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ أَنَّ دُرَّ وَيَاقُوتَ
قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بِلَادًا لَيْسَ فِيهَا خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ
حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَيِّبُ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٍ . وَسُوقٌ قَانِمٌ
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ وَثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ . فَأَمَّا
الْمُهْلِكَاتُ . فَشَحْمٌ مُطَاعٌ . وَهَوًى مُتَّبَعٌ . وَاعْتِجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا
الْمُنْجِيَّاتُ . فَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ . وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .
وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَاءِ وَالنَّصَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ مُحَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا
أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مُحَاسِنَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب المستعصي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْفَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا .
فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ : ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شَجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجٌ . وَإِنْ كَانَ
لِسِنًا قِيلَ : هِنْدَارٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَةٍ وَلَمْ يَكْ فِي الْمُرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعٌ

وَلَا أَنْتَ يَمُنُ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ . وَلَا أَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ يَمُنُ يُشْفَعُ
فَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ . وَعُودُ خِلَالٍ مِنْ وَصَالِكَ أَنْفَعُ
قَالَ عُمَرُ لِالْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ كَثُرَ صَحْحُهُ كَثُرَ هَيْبَتُهُ . وَمَنْ
كَثُرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . وَمَنْ كَثُرَ مِرَاحُهُ . كَثُرَ سَقَطُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
سَقَطُهُ . قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ . قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ .
مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ الْحَسَنُ : أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ . وَسَارِعُوا فِي
الْمَنَافِمِ . وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَحْلُوهُ . وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمُطْلِ ذِمًّا .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . فَلَا تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَحُولَ
نِقَمًا . وَأَنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ . وَأَنَّ أَغْنَى النَّاسِ
مَنْ عَفَا مِنْ قُدْرَةٍ . وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهِ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَتَرَضَّ لِمَا لَا
تُذَرِّكُ . وَلَا تَعُدَّ بِمَا لَا تُقَدِّرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُثْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ .
وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْأَجْزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ
طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِيَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ . أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرَفِي إِذَا
أَقْبَلَ . وَأَنْ أَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ . وَأُصْنِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ
١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا . فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَنْبَغُ
وَدَعَ الْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَنْبَغُ حَتَّى يُجِدَ لَهُ مَوْضِعًا . وَلَا تَمَارِدَنَّ

حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا . فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُطْمِئِنُّ . وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ . وَادْكُرْ أَخَاكَ
 إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ . وَدَعَهُ مِمَّا
 تُحِبُّ أَنْ يَدَعَكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَدْلُ . وَاعْمَلْ عَمَلَ أَمْرِي يَعْلَمُ أَنَّهُ
 حَسْبِي بِالْإِحْسَانِ مَاخُذٌ بِالْإِحْرَامِ

١٠١ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمَالُ الْمَرْءِ فِي خِلَالِ ثَلَاثٍ . مُعَاشَرَةُ
 أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْمِطْنَةِ . وَمُدَارَاةُ النَّاسِ بِالْمُعَاشَرَةِ الْجَمِيلَةِ . وَالْإِقْتِصَادُ
 مِنَ بُخْلِ وَإِسْرَافٍ

قَالَ بَرْجَرُ لِكِسْرَى وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ .
 قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْأَدَابِ . وَأَحْزَنُهُمْ مِنَ الْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ إِلَى
 الطَّبَقَةِ الَّتِي قَوْفُهُمْ

١٠٢ قَالَ بِهْرَامُ جُورٌ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُضِيعَ التَّنْبُثَ عِنْدَمَا
 يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ . فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَنِ الْعَمَلِ أَحْسَنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ
 الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةُ بَعْدَ الْمُنْعِ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ . وَالْإِقْدَامُ
 عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّنَاقُيِ خَيْرٌ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

١٠٣ وَقَالَ كِسْرَى لِحُكَمَاءِ الْفُرْسِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ : لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِكَلِمَاتٍ وَلَا يُكْثِرْهَا . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : خَيْرُ الْمُلُوكِ أَرْحَمُهُمْ
 ذُرْعًا عِنْدَ الصِّيقِ . وَأَعْدَلُهُمْ حُكْمًا عِنْدَ الْغَضَبِ . وَأَرْحَمُهُمْ إِذَا سَلَطَ .
 وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ عِنْدَ الدُّرَةِ . وَأَطْلَبُهُمْ لِرِضَاءِ الرَّعِيَةِ . وَأَبْسَطُهُمْ
 وَجْهًا عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ . فَقَالَ كِسْرَى : حَسْبِي هَذَا لَا أُرِيدُ عَلَيْهِ مَزِيدًا

١٠٤ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ لِمَرَاذِيَّتِهِ . أَوْصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةٌ أَنْفُسِكُمْ . وَاسْتِقَامَةٌ أُمُورِكُمْ . أَوْصِيكُمْ بِتَرْكِ الْمِرَاءِ . وَاجْتِنَابِ التَّفَاخُرِ . وَالْإِصْطِبَارِ عَلَى الْقَنَاعَةِ . وَالرَّضَا بِالْمُحْظُوظِ . وَأَوْصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ يَمَّا يَجْمَلُ . وَأَنَّكُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ يَمَّا يَفْجُرُ

قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ : الْكَمَالُ فِي خَمْسٍ . أَنْ لَا يَغِيبَ الرَّجُلُ أَحَدًا يَغِيبُ فِيهِ مِثْلُهُ . حَتَّى يَصْلِحَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَا يَفْرَغُ مِنْ إِصْلَاحِ عَيْبٍ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى آخَرٍ . فَتَشْغَلُهُ عُيُوبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يُطْلِقَ لِسَانَهُ وَيَدُهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَفِي طَاعَةِ ذَلِكَ أَمٍ فِي مَعْصِيَةٍ . وَالثَّلَاثَةُ أَنْ لَا يَلْتَمِسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُعْطِيهِمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلُهُ . وَالرَّابِعَةُ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بِاسْتِشْعَارِ مَدَارَاتِهِ وَتَوَفِّيهِمْ حُقُوقَهُمْ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يُنْفِقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ . وَيُمْسِكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ

١٠٥ قَالَ حَاتِمُ الزَّاهِدُ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ عَيْبًا فَإِنْ كَتَمْتَهُ عَنْهُ قَدْ خُتِنَتْهُ . وَإِنْ قَاتَمْتَهُ لِنَفْسِهِ قَدْ اغْتَبَتَهُ . وَإِنْ وَاجَهْتَهُ قَدْ أَوْحَشَتَهُ . فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : فَمَا الَّذِي أَضْعُ . قَالَ : تَكْنِي عَنْهُ وَتُعْرِضُ بِهِ . وَتَجْمَلُهُ فِي جَمَلَةِ الْحَدِيثِ

١٠٦ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : الْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . وَالْخَيْرُ فِيهِ مَأْمُولًا . يَفْتَدِي بِأَهْلِ الْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ . وَحَتَّى يَكُونَ الدَّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِنَ الْغَيْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَحَتَّى يَكُونَ الْفَقْرُ فِي الْحَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِنَ الْغِنَى فِي الْحَرَامِ . وَحَتَّى يَكُونَ عَيْنُهُ الْقَوْتَ . وَحَتَّى يَسْتَقِرَّ
الْكَثِيرُ مِنْ عَمَلِهِ . وَيَسْتَكْثِرَهُ مِنْ غَيْرِهِ . وَلَا يَبْرَمَ بِطَلَبِ الْحَوَائِجِ
قَبْلَهُ . وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَسْتَقِيلُ أَحَدًا إِلَّا رَأَى أَنَّهُ دُونَهُ
(للمستعصي)

١٠٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَا تَحْتَرَنَّ عَدُوًّا فِي مُخَاصَمَةٍ وَلَوْ يَكُونُ ضَعِيفَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَلَبُؤُوسَةٍ فِي الْجِرْحِ الْمُدِيدِ يَدُ قَالَ مَا قَصَرْتُ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ
١٠٨ (مِنْ الْأَفْعِ) . كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَارِثِ الْقُمْدَانِيِّ :
تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الدِّينِ . وَأَتَصَحَّهْ وَأَحِلَّ حَلَالَهُ . وَحَرَّمَ حَرَامَهُ . وَصَدَّقَ
بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا
يُشْبِهُ بَعْضًا وَآخِرُهَا لِأَحَقُّ أَوَّلُهَا . وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ . وَعَظِيمٌ أَسْمَ
اللَّهِ لَا تَذْكُرُهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ . وَكَثِيرٌ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَلَا
تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّهِ وَثِقِي . وَأَحْذَرِ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ .
وَيَكْرَهُهُ لِعَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَحْذَرِ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحْيَا
مِنْهُ فِي الْعِلَاقَةِ . وَأَحْذَرِ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سَأَلَ صَاحِبُهُ عَنْهُ أَنْكَرَهُ
وَأَعْتَدَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ الْقَوْمِ . وَلَا تُحَدِّثْ
بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا . وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ
بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا . وَكَثِيمٌ الْغَيْظُ . وَأَحْلَمُ عِنْدَ الْغَضَبِ .

وَتَجَاوَزَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . وَأَصْفَحَ عَنِ الزَّلَّةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ . وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ . وَلَا تَضِعْ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ . وَلَيَنْ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ . وَأَنَّكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذَخِيرَةً . وَمَا تُؤَخِّرُ يَكُونُ لِفَتْرِكَ خَيْرُهُ . وَأَحْذَرُ صُحْبَةٍ مَنْ تَقْبَلُ رَأْيَهُ وَتُنْكِرُ عَمَلَهُ . فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَأَحْذَرُ مَنَازِلِ الْفَقْلِ وَالْجَنَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . وَأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَنْبَغُكَ . وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مُحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِضُ الْفِتَنِ . وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي كُلِّ أَمْرٍ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا . وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَشْرَارِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ يَلْحَقُ . وَفِرْ إِلَى اللَّهِ وَاجِبٌ أَحِبَّاهُ . وَأَحْذَرِ الْقَضْبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَالسَّلَامُ

(لبهاء الدين العاملي)

نخبة من ارجوة ابن مكناس

١٠٩ هَلْ مِنْ قَتِي ظَرِيفٍ . مُعَاشِرٍ لَطِيفٍ . يَسْمَعُ مِنْ مَقَالِي . مَا يُرْخِصُ الْأَلَايَ . أَمْتَحُهُ وَصِيَّةً . سَارِيَةً سَرِيَّةً . تُبْرِئُ فِي الدِّيَاخِي . كُلْمَعَةَ السِّرَاجِ . رَشِيقَةَ الْأَلْفَاظِ . تَسْهَلُ لِلْحَفَاطِ . جَادَتْ بِهَا الْهَرَمُجَةُ . فِي مَعْرِضِ التَّصْيِيحَةِ . أَنَا الشَّفِيقُ النَّاصِحُ . أَنَا الْعَيْدُ الْمَازِحُ . إِنْ تَبَغَّ الْكِرَامَةُ . وَتَطْلُبِ السَّلَامَةُ . أَسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبَ . تَرَى مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبَ .

لِنَ لَهُمُ الْخَطَابَا. وَاعْتَمِدِ الْأَدَابَا. تَمَلَّ بِهَا الطَّلَابَا. وَتَسْخَرِ الْأَلْبَابَا.
وَلَا تَطَاوِلْ بِشَبِّ. وَلَا تَفَاخِرْ بِسَبِّ. فَالْأَرْبَابُ ابْنُ الْيَوْمِ. وَالْعَقْلُ
رَبُّنُ الْقَوْمِ. مَا أَرَوْضَ السِّيَاسَةِ. لِصَاحِبِ الرِّيَاسَةِ. إِنْ شِئْتَ تَلْقَى
مُحْسِنًا. فَلَا تُثْقِلْ يَوْمًا أَنَا. أَلِغْزِي الْأَمَانَةَ. وَالْكَسْرُ فِي الْقَطَاعَةِ.
الْقَصْدُ بَابُ الْبَرَكَةِ. وَالْخَرْقُ دَاعِي الْهَلَاكَةِ. لَا تُغْضِبِ الْجَلِيسَا.
لَا تُوحِشِ الْأَنْبِيَا. لَا تُضَيِّبِ الْحَسِيْسَا. لَا تُسْخِطِ الرِّيَاسَا. لَا تُكْثِرِ
الْعِتَابَا. تُثَقِّرِ الْأَصْحَابَا. فَكَثْرَةُ الْمَعَاتِبَةِ. تَدْعُو إِلَى الْمُجَانَبَةِ. وَإِنْ
حَلَلْتَ مَجْلِسًا. بَيْنَ سَرَاةِ رُؤَسَا. إقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَةِ. وَكُنْ غُلَامَ
الطَّاعَةِ. وَدَارِهِمْ بِاللُّطْفِ. وَأَحْذَرْ وَبَالَ السُّخْفِ. وَأَخْصِرِ السُّؤَالَ.
وَقَلِّلِ الْمَقَالَ. وَلَا تَكُنْ مُعْرِيدًا. وَلَا بَغِيضًا نَكِدًا. لَا تُحْمِلِ الطَّلَامَا.
وَالثَّقَلَ وَالْمُدَامَا. فَذَاكَ فِي الْوَلِيَّةِ. شِنَاعَةُ عَظِيمَةٍ. لَا يَرْضِيهَا آدَمِي.
غَيْرُ مِقْلٍ عَادِمٍ. وَقُلْ مِنْ الْكَلَامِ. مَا لَاقَ بِالْمُدَامِ. كَرَاتِي الْأَشْعَارِ.
وَطَيْبِ الْأَخْبَارِ. وَأَتْرُكْ كَلَامَ السَّفَلَةِ. وَأَلْكَتِ الْمُبْتَدَلَةَ. إِيَّاكَ
وَالْأَطْفِيَالَ. وَشُومَةُ الْوَلِييَلَا. وَلَا تَكُنْ مَبْذُولًا. وَلَا تَكُنْ مَلُولًا. أَلْجُلْ لَا
تَأْلُفُهُ. وَالْجُلْ لَا تَصْدِفُهُ. وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبُّ. ضَيْفُ الْكِرَامِ
يَضْطَحُّ. وَلَا تَكُنْ مُلْحَا. وَاجْتَنِبِ الْمَزَاحَا. فَكَثْرَةُ الْمُجُونِ. نَوْعٌ
مِنَ الْجُنُونِ. فَالْشُّومُ فِي اللَّجَاجِ. وَالْخَرْقُ لَا يُدَاجِي. وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ.
لِلْأَنْفُسِ الْآلِيَّةِ. أَخْتَارُهَا لِنَفْسِي. وَإِخْوَتِي وَجِلْسِي. فَهَا كَمَا وَصِيَّةُ.
تَضَعُهَا التَّحِيَّةُ. تَحْمِلُهَا الْكِرَامُ. إِلَيْكَ وَالسَّلَامُ

١١٠ إني ناصحك ببعض نصائح أقبها مني لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيامة . تعمل منها وتدع منها . وأما ما تدع فالأول أن لا تناظر أحدا في مسئلة ما استطعت . لأن فيها آفة كثيرة وإيها في نفعها كبير إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرثاء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها . نعم لو وقع مسئلة بينك وبين شخص أو قوم وكان إرادتك فيها أن تظهر الحق جازاك ألبحث لكن تلك الإرادة علامتان . إحداهما أن لا تفرق بين أن يكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك . وثانيتها أن يكون ألبحث في الخلاء أحب إليك من أن يكون في الملأ . والثاني مما تدع وهو أن تحذر وتحترز من أن تكون واعظا ومذكرا لأن آفته كثيرة إلا أن تعمل بما أمول أولا ثم تعظ به الناس ففكر فيما قيل لبعضهم : عظ نفسك فإن اتعظت فيعظ الناس وإلا فاستغني ربك إن أبليت بهذا العمل

وأما ما ينبغي لك أن تفعله . فالأول أن تجعل معاملتك مع الله تعالى . بحيث لو عمل معك بها عبدك رضى بها منه . ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب . وما لا ترضى لنفسك من عبدك المجازي فلا ترض به لله تعالى وهو سيدك الحقيقي . والثاني كلما عملت بالناس أجعل كما رضى لنفسك منهم . لأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لسان الناس ما يحب لنفسه . والثالث إذا قرأت آله

أَوْ طَالَمَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يُضِلُّ قَلْبَكَ وَدُرِّي نَفْسَكَ
(أيها الولد للغزالي)

(من كلام مرقى الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى)

١١١ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى
مَنَامِكَ . وَتَنْظُرَ مَا أَكْتَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَتَشْكُرَ اللَّهَ عَلَيْهَا .
وَمَا أَكْتَسَبْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَتَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِنْهَا وَتُقْلِعَ عَنْهَا . وَتَرْتَّبَ فِي
نَفْسِكَ مَا تَعْمَلُهُ فِي غَدِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ . وَتَسْأَلَ اللَّهَ الْإِعَانَةَ عَلَى
ذَلِكَ

وَقَالَ : أَوْصِيكَ أَلَّا تَأْخُذَ الْمُلُومَ مِنَ الْكُتُبِ وَإِنْ وَثِقَتْ
مِنْ نَفْسِكَ بِقُوَّةِ أَهْلِهِمْ . وَعَلَيْكَ بِالْأَسَاطِينِ فِي كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ
اِكْتِسَابَهُ . وَلَوْ كَانَ الْأَسَاطُ نَاقِصًا فَخُذْ عَنْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى تَجِدَ أَكْمَلَ
مِنْهُ . وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَتَرْجِيئِهِ وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ
فَأَفْعَلْ . وَإِلَّا فِلِسَانَكَ وَتَنَائِكَ . وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا فَأَحْرَصْ كُلَّ
أَحْرَصٍ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَتَمْلِكَ مَعْنَاهُ . وَتَوْهَمَ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عُدِمَ
وَأَنَّكَ مُسْتَعْنٍ عَنْهُ وَلَا تَحْزَنُ لِقَعْدِهِ

وَإِذَا كُنْتَ مُكَبِّبًا عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفْهِهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ
بِأَحْرَمَةٍ . وَأَصْرِفِ الزَّمَانَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ . وَإِيَّاكَ
أَنْ تَشْتَغَلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَوَاطِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ سَنَةً أَوْ
سَنَتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ . وَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطْرَكَ . فَأَنْتَهِلْ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ

وَلَا تَنْظُرْ أَنْتَ إِذَا حَصَلَتْ عِلْمًا فَقَدْ اكْتَفَيْتَ . بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى
مُرَاعَاةِ لِيَشِي وَلَا يَنْقُصَ . وَمُرَاعَاةُهُ تَكُونُ بِالْمَذَاكِرَةِ وَالتَّفَكُّرِ
وَالِشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالْتَّحْفِظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَةِ الْأَقْرَانِ وَاشْتِغَالِ
الْعَالَمِ بِالْتَّعْلِيمِ وَالْإِصْنِيفِ . وَإِذَا أَصَدَيْتَ لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ لِلْمُنَظَرَةِ
فِيهِ فَلَا تَمْرُجْ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْمُلُومِ . فَإِنْ كُلَّ عِلْمٍ مَكْتَفٍ بِنَفْسِهِ مُسْتَعْنٍ
عَنْ غَيْرِهِ . فَإِنَّ اسْتِمَاتِكَ فِي عِلْمٍ يَعْلَمُ عَجْزٌ عَنْ اسْتِيفَاءِ أَقْسَامِهِ
كَمَنْ يَسْتَعِينُ بِلُغَةٍ فِي لُغَةٍ أُخْرَى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَهَلَ بَعْضَهَا
قَالَ : وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السَّيَرِ
وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ . فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمْرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَذْرَكَ الْأُمَمَ
الْحَالِيَةَ وَعَاصِرَهُمْ وَعَاشِرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ
قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تَحْسِنَ الْغَنَاءَ بِهَا .
وَتَعْرِضْ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ . وَتَبَيَّنْ وَلَا تَجْهَلَ
وَلَا تُعْجِبَ . فَمَعَ الْعُجْبِ الْمُنَارُ وَمَعَ الْإِسْتِبدَادِ الزَّلُّ . وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ
جَنَّتُهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُعْرِقْ فِي الْقَضِيَّةِ . وَمَنْ لَمْ يُحْلِلْهُ لَمْ
يُجِلِّهِ النَّاسُ . وَمَنْ لَمْ يُكْتَوِّهُ . لَمْ يُسَوِّدْ . وَمَنْ لَمْ يُحْتَمِلْ لَمْ يُتَعَلَّمْ .
لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ . وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ . لَمْ يُفْلِحْ . وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ
وَالْتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِتَسَابُحِهِ . وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ
فَيَتَسَرَّبُ لُبُّكَ وَيُجَنِّ فِي خَيَالِكَ . وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي مَنَامِكَ . وَإِذَا
حَدَّثَ لَكَ قَرَحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَادْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

الزَّوَالِ وَأَصْنَافَ الْمُنِصَّاتِ . وَإِذَا أَخْرَجْتَ أَمْرًا فَاسْتَرْجِعْ . وَإِذَا
 اعْتَرَتْكَ غَفْلَةٌ فَاسْتَغْفِرْ . فَاجْعَلِ الْمَوْتَ نَضَبَ عَيْنِكَ وَالْعِلْمَ وَالْتِقَى
 زَادَكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى فَاطْلُبْ مَكَانًا
 لَا يَرَاكَ فِيهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عُيُونُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ يُرِيهِمْ خَيْرَهُ
 وَإِنْ أَخْفَاهُ . وَشَرُّهُ وَإِنْ سَتَرَهُ . فَبَاطِنُهُ مَكْشُوفٌ لِلَّهِ . وَاللَّهُ يَكْشِفُهُ
 لِعِبَادِهِ . فَمَلِكُكَ أَنْ تَجْعَلَ بَاطِنَكَ خَيْرًا مِنْ ظَاهِرِكَ . وَسِرِّكَ أَصَحَّ مِنْ
 عَلَانَتِكَ

وَلَا تَتَأَلَّمْ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْكَ الدُّنْيَا . وَلَوْ عَرَضَتْ لَكَ لَشَفَلَتْكَ
 عَنْ كَسْبِ الْفَضَائِلِ . وَقَلِّمَا يَتَعَلَّقُ فِي الْعِلْمِ ذُو الثَّرْوَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 شَرِيفَ الْهِمَّةِ جَدًّا . وَأَنْ يُثْرِيَ قَبْلَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَإِنِّي لَا أَقُولُ :
 إِنَّ الدُّنْيَا تُعْرَضُ عَنْ طَالِبِ الْعِلْمِ بَلْ هُوَ الَّذِي يُعْرَضُ عَنْهَا . لِأَنَّ
 هِمَّتَهُ مَصْرُوفَةٌ إِلَى الْعِلْمِ فَلَا يَبْقَى لَهُ الْتِفَاتٌ إِلَى الدُّنْيَا . وَالدُّنْيَا إِنَّمَا
 تَحْصُلُ بِمَحْرُوصٍ وَفِكْرٍ فِي وَجْهِهَا . فَإِذَا غَفَلَ عَنْ أَسْبَابِهَا لَمْ تَأْتِهِ .
 وَأَيْضًا فَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَشْرَفُ نَفْسُهُ عَنِ الصَّنَائِعِ الرَّذَلَةِ
 وَالْمَكَايِبِ الدَّيْنِيَّةِ . وَعَنْ أَصْنَافِ التِّجَارَاتِ . وَعَنِ التَّذَلُّلِ لِأَرْبَابِ
 الدُّنْيَا . وَالْوُقُوفِ عَلَى آبَائِهِمْ . وَبَعْضِ إِخْوَانِنَا يَنْتَبِهُ :

مَنْ جَدَّ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ أَفَادَهُ شَرَفُ الْعُلُومِ دَنَاءَةٌ التَّحْصِيلِ
 وَجَمِيعُ طُرُقِ مَكَايِبِ الدُّنْيَا تَحْتَاجُ إِلَى قَرَاغٍ لَهَا . وَحِذْقٍ فِيهَا .
 وَصَرَفِ الزَّمَانِ إِلَيْهَا . وَالْمُسْتَعِشِلُ بِالْعِلْمِ لَا يَسْمَعُ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ .

وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الدُّنْيَا بِلا سَبَبٍ . وَتَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطَّاهَا
 طَلَبَ مِثْلَهَا . وَهَذَا ظُلْمٌ مِنْهُ وَعُدْوَانٌ . وَلَكِنْ إِذَا تَمَكَّنَ الرَّجُلُ فِي
 الْعِلْمِ وَشَهْرَتِهِ خُطِبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَغُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاصِبُ وَجَاءَتْهُ
 الدُّنْيَا صَاعِرَةً فَأَخَذَ مَا أَهْدَتْهُ وَمَا وَجَّهَ مُوقِرٌ . وَغُرِضَ وَدِينُهُ مَصُونٌ
 وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلْعِلْمِ عِبَقَةً وَعَرَفًا يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ . وَنُورًا وَضِيَاءً
 يُشْرِقُ عَلَيْهِ وَيَدِلُّ عَلَيْهِ . كِتَابٌ مِسْكٌ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ . وَلَا تُجْمَلُ
 بِضَاعَتُهُ . وَكَمَنْ يَمْشِي بِمِشْعَلٍ فِي لَيْلٍ مُذْلِمٍ . وَالْعَالَمُ مَعَ هَذَا
 مَحْبُوبٌ أَيْنَ مَا كَانَ . وَكَيْفَ مَا كَانَ لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ . وَيُؤْوِ
 قُرْبَهُ وَيَأْنَسُ بِهِ . وَيَرْتَاحُ بِمُدَانَاتِهِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعُلُومَ تَعُورُ . ثُمَّ تَعُورُ . تَعُورُ فِي زَمَانٍ . وَتَعُورُ فِي
 زَمَانٍ . بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ أَوْ عُيُونِ الْمَيَّاهِ . وَتَنْقُصُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ .
 وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ

قَالَ : أَجْمَلُ كَلَامِكَ فِي الْغَائِبِ بِصِفَاتٍ أَنْ يَكُونَ وَجِيزًا
 فَصِيحًا فِي مَعْنَى مُهِمٍّ أَوْ مُسْتَحْسَنٍ . فِيهِ الْفَاذُ مَا وَإِيَّاهُمْ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ .
 وَلَا تُجْمَلُهُ مَهْلًا كَكَلَامِ الْجُمْهُورِ بَلْ رَفَعَهُ عَنْهُمْ وَلَا تَبَاعَدُهُ عَلَيْهِمْ جِدًّا
 وَقَالَ : إِيَّاكَ وَالْمَذَرُ وَالْكَلَامَ فِيمَا لَا يَنْبَغِي . وَإِيَّاكَ وَالسُّكُوتَ فِي
 حَقِّ الْحَاجَةِ وَرُجُوعِ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ . إِمَّا لِاسْتِخْرَاجِ حَقٍّ . أَوْ اجْتِلَابِ
 مَوَدَّةٍ . أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةٍ . وَإِيَّاكَ وَالصَّحِيحَ مَعَ كَلَامِكَ . وَكَثْرَةَ
 الْكَلَامِ . وَتَبْتِيرَ الْكَلَامِ . بَلْ أَجْمَلُ كَلَامِكَ سَرْدًا بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ .

بِحَيْثُ يُسْتَشْمَرُ مِنْكَ أَنْ وَرَاءَهُ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَأَنَّهُ عَنْ خَبَرَةٍ سَابِقَةٍ .
وَنَظَرٍ مُتَقَدِّمٍ

وَقَالَ : إِيَّاكَ الْغَلْظَةُ فِي الْخُطَابِ . وَالْجَهَاءُ فِي الْمُنَاطَرَةِ فَإِنَّ
ذَلِكَ يَذْهَبُ بِهَيْجَةِ الْكَلَامِ وَيُسْقِطُ قَائِدَتَهُ . وَيُعِدُّ حَلَاوَتَهُ . وَيَجْلِبُ
الضَّغَائِنَ . وَيُخَيِّقُ الْمَوَدَّاتِ . وَيُصَيِّرُ الْقَارِئَ مُسْتَشْفِلًا . سَكُونُهُ أَشْهَى
إِلَى السَّمْعِ مِنْ كَلَامِهِ . وَيُثِيرُ النُّفُوسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَسْطُ
الْأَلْسُنَ بِخَاشَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ

وَقَالَ : لَا تَرْفَعْ بِحَيْثُ تُسْتَقْبَلُ . وَلَا تَنْتَازِلْ بِحَيْثُ تُسْتَحْشَرُ
وَلْتَسْتَحْشَرُ . وَقَالَ : أَجْمَلُ كَلَامِكَ كُلُّهُ جَدَلًا . وَأَجِبُ مِنْ حَيْثُ تُعْقِلُ .
لَا مِنْ حَيْثُ تُتَعَادُ وَتَأَلَّفُ . وَقَالَ : أَنْتَرِخَ عَنْ عَادَاتِ الصَّبَا . وَتَجَرَّدَ
عَنْ مَأْلُوفَاتِ الطَّبِيعَةِ . وَأَجْمَلُ كَلَامِكَ لَاهُوتِيًّا فِي الْغَالِبِ لَا يَنْفَكُ
عَنْ خَبَرٍ أَوْ قَوْلٍ حَكِيمٍ . أَوْ بَيْتٍ نَادِرٍ . أَوْ مَثَلٍ سَائِرٍ

وَقَالَ : تَجَنَّبِ الْوَقِيعَةَ فِي النَّاسِ . وَتَلَبَّ الْمُلُوكَ وَالْغَلْظَةَ عَلَى
الْمُعَاشِرِ . وَكَثْرَةَ الْفُضْبِ . وَتَجَاوَزَ الْحَدْفِيهِ . وَقَالَ : أَسْتَكْثِرُ مِنْ
حِفْظِ الْأَشْعَارِ الْأَمَنَالِيَةِ . وَالنُّوَادِرِ الْحِكْمِيَةِ . وَالْمُعَانِي الْمُسْتَعْرَبَةِ



الكتاب الرابع في الأمثال السائرة

من نثر اللآلي لعلي بن أبي طالب

١١٢ (١). إِيْمَانُ الْمَرْءِ يُعْرِفُ بِإِيْمَانِهِ . أَدَبُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ .
 أَدَاءُ الدِّينِ مِنَ الدِّينِ . أَحْسَنُ إِلَى الْمَسِيءِ تَسَدُّ . إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ
 جَوَاسِيْسُ الْعُيُوبِ . أَخُوكَ مَنْ وَاسَاكَ يَنْشَبُ لَأَمِنْ وَاسَاكَ يَنْسَبُ .
 (ب) . بَشِّرْ نَفْسَكَ بِالظَّفَرِ بَعْدَ الصَّبْرِ . بَرَكَةُ الْمَالِ فِي أَدَاءِ الزَّكَاةِ .
 جِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ تَرْجُحُ . بَكَاءُ الْمَرْءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى قُرَّةُ الْعَيْنِ .
 بَاكِرٌ تَسْعَدُ . بَطْنُ الْمَرْءِ عَدُوُّهُ . بَرَكَةُ الْعَمْرِ حَسَنُ الْعَمَلِ . بَلَاءُ
 الْإِنْسَانِ مِنَ اللِّسَانِ . بَشَاشَةُ الْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ . (ت) . تَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ يَكْفِكَ . تَدَارَكَ فِي آخِرِ الْعُمْرِ مَا قَاتَكَ فِي أَوَّلِهِ . تَكَاسَلُ الْمَرْءِ
 فِي الصَّلَاةِ مِنْ ضَعْفِ الْإِيْمَانِ . تَغَافَلُ عَنِ الْمَكْرُوهِ تُوَقَّرُ . (ث) ثَلَمَةُ
 الدِّينِ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ . ثَبَاتُ الْمُلْكِ بِالْعَدْلِ . ثَوَابُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ
 نَعِيمِ الدُّنْيَا . ثَمَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مُعْطِيهِ مُسْتَرِيدٌ . (ج) . جُذْبًا يَجْدُ .
 جَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ وَجَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . جَوْدَةُ الْكَلَامِ
 فِي الْإِخْتِصَارِ . جَلِيسُ الْمَرْءِ مِثْلُهُ . جَلِيسُ الْمَرْءِ غَنِيْمَةٌ . جَالِسُ الْفُقَرَاءِ
 تَزْدُ شُكْرًا . جَلٌّ مَنْ لَا يَمُوتُ . (ح) . حَيَاءُ الْمَرْءِ سِتْرُهُ . هَوَاضَاتُ
 الطُّعَامِ . خَيْرٌ مِنْ هَوَاضَاتِ الْكَلَامِ . (خ) . خَفِيَ اللَّهُ تَأْمِنْ غَيْرُهُ .

خَالَفَ نَفْسَكَ تَسْتَرِخْ. خَيْرُ الْأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الْخَيْرِ. حَلِيلُ
 الْمَرْءِ دَلِيلُ عَمَلِهِ. خَوْفُ اللَّهِ يُجْلُو الْقَلْبَ. خُلُو الْقَلْبَ خَيْرٌ مِنْ مَلَأْ
 الْكَيْسَ. خَيْرُ الْمَالِ مَا أَتَقَّقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (د). دَلِيلُ عَمَلِ الْمَرْءِ
 فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ. دَوَامُ السُّرُورِ بِرُؤْيَا الْإِخْوَانِ. دَوْلَةُ
 الْأَرْذَالِ آفَةُ الرِّجَالِ. دِينَ الرَّجُلِ حَدِيثُهُ. دَوْلَةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ.
 دَارِ مَنْ جَفَاكَ تَحْجِيلًا. دَمٌ عَلَى كَظْمِ الْفَيْضِ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُكَ. (ذ). ذَنْبٌ
 وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَأَلْفٌ طَاعَةٌ قَلِيلٌ. ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ.
 ذَلِيلُ الْخَلْقِ عَزِيزٌ عِنْدَ اللَّهِ. ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلَاءُ الْقَلْبِ. ذِكْرُ الشَّبَابِ
 حَسْرَةٌ. (ر). رُؤْيَا الْحَبِيبِ جَلَاءُ الْعَيْنِ. رَقَاهِيَةُ الْعَيْشِ فِي الْأَمْنِ.
 رَسُولُ الْمَوْتِ الْوَلَادَةُ. (ز). زِيَارَةُ الْحَبِيبِ إِطْرَاءُ الْحُبِّ. زَوَايَا
 الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالرَّزَايَا. زِيَارَةُ الضُّعَفَاءِ مِنَ التَّوَّاصِعِ. زِينَةُ الْبَاطِنِ
 خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الظَّاهِرِ. (س). سِيرَةُ الْمَرْءِ تُنَبِّئُ عَنْ سَرِيَّتِهِ. سُمُو
 الْمَرْءِ التَّوَّاصِعُ. (ش). شَيْنُ الْعِلْمِ الصَّافُ. شَمِّرُوا فِي طَلَبِ الْجَنَّةِ.
 شَيْبُكَ نَاعِيكَ. شَحِيجٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ تَخَنُّجِي. (ص). صِدْقُ الْمَرْءِ
 نَجَاتُهُ. صِحَّةُ الْبَدَنِ فِي الصَّوْمِ. الصَّبْرُ يُورِثُ الظَّفَرَ. صَلَاةُ الْآبِلِ
 بَهَاءُ النَّهَارِ. صَلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ. صَاحِبُ الْأَخْيَارِ.
 تَأْمَنُ الْأَشْرَارَ. صَمْتُ الْجَاهِلِ سِتْرُهُ. صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْوَرَعِ وَقَسَادُهُ
 فِي الطَّمَعِ. (ض). ضَلَّ سَبْعِي مِنْ رَجَائِعِ اللَّهِ تَعَالَى. ضَرْبُ الْحَبِيبِ
 أَوْجَعُ. ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الْأَشْرَارِ. (ط). طَابَ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ. طَلَبُ

الْأَدَبُ أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ الذَّهَبِ . (ظ) . ظَلَمَ الْمَرْءُ يَصْرَعُهُ . ظُلَامَةٌ
 الْمَظْلُومِ لَا تَضِيغُ . ظُلْمًا أَمَّا أَلْأَشَدُّ مِنْ ظُلْمِ الْمَاءِ . ظِلُّ غَمْرِ الظَّالِمِ قَصِيرٌ .
 وَظِلُّ غَمْرِ الْكَرِيمِ فَسِيحٌ . (ع) . عِشْ قَتْمًا تَكُنْ مَلَكًا . عَيْبُ الْكَلَامِ
 تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ الظَّالِمِ وَخِيَمَةٌ . (غ) . غَدَرَكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْإِسَاءَةِ .
 (ف) . فَازَ مَنْ ظَهَرَ بِالْإِيمَانِ . فَخَرُ الْمَرْءُ بِفَضْلِهِ . أَوَّلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ .
 فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةٌ مِنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ
 الْحَقِّ مِنَ الدِّينِ . (ك) . كَلَامُ اللَّهِ دَوَاءُ الْقَلْبِ . كُفْرَانُ النِّعَةِ
 مُزِيلُهَا . كَفَى بِالشَّيْبِ دَاءً . كَمَالَ الْعَالَمِ فِي الْحِلْمِ . (ل) . لِيَزِ الْكَلَامُ
 قَيْدَ الْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ . كَثُرَ مَلَامُهُ . مَجَالِسُ الْعَالَمِ
 رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ . مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ ذُكُوبُ الْبَحْرِ . (ن) .
 نَسْيَانُ الْمَوْتِ صَدَأُ الْقَلْبِ . ثُمَّ آمِنًا تَكُنْ فِي أَهْدَى الْفُرُشِ . نَضْرَةٌ
 أَلْوَجُهُ فِي الصِّدْقِ . (و) . وَلَا يَهُ الْأَحَقُّ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . وَخَدَةٌ
 الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّودِ . (ه) . هَمُّ السَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ الشَّقِيِّ
 دُنْيَاهُ . هَالِكُ الْأَرْدِ فِي الْعَجَبِ . هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ
 مِنَ الْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ . لَا فَرْقَ لِعَاقِلٍ . (ي) .
 يَعْمَلُ السَّمَاءُ فِي سَاعَةِ فِتْنَةِ أَشْهَرِ . يَسُودُ الْمَرْءُ قَوْمَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

نَبذة

من كتاب غرر الحكم ودرر الكلم حمة عبد الواحد بن محمد من كلام علي بن أبي طالب

١١٣ (١) . الدِّينُ يَعْصِمُ . الدُّنْيَا تُسْلِمُ . الصِّيَانَةُ رَأْسُ الْمَرْوَةِ . الْحَقُّ

سَيْفُ قَاطِعٌ. أَلْتَجِبُ عُنَوَانَ الْحَمَاقَةِ. أَلْبَشَاشَةُ حَبْلِ الْمَوَدَّةِ. أَلِارْتِقَاءُ
إِلَى الْقَضَائِلِ صَبٌّ. أَلِإِثْطَاطٌ إِلَى الرِّذَائِلِ سَهْلٌ. أَلْسُكُوتٌ عَنْ
الْأَهْقِ جَوَابُهُ. إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ. أَلْحُسْنُ حَيٌّ وَإِنْ
نُفِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ. أَلْعَاقِلُ إِذَا سَكَتَ فَكَّرَ. وَإِذَا نَطَقَ ذَكَّرَ
وَإِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ. أَلْدَّاعِي بِإِلَاعَمَلٍ كَالْقَوْسِ بِإِلَاوَتِهِ. إِعْجَابُ الرَّجُلِ
بِنَفْسِهِ عُنَوَانُ ضَعْفِ عَقْلِهِ. أَحْسَنُ الْجُودِ عَفْوٌ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ. (ب).
يَرْكُوبُ الْأَهْوَالِ. تُكْسَبُ الْأَمْوَالُ بِالسَّخَاءِ يُسْتَرُّ الْعُيُوبُ. (ت).
تَكَلَّمُوا تَعْرِفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ تَحْبُوهُ تَحْتَ لِسَانِهِ. (ث). تَوْبُ التَّائِبِ أَشْرَفُ
الْمَلَائِسِ. تَوْبُ الْآخِرَةِ يُدْخِلُ مَشَقَّةَ الدُّنْيَا. ثَرْوَةُ الْعَاقِلِ فِي عِلْمِهِ
وَثَرْوَةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ. ثَلَاثٌ يُوجِبْنَ الْحُبَّةَ الدِّينَ وَالتَّوَّاضِعَ وَالسَّخَاءَ.
(ج). جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ. (ح). حُسْنُ الْأَدَبِ يُسْتَرُّ فُجَعُ
النَّسَبِ. حَلَاوَةُ الظَّفَرِ تَحْوِي مَرَارَةَ الصَّبْرِ. حَدُّ اللِّسَانِ يَقْطَعُ
الْأَوْصَالَ. (خ). خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا جَرَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَخْيَارِ. (د). دَوَامُ
الْفَقْرِ مِنْ أَعْظَمِ الْبَحْنِ. (ر). رَبُّ سُكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ.
(ز). زَلَّةُ الْعَالِمِ كَأَنْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَغْرَقُ وَتُغْرَقُ مَعَهَا غَيْرُهَا.
زَخَارِفُ الدُّنْيَا تُقْسِدُ الْعُمُولَ الضَّعِيفَةَ. (س). سِلَاحُ اللَّامِ فُجَعُ
الْكَلَامِ. سَمْعُ الْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ. (ش). شَرُّ النَّاسِ مَنْ
لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا. شَيْنَانٌ لَا يُعْرِفُ فَضْلَهُمَا إِلَّا مِنْ
قَشْدِهِمَا الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ. (ص). صَمْتُكَ حَتَّى تُسْتَنْطِقَ أَجَلُ مِنْ

نُطْفِقَ حَتَّى تُسَكَّتَ . صَوْمُ النَّفْسِ عَنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا أَفْضَلُ الصِّيَامِ .
صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ . (ض) . ضَمُّ فَحْرِكَ وَأَحْطَطُ كِبْرِكَ
وَكَمَا تَرَعُ تَحْصُدُ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . ضَنْفُ الْبَصْرِ لَا يَضُرُّهُمَ اسْتِنَارَةُ
الْبَصِيرَةِ . (ط) . طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ . وَمَلِكُ هَوَاهُ
وَلَمْ يَمْلِكْهُ . طَلَبُ الثَّنَاءِ يَغَيِّرُ اسْتِحْقَاقِ خُرْقٍ . (ظ) . ظَنُّ الْعَاقِلِ
أَصَحُّ مِنْ يَقِينِ الْجَاهِلِ . ظَرْفُ الرَّجُلِ تَزْهِيهِ عَنِ الْحَارِمِ وَمُبَادَرَتُهُ
إِلَى الْمَكَارِمِ . (ع) . عَلَيْكَ بِالْآخِرَةِ تَأْتِكَ الدُّنْيَا صَاحِرَةً . عِنْدَ
الْإِمْتِحَانِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ . عَجِثُ لِعَامِرٍ دَارُ الْقَنَاءِ وَتَارِكُ دَارِ
الْبَقَاءِ . عَجِثُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ . عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذْلُ
مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ . عَبْدُ الْمَطَامِعِ أَسِيرٌ لَا يُفَكُّ أَسْرَهُ . عَاشِرُ أَهْلِ
الْفَضَائِلِ تَنْبُلُ . عِدَاوَةُ الْأَقَارِبِ أَمْسُ مِنْ لَسَعِ الْعُقَارِبِ . (غ) .
غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ . غِنَى الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ . غِنَى الْعَاقِلِ
فِي حِكْمَتِهِ . غِنَى الْجَاهِلِ فِي قُنَيْتِهِ . (ف) . فِي الذِّكْرِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ .
فِي رِضَا اللَّهِ نَيْلُ الْمَطْلُوبِ . فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ . فِي الْآخِرَةِ
الْحِسَابُ وَلَا عَمَلٌ . فِي الْاسْتِشَارَةِ عَيْنُ الْهُدَايَةِ . فَهْدُ الْبَصْرِ أَهْوَنُ مِنْ
فَهْدِ الْبَصِيرَةِ . (ق) . قَدْ يَبْعُدُ الْقَرِيبُ . قَدْ يَلِينُ الصَّالِبُ . قِلَّةُ الْأَكْلِ
تَقْتُمُ كَثِيرًا مِنْ أَغْلَالِ الْجِسْمِ . قُلُوبُ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ عَالِيكَ . قَلِيلُ الْحَقِّ
يَدْفَعُ كَثِيرَ الْبَاطِلِ كَمَا أَنَّ قَلِيلَ النَّارِ يُحْرِقُ كَثِيرَ الْحَطَبِ . (ك) . كُلُّ
طَيْرٍ يَأْوِي إِلَى شَكْلِهِ . كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . كُلُّ

وَعَاءٌ يَصِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا أَلِمْ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ
عَلَقٍ . كَيْفَ يَنْجُو مِنَ اللَّهِ هَارِبُهُ . كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ . كُنْ
عَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا . كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ . كُلَّمَا فَارَبْتَ
أَجَلًا . فَأَحْسِنْ عَمَلًا . (ل) . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ . تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ .
لِلشَّدَائِدِ تُذْخِرُ الرِّجَالَ . (م) . مَنْ تَوَقَّرَ وَقِرَ . وَمَنْ تَكَبَّرَ حَقَّرَ . مَنْ
اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ . مَا حَقَّرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ .
مَا أَنْجَبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ . (ن) . نِعْمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ . (ه) . هُدًى مَنْ
أَطَاعَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . هَلَكَ أَمْرُهُ لَا يَعْرِفُ قُدْرَهُ . هَانَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهِ لِسَانُهُ . (و) . وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ تَوَقَّرْكُمْ صَغَارَكُمْ .
وَقَارُ الشَّيْبِ أَجَلُ مَنْ نَضَارَةُ الشَّبَابِ . (لا) . لَا تَتَّقَنَّ بَعْدَ مَنْ لَا
دِينَ لَهُ . لَا تَعِدْ مَا تَعْجِزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ . لَا تَتَّقِ بَيْنَ يَدَيْكَ سِرَّكَ . لَا
يَسْتَرْفِكَ الطَّمَعُ قَدَّمَ جَمْعَكَ اللَّهُ حُرًّا . (ي) . يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ
بِحَسَنِ بَشَرِهِ وَبَذَلِ خَيْرِهِ . يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعِ تَضْيِيعِ
الْأُصُولِ وَالْتِمَاسِكَ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمِ الْأَزْدَالِ وَتَأْخِيرِ الْأَفْصَلِ .
يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ . مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِأَحْيَالِهِ

نَجَّةٌ لِمِثَالِ اتِّقَاتِهَا الْإِنشِيقِ

١١٤ (١) . إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ . حَلَّ الْبَلَاءُ . إِذَا أَصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ
فَأَسْرَهُ وَإِذَا أَصْطَنَعْتَ إِلَيْكَ فَأَنْشَرَهُ . أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ
الشَّهْوَةُ دِينَهُ . أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِعَاثَةُ الْمَلُوفِ . أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

أَحْسَنُهُمْ لِقَاءً . إِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَنَ .
وَيُجَرِّدُكَ مِنْ عَدْوِكَ مَا سَكَنَ . (ب) بِالتَّائِي تَسْهَلُ الطَّلَابُ . بِتَقْضِ
الْجَانِبِ تَأْنِسُ النَّفُوسُ . (ث) ثَمَرَةُ الْمَلُومِ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُومِ . (ح) .
الْحَازِمُ مَنْ حَفِظَ مَا فِي يَدِهِ . وَلَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِفَعْدِهِ . حَقَّ يَضْرُ
خَيْرٌ مِنْ بَاطِلٍ يَسْرُ . (خ) خَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ الْحَرْصَ مِنْ قَلْبِهِ .
وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أَخِذَ مِنَ الْحَلَالِ . وَصُرِفَ فِي
النَّوَالِ . (ر) الرِّفْقُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ . (ش) شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَنْصُرُ
الظَّالِمَ وَيَخْذُلُ الْمَظْلُومَ . (ص) . صَاحِبُ الْعَقْلِ مَغْبُوطٌ . صَدَاقَةُ
الْجَائِلِ تَبُ . (ع) عَامٌ لَا يَنْفَعُ . كَدَوَاهُ لَا يَجْعُ . عِظَةُ الْمُسِيِّ بِحُسْنِ
أَفْعَالِكَ . وَدُلَّ عَلَى الْجَمِيلِ بِالْجَمِيلِ خِلَالِكَ . عَثْرَةُ الزَّجَلِ تَزِيلُ
الْقَدَمَ . وَعَثْرَةُ اللِّسَانِ تَزِيلُ النِّعَمَ . الْعَجَلَةُ أُخْتُ التَّدَامَةِ . (ق) . قَدْ
خَاطَرَ مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . (ك) . كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجُمَانُ عَقْلِهِ .
كُلُّ يَهْرٍ مِنْ ضِدِّهِ وَيَمِيلُ إِلَى جَنْبِهِ . (ل) . لَا تَفْتَحْ بَابًا يَمِيكُ
سَدُّهُ . أَلْسَانُ سَيْفٍ قَاطِعٌ لَا يَوْمَ مِنْ حُدُّهُ . وَالْكَلَامُ سَهْمٌ نَافِذٌ لَا
يُمْكِنُ رَدُّهُ . لَا يَجِدُ النُّجُولُ قَرَحًا وَلَا النُّعُوبُ سُرُورًا وَلَا الْمُلُوكُ
صَدِيقًا . لَا يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ وَدُودٍ يَمْدَحُ وَعَدُوٍّ يَقْدَحُ . (م) . مَنْ طَاعَ
هَوَاهُ . بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ . مَنْ لَزِمَ الطَّمَعِ عَدِمَ الْوَرَعَ . مَنْ قَرَّبَ السُّفْلَةَ
وَأَطْرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ . مَنْ عَفَا تَفَضَّلَ .
مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ قَهَّدَ حِلْمَ . مَنْ حَلَمَ قَهَّدَ صَبْرَ . مَنْ صَبَرَ قَهَّدَ ظَفَرَ . مَنْ

أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ سُمِّمَ . وَمِنْ سُؤَالِهِ حُرْمَ . مَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَيْطَ أَجْرُهُ .
 مَنْ رَجَعَ فِي هَيْبِهِ بَالِغٌ فِي خُسْتِهِ . مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَلٌّ . وَمَنْ جَادَ
 بِعِرْضِهِ ذَلٌّ . مَنْ حَفَرَ خَيْرًا لِأَخِيهِ كَانَ خُتْفُهُ فِيهِ . مَنْ قَالَ مَا لَا
 يَنْبَغِي سَمِعَ مَا لَا يَسْتَحْيِي . مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ عَدِمَ الْمُرَادَ . مَنْ نَظَرَ فِي
 الْعَوَاقِبِ . سَلِمَ مِنَ التَّوَابِ . مَنْ أَسْرَعَ فِي الْجَوَابِ . أَخْطَأَ فِي
 الصَّوَابِ . مَنْ حَسَنَتْ خِصَالُهُ . طَابَ وَصَالُهُ . مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ
 نُسِبَ إِلَيْهِ . (ن) نُصْرَةُ الْحَقِّ شَرَفٌ . وَنُصْرَةُ الْبَاطِلِ سَرَفٌ

نحبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في الكشكول

١١٥ (١) . إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ قَارِدٌ مَا يَكُونُ . إِذَا هَرَبَ الزَّاهِدُ مِنَ
 النَّاسِ فَأُطْلِبَهُ . إِذَا ذَكَرَ حَبِيبُكَ عِنْدَكَ أَحَدًا بِالسُّوءِ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ
 تَأْنِيهِ . أَفْضَلُ الزَّادِ مَا تُرَوِّدُ لِلْعَمَادِ . إِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَسَدِ فَلَا تَطْمَعُ
 فِي صَيْدِهِ . أَوَّلُ الْمَعْرِفَةِ الْإِخْتِبَارُ . أَيْسَرُ شَيْءٍ الدُّخُولُ فِي الْعِدَاوَةِ
 وَأَصْنَبُ شَيْءٍ الْخُرُوجُ مِنْهَا . (ب) . بَعْضُ الْكَلَامِ . أَقْطَعُ مِنْ
 الْحَسَامِ . (ت) . أَتَقَى مُلْجِئُ . (خ) . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ . خَيْرُ
 سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . (د) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَايَةُ . (ر) . رَبُّ أَكْلَةٍ
 يَتِمُّ أَكْلَاتِهِ . الرِّقُّ يَمُنُّ وَالْحَرَقُ سُوءٌ . (س) . السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ
 بِنَفْسِهِ . (ص) . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . (ع) . عِنْدَ الْفِتَايَةِ يُعْرَفُ
 السَّبْقُ . (ق) . قَبْلَ الرَّمَايَةِ تَمَلُّ الْكُنَانُ . الْقَرِيبُ مِنْ قَرَبٍ نَفْعُهُ .
 أَلْقَوْلُ يَفْقَدُ مَا لَا يَفْقَدُ الْإِبْرُ . قِيدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ . (ك) . كَلْبٌ

جَوَالُ خَيْرٍ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ . كُلُّ مَبْذُولٍ . مَمْلُولٌ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
 فِيهِ . كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءٌ أَلِيمٌ فَإِنَّهُ يَتَسَّعُ . (ل) . لَا
 تُبْلِغُ الْغَايَاتِ بِالْأَمَانِي . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ . لِكُلِّ
 سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ . لَيْسَ مِنْكَ مَنْ غَشَّكَ . (م) . مَا حَاكَ جِلْدَكَ مِثْلُ
 ظُفْرِكَ . مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ . مَنْ جَرَى فِي
 عَيْنَانِ أَمَلُهُ عَثَرَتْ رِجْلُهُ مَاجِلِهِ . مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَآتَقَهُ . مَنْ
 لَانَ عُودُهُ كَثُمَتْ أَغْصَانُهُ . مَنْ لَمْ تُصْلَحْهُ الْكِرَامَةُ أَصْلَحَهُ الْهُوَانُ .
 مَنْ تَزَرَاعَ الْمَعْرُوفَ يَحْصِدِ الشُّكْرَ

١١٦ أَيْبَاتُ تَمَثَّلُ بِهَا الْقَرَبُ لِشُعْرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى الْمَصَا فَقَدْ بَطَلَ السِّخْرُ وَالسَّاحِرُ
 إِذَا كَانَ رَبُّ أَلَيْتٍ بِالْأَذْفِ مُوَلَّمَا فَشَيْءُ أَهْلِ أَلَيْتٍ كُلُّهُمْ الرِّقْصُ
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ قَوْمَةٍ سَمَتْ بِجَنَاحَيْهَا إِلَى الْجَوِّ تَضَعْدُ
 أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا وَالشَّيْءُ يُرْتَبُ فِيهِ حِينَ يَتَسَّعُ
 أَقْلَبُ طَرَفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعَمَاءِ حَيْثُ يَمِيلُ
 إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا حَالَةَ زَائِلٌ
 إِنْ أَلْسَادُ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جِدٍ جَرَهُ الزَّوْجُ
 أَمْنِي عَلَى الزَّمَانِ مُحَالَا أَنْ تَرَى مُقَلَّتِي طَلَمَةَ حُرٍّ
 إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمٍّ وَبَنَتِهَا فَأَحْدَاهُمَا يَأْصَحُ لَا شَكَّ آخِذُهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَارِيَّهُ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنشِقُ الشَّجِيحَا وَجَدْتَهُ أَتَقَّ شَيْءٌ رِيحَا
 إِنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَأَلْقِطِ الْجُوزَ إِذَا يُنْثَرُ
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسِ خَلْقٍ
 أَفَرِّقُ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبُ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
 إِذَا أَمْنَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفُ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي يُكَابِ صَدِيقٍ
 حَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا
 حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقَوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقَوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
 حَيَاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَاكَ إِنْسَانُ
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَصِلًا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَبْلَهُ الْمَطَرُ
 رَبِّ مَهْزُولٍ تَمِينِ عِرْضَهُ وَتَمِينِ الْجَنَمِ مَهْزُولُ الْحَسَبِ
 الرِّزْقُ يُخْطِئُ بَابَ عَاقِلٍ قَوْمِهِ وَيَبِيتُ بَوَآبَ بِيَاكِ الْأَحْمَقِ
 سَتْبَدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ
 صَافَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَّا انْفَرَجَتْ وَالْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورِ
 أَلْعَزُ لَا يَسْتَمِنُ إِلَّا بِالْأَلْفِ لَا يَسْتَمِنُ الْعَزُ يَقُولُ ذِي لَطْفٍ
 فَإِنَّ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخْبِرُكَ الْعَيُونُ عَنْ الْغُيُوبِ
 فَاقْطَعْ حَسَابِلَ خَلٍّ لَا تَلَانِمُهُ فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَشْيَيْنِ
 أَفْقَرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مِنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَاً وَخَافَا
 فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِالْأَرَبِ مَا يَسْلَمُ الذَّهَبُ إِلَّا بِمُزْدٍ مِنْ عَيْبٍ
 فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُجْلِدُ الْمَرْءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنَّ حَمْدَ الْمَرْءِ غَيْرُ مُجْلِدٍ

قَدَرُ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
 قَدْ يُدْرِكُ الْمُنَافِي حَسَنَ حَاجَتِهِ
 قَدْ يُنِيعُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
 قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ
 كَانَ يُقَالُ مَنْ أَتَى خِوَانًا
 كَذًا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ
 الْكَتَبُ لَا يُذَكِّرُ فِي مَجْلِسٍ
 كُنْتُ فِي كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَيِّمَتَانِ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ
 لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمٌ
 لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ يَمِيتُ
 مَا أَنْتَمَعَ الْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى
 مَا كُنْتُ لَوْ أَكْرَمْتُ أَسْتَعْصِي
 مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ
 مَا عَاشَ مَنْ عَاشَ مَذْمُومًا خَصَايِلُهُ
 مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقِهَا
 مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ طَعَامُ

فَمَنْ عَلَا زَلْفًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
 وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْاِسْتِجْلَالِ الزَّلَلُ
 وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالْاِنْعَمِ
 خَلَقَ وَجِبُّ قَيْصِهِ مَرْفُوعُ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ هَانَا
 أَلْصَقْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ
 إِلَّا تَرَاهُ عِنْدَ مَا يُذَكَّرُ
 فَهُمْ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفِرَارُ
 خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهَذَا ضِدَانِ
 وَأَوْسَطُ وَأَضْعَفُ وَأَكْبَرُ
 مَا أَطْوَلَ الْأَيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ
 إِنَّمَا أَلَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
 وَخَيْرُ ذَخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 تَمْزُوجَةُ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَذَى
 لَا يَهْرُبُ الْكَتَابُ مِنَ الْفَرَصِ
 يَكُونُ أَنْفَا بَيْنَ عَيْنَيْنِ
 وَلَمْ يَمُتْ مَنْ يَكُنْ بِالْخَيْرِ مَذْكُورًا
 وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
 فَمَا لَهُ فِي بَيْتِهِ مُقَامُ

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَدْمُ جَوَازُهُ
 مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصِدُ مَا يَسْرِبُهُ
 هَنَّاكُمْ اللَّهُ بِالْذُّنُوبِ وَمَتَّعَكُمْ
 وَأَقْعَمَ بِمَا أُوتِيْتَهُ تَمْلِ الْمُنَى
 وَإِذَا تَخَطَّتْ لِحْزًا حَالِكَةً مَرَّةً
 وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسْلُ
 وَأَحْسِنُ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مِتِّ
 وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْهَلَالِ وَضَوْوهِ
 وَقَدْ تَسْلَبُ الْأَيَّامُ حَالَاتٍ أَهْلَهَا
 وَمَا لَا مَرِيءَ طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا
 وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا
 وَإِذَا رَزَعَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ
 وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا
 وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَضْغَرَانِ لِسَانُهُ
 وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا
 وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا
 وَكَمْ مِنْ قَتَى يَمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا
 لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
 بِمَا نَحِبُ لَكُمْ مِنْهَا وَرِزْوَانُهُ
 وَإِذَا دَهَنَتْكَ مِلْمَةٌ فَتَصَبَّرْ
 وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَتْ فَتَصَبَّرْ
 بَشَرًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُوجِرْ
 وَإِنَّكَ تَعْجِزُ بِمَا كُنْتَ سَاعِيًا
 إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
 يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ
 وَتَعْدُو عَلَى أَسَدِ الرِّجَالِ الثَّمَالُ
 يُخْلِدُهُ طُولُ النِّسَاءِ فَيُخْلَدُ
 وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
 اللَّهُ ذَاكَ التَّزَعُّ لَا لِلنَّاسِ
 وَإِذَا رُذُّ إِلَى قَلِيلٍ تَنْقَعُ
 رِزْيَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبٍ
 وَمَقُولُهُ وَالْجَسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ
 وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى تَبَوُّعُ
 عُدَّ أَهْلُ الْعَمَلِ قُلُوبًا فِي الْعَدَدِ
 وَقَدْ نَسِجْتَ الْكُفَّانَهُ وَهُوَ لَا يَذْرِي

وَمَنْ يَكُ ذَا قَمَرٍ مَرِيضٍ يَتَّخِذُ مَرَأً يَهُ الْمَاءُ أَرْزُلًا لَا
وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَقَّةٌ مِنْ جَنْبِهِ حَتَّى الْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ الْمُبَرَّدُ
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَهَذَا
يَزِيدُ تَفَضُّلاً وَآزِيدُ شُكْرًا وَذَلِكَ دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَائِي
وَيُطَلَّبُ الْإِنْسَانُ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُخْبِرُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ عَنِ السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

الثعلب والديك

١١٧ حُكِيَ أَنَّ الثَّعْلَبَ مَرَّ فِي السَّحَرِ بِشَجَرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا.
فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَنْزِلُ نُصَلِّي جَمَاعَةً. فَقَالَ: إِنَّ الْأَمَامَ نَأْتِمُّ خَافَ
الشَّجَرَةَ فَأَنْقِطُهُ. فَنَظَرَ الثَّعْلَبُ فَرَأَى الْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا. فَتَدَاهُ
الْدِيكُ مَا تَأْتِي لِنُصَلِّي. فَقَالَ: قَدْ أَنْتَمَضَ وَضُوءِي فَأَصْبِرْ حَتَّى أَجِدَ
لِي وَضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب للأنام

١١٨ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ الْأَذْكِيَاءِ. قَالَ: مَرَضَ
الْأَسَدُ فَمَدَّتُهُ السَّبَاعُ وَالْوُحُوشُ مَا خَلَا الثَّعْلَبُ فَنَمَّ عَلَيْهِ الذَّئْبُ.
فَقَالَ الْأَسَدُ: إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي. فَلَمَّا حَضَرَ الثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ الذَّئْبُ

بِذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ أَخْبَرَ بِمَا قَالَهُ الذَّبُّ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ
يَا أَبَا الْقَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ الدَّوَاءَ . قَالَ : وَآيَ شَيْءٍ
أَصَبْتَهُ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبٍ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ
الْأَسَدُ يَدَيْهِ فِي سَاقِ الذَّبِّ فَأَذْمَاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ
يَسِيلٌ عَلَى رِجْلَيْهِ . وَأَنْسَلَ الثَّلَبُ . فَمَرَّ بِهِ الذَّبُّ فَأَذَاهُ : يَا صَاحِبَ
الْحَفِّ الْأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَأَنْظِرْ مَا يُخْرِجُ مِنْكَ . فَإِنْ
الْحَاجِلِسَ بِالْأَمَانَاتِ

رجل وقبرة

وَهُوَ مَثَلٌ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةً تَنْجَعُ لِكُلِّ شَيْءٍ
١١٩ رَجُلٌ صَادَ قُبْرَةً . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ :
أَذْبَحُكَ وَأَكْكُوكَ . قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَتَيْنُ وَلَا أَغْنِي مِنْ جُوعٍ .
وَلَا أَشْبِي مِنْ قَرَمٍ . وَلَكِنِّي أَعْلِمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ
أَكْلِي : أَمَّا الْوَاحِدَةُ فَأَعْلِمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَالثَّانِيَةُ إِذَا
صِرْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ . وَالثَّلَاثَةُ إِذَا صِرْتُ عَلَى الْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ .
فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدَيْهِ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . فَحَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا
صَارَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ
عَلَى الْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَيْءُ لَوْ ذُبَحْتَنِي لَوَجَدْتُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً
وَرُزْنَهَا عَشْرُونَ مِثْقَالًا . قَالَ : قَعَضَ عَلَى شَفْتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِي
الثَّلَاثَةَ . قَالَتْ : قَدْ نَسِيتِ الثَّلَاثَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أَعْلِمُكَ الثَّلَاثَةَ .

قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا قَاتَكَ .
وَقَدْ تَأَسَّفْتَ عَلَىِّ وَأَنَا فُتُكُ . وَقُلْتُ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِالْأَيُّونِ وَقَدْ
صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَائِي وَلَحْمِي وَرِيشِي لَمْ يَبْلُغْ عِشْرِينَ
مِثْقَالًا . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةٌ وَزَنْهَا كَذَلِكَ (لِلشَّرِيشِي)

الكلب والطبل

١٢٠ حُكِيَ أَنَّ كَلْبًا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ طَبْلٍ فِي مَكَانٍ
يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَيَظُنُّ أَنَّ فِيهِ عَرَسًا أَوْ وَرَثَةً . فَعَمِلَ النَّاسُ حِيلَةً عَلَى
ذَلِكَ الْكَلْبِ وَتَوَاطَعُوا بِأَن يَضْرِبُوا الطَّبْلَ فِي قَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا أَتَى
الْكَلْبُ إِلَى مَضْرِبِ الطَّبْلِ يُسَكَّتُ وَيَضْرِبُ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى .
فَفَعَلُوا ذَلِكَ . فَجَعَلَ الْكَلْبُ يُجْرِي بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ كُلَّمَا جَاءَ قَرْيَةً مِنْهُمَا
أَسَكَّتُوا الطَّبْلَ وَضَرَبَ فِي الْقَرْيَةِ الْأُخْرَى . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
مَاتَ الْكَلْبُ جَائِعًا عَطْشَانًا (أَنَيْسُ الْجَلِيسُ لِلْسَيُوطِيِّ)

الصيد والصدقة

وَهُوَ مَثَلٌ مِنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأُمُورِ

١٢١ حُكِيَ أَنَّ صَيَادًا كَانَ فِي بَعْضِ الْخُجَّانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي
زُورِقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَلَا لَا حُسْنًا . فَتَوَهَّمَا
جَوْهَرًا لَهُ قِيَمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَّتَهُ فِي الْبَحْرِ فَاسْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ
كَانَتْ قُوَّتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا
أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَقَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ

لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا قَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَنَحَّى عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْتَقَى شَبَكَّتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سِنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَأَجْتَازَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالَ (كَلِيلَةَ وَدَمْنَةَ)

الْعُصْفُورِ وَالْفَخَّ

١٢٢ حُكِيَ أَنَّ عُصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَاهِدًا عَنِ الطَّرِيقِ . فَقَالَ الْفَخُّ : أَرَدْتُ الْغُرْلَةَ عَنِ النَّاسِ لِأَمْنٍ مِنْهُمْ وَيَأْمَنُوا بِي . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي التُّرَابِ . فَقَالَ : تَوَاضَعًا . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ نَاحِلَ الْجَنَمِ . فَقَالَ : نَهَكْنِي الْمَبَادَةُ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْخَبْلُ الَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ مَلَبَسُ النِّسَاءِ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا هَذِهِ الْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَهْمُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْقَهْقُورُ الَّذِي عِنْدَكَ . قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوَّتِي أَعَدَدْتُهُ لِفَقِيرٍ جَائِعٍ أَوْ ابْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : إِنِّي ابْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ ذَرُونِي . فَلَمَّا أَلْتَقَى مِقَارَهُ أَمْسَكَ الْفَخُّ بِنَفْسِهِ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ : يَسَّ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْعَذْرِ وَالْحَدِيدَةِ . وَالْأَخْلَاقِ الشَّنِيعَةِ . وَلَمْ يَشْعُرِ الْعُصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ الْفَخِّ قَدْ قَبِضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الْعُصْفُورُ فِي نَفْسِهِ : بِحَقِّ قَالَتِ الْحُكْمَاءُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذَرَ سَلَامَ وَكَيْفَ لِي بِالْخُلَاصِ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (لِلشِّبْرَاوِيِّ)

الغراب والسنور والحر

١٢٣ إِنَّ غُرَابًا وَسِنُورًا كَانَا مُتَاخِيَيْنِ . فَيِنمَا هُمَا نَحْتُ شَجَرَةً عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَى يَمْرَأٌ مُقْبِلًا عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَارَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ . فَطَارَ الْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ وَبَقِيَ السُّنُورُ مُتَحَيِّرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا حَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي خَلَاصِي كَمَا هُوَ الرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : إِنَّمَا تَلْتَمِسُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْحِيلَةِ عِنْدَ زُؤْلِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ رِعَاةٌ مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ الْغُرَابُ حَتَّى
ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَتَمَقَّقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ
بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ الْكِلَابِ . وَارْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ . وَصَارَتْ
فِي أَثَرِهِ فَرَقَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَيَقَعُ
تَبِعَهُ . وَصَارَ الْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ النِّجَاجَةِ وَالْخَلَاصِ مِنَ
الْكِلَابِ . وَيُطْعِمُهُمَا فِي أَنْ تَقْتَرِسَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ
حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْتَهَا النَّمِرُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْكِلَابُ النَّمِرَ
وَبَلَّتْ عَلَيْهِ فَوْقَ هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْقِطْعَ فَجَاءَتْهُ ذَلِكَ
الْقِطْعُ بِحِيلَةٍ صَاحِيهِ الْغُرَابِ

(الف ليلة وليلة)

١٢٤ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَعِيشَتُهُ . فَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ يَمْبِذُ اللَّهَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا . فَنُودِيَ ذَاتَ يَوْمٍ : أَيُّهَا الْعَابِدُ مَدِّ يَدَكَ وَخُذْ . فَقَدَّ يَدَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهَا دَرَّتَانِ كَانَهُمَا كَكُوكَبَانِ ضِيَاءَ . فَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : قَدْ أَمِنَّا مِنْ الْفَقْرِ . ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَى فِيهَا قَصْرًا . فَقِيلَ لَهُ : هَذَا قَصْرُكَ . فَرَأَى فِيهِ أَرِيكَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنْ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ وَالْأُخْرَى مِنَ الْفِضَّةِ . وَسَفَّهُمَا مِنْ اللُّؤْلُؤِ وَقِيلَ لَهُ : إِحْدَاهُمَا مَقْعَدُكَ وَالْأُخْرَى مَقْعَدُ امْرَأَتِكَ . فَظَنَرَ إِلَى سَفْهُمَا فَإِذَا فِيهِ مَوْضِعٌ خَالٍ بِمِثَارِ دُرَّتَيْنِ . فَقَالَ : مَا بَالُ هَذَا الْمَوْضِعِ خَالِيًا . فَحِيلَ : لَمْ يَكُنْ خَالِيًا وَإِنَّمَا أَنْتَ تَهْجَتَ فِي الدُّنْيَا الدُّرَّتَيْنِ وَهَذَا مَوْضِعُهُمَا . فَأَنْتَبَهَ مِنْ مَنَامِهِ بِأَكْبَارٍ وَأَخْبَرَ امْرَأَتَهُ بِذَلِكَ . فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ : أَنْ أَدْعُ اللَّهَ وَأَسْأَلُهُ حَتَّى يَرُدَّهَا مَكَانَهُمَا . فَخَرَجَ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَهَمَّ فِي كَفِّهِ وَصَارَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَخَذَتْهُمَا مِنْ كَفِّهِ وَنُودِيَ أَنْ : رَدَدْنَاهُمَا إِلَى مَكَانِهِمَا

(للقليوبي)

بطنان و سلخافه

١٢٥ قِيلَ : كَانَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ غَدِيرٌ عَظِيمٌ وَقَدْ سَكَنَتْ فِيهِ بَطْنَانُ وَسُلْخَفَاءُ . وَوَقَعَتِ الْأَلْفَةُ بَيْنَهُمْ . وَأَسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

فَاتَّقَ أَنْ غِيضَ الْمَاءِ فَيَسَّ الْعَدِيرُ . فَجَاءَتِ الْبَطْطَانُ عِنْدَ السُّلْحَفَةِ
وَقَالَتَا : إِغْلِي أَيْتَهَا الصَّدِيقَةُ الْمُسْفِقَةُ أَنَّ حَالِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ آخِرُهَا
الْفَرْقَةُ وَالْقَطِيعَةُ . وَقَدْ يَسَّ مَاءُ الْعَدِيرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَبَاةِ
الْمُخْلُوقَاتِ وَقَدْ أَنَّ الرَّحِيلُ وَوَقَعَ الشَّتَّتُ بَيْنَنَا . فَلَمْ نَحْذِ إِلَّا إِلَيْنِ نَقَالَ
إِلَى عَدِيرٍ آخَرَ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلْحَفَةُ هَذَا الْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ
بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ وَقَالَتْ : أَيْتَهَا الصَّدِيقَتَانِ الْمُسْفِقَتَانِ فَمَا جِئْتِي أَنْ أَذْهَبَ
مَعَكُمَا . وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا . قَالَتِ الْبَطْطَانُ : نَأْخُذُكَ مَعَنَا
وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمِي لِأَنَّكَ لَمْ تَمْلِكِي لِسَانَكَ . قَالَتِ السُّلْحَفَةُ :
الْآنَ عَمِدْتُ أَنْ لَا أَنْطِقَ . فَقَالَتِ الْبَطْطَانُ : إِذَا رَأَى الْخَلْقُ أَنَّنا
مَعْنَاكَ وَطَرْنَا بِكَ وَتَعَجَّبَ كُلُّهُمْ عَلَى طَيْرَانَا بِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرِي وَلَا تَتَكَلَّمِي بِشَيْءٍ . وَلَا تَنْسِي قَوْلَ الْفَضْلَاءِ :
إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَقَوْلُهُمْ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي
وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِينَ إِلَّا نَفْسَكَ . وَيَكُونُ ذَنْبُكَ عَلَيْكَ . فَلَمَّا
سَمِعَتِ السُّلْحَفَةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ : لَا أَتَكَلَّمُ أَبَدًا بَلْ أَتَمَسُّكَ بِذِكْرِ اللَّهِ
فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَطْطَانُ عَهْدًا عَلَى السُّلْحَفَةِ أَتَتَا
بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلْسُّلْحَفَةِ : أَمْسِكِي وَسَطَ الْقَضِيبِ بَيْنَكَ وَضَمِّي
شَفَتَيْكَ مُحْكَمًا . فَصَلَّتِ السُّلْحَفَةُ مَا قَالَتَا . ثُمَّ أَخَذَتِ الْبَطْطَانُ بِطَرَفِي
الْقَضِيبِ عَلَى غُنْمِهِمَا . ثُمَّ طَارَتَا فِي الْهَوَاءِ مَعَ السُّلْحَفَةِ . فَرَأَى بَعْضُ
النَّاسِ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَبَادَرُوا : يَا عَجَبًا . أَنْظَرُوا كَيْفَ

حَلَّتِ الْبَطْطَانُ السُّلْخَةَ . ثُمَّ إِنَّ السُّلْخَةَ سَمِعَتْ كَلَامَ النَّاسِ . فَصَبَرَتْ
سَاعَةً فَلَمْ تَعْدِرْ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ كَثَرَةِ تَعَبِ الْخَلْقِ . فَأَجَابَتْهُمْ : لِمَ
تُحِبُّونَ مِنَّا . أَمَا لَكُمْ تَرَوْنَ كَيْفَ حَلَّتْني الْبَطْطَانُ . وَمَا كَانَ بَعْدَ
أَنْ تَكَلَّمْتُ إِلَّا أَنْ وَقَعْتُ عَلَى الْحَمِيضِ فَهَلَكْتُ (الاسيوطي)

اعمى ومقعد

١٢٦ قَالُوا : إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعِدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ يَفْقَرُ وَضُرٌّ لَا قَائِدَ
لِلْأَعْمَى وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعِدِ . وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ
يَوْمٍ اخْتِسَابًا قُوَّتَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَلَمْ يَدَا فِي عَافِيَةٍ إِلَى
أَنْ هَلَكَ الْمُحْتَسِبُ . فَأَفَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَأَشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ الضَّرَرُ
مِنْهُمَا جُهْدَهُ . فَأَجَمَا رَأْيَهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعِدَ . فَبَدَأَ
الْمُقْعِدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ . وَيَسْتَقِلُّ الْأَعْمَى بِحِمْلِ الْمُقْعِدِ وَيَدُورَانِ
فِي الْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهُمَا . ففَعَلَا فَبَجَعَ أَمْرُهُمَا . وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكََا
(الطرطوشي)

لحماءتان

١٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَاتَيْنِ ذَكَرَا وَأَنْتَى مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ .
فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارِيِّ مَا نَعِشُّ بِهِ فَلَسْنَا
نَأْكُلُ بِمَا هُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشَّيْءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارِيِّ شَيْءٌ
رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ لَهُ :
نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا . فَأَنْطَلَقَ

الذَّكْرُ قَتَابَ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَسَرَ الْحُبُّ وَصَحَرَ . فَلَمَّا رَجَعَ
الذَّكْرُ رَأَى الْحُبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَلَيْسَ كُنَّا أَجْمَعًا رَأَيْنَا عَلَى أَنْ لَا
نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ أَكُلْنِيهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا
وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَتْرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا
جَاءَتِ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَدَّى الْحُبُّ وَأَمْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ .
فَلَمَّا رَأَى الذَّكْرُ ذَلِكَ تَنَدَّمَ . ثُمَّ أَصْطَبَحَ إِلَى جَانِبِ حِمَامَتِهِ وَقَالَ :
مَا يَنْفَعُنِي الْحُبُّ وَالْعُمُشُّ بَعْدَكَ . إِذْ طَلَبْتُكَ فَلَمْ أَجِدْكَ وَلَمْ أَقْدِرْ
عَلَيْكَ . وَإِذَا فُكِّرْتُ فِي أَمْرِكَ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ وَلَا أَقْدِرُ
عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَبَا
حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا (كَلِيلُهُ وَدَمْنُهُ)

العابد والكلب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ لُبْنَانٍ رَجُلٌ مِنَ الْعِبَادِ مُتَزَوِّيًا عَنِ النَّاسِ فِي
غَارٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلُّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُفْطِرُ
عَلَى نِصْفِهِ وَيَسْتَحِرُّ بِالنِّصْفِ الْآخَرِ . وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ لَا
يَنْزِلُ مِنَ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَصَلًا . فَأَتَّفَقَ أَنْ أَنْقَطَعَ عَنْهُ الرِّغِيفُ لَيْلَةً
مِنَ اللَّيَالِي فَأَشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى الْعِشَاءَ بَيْنَ وَبَاتٍ تِلْكَ
اللَّيْلَةَ فِي أَنْتَظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ الْجُوعَ فَلَمْ يَتَسَّرَ لَهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي
أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَ مَا أَصْبَحَ الْعَابِدُ نَزَلَ
إِلَيْهِمْ وَاسْتَطْعَمَ شَيْئًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

وَوَجَّهَ إِلَى الْجَبَلِ . وَكَانَ فِي دَارِ ذَلِكَ الشَّيْخِ النَّصْرَانِي كَلْبٌ جَرِبُ
 هَزُولٍ فَلَحِقَ الْعَابِدَ وَنَجَّ عَلَيْهِ وَتَلَقَّى بِأَذْيَالِهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ رَغِيفًا
 مِنْ ذَيْنِكَ الرَّغِيفَيْنِ لِيَسْتَتِلَ بِهِ عَنْهُ . فَأَكَلَ الْكَلْبُ ذَلِكَ الرَّغِيفَ .
 وَلَحِقَ الْعَابِدَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي السَّاحِ وَالْهَرِيدِ . فَأَتَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ
 الرَّغِيفَ الْأَخْرَفَ فَكَلَهُ . وَلَحِقَهُ نَارَةٌ أُخْرَى وَأَشْتَدَّ هَرِيدُهُ وَتَشَبَّثَ
 بِذَيْلِ الْعَابِدِ وَمَرْقَةٍ . فَقَالَ الْعَابِدُ : سُبْحَانَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَرِ كَلْبًا أَقَلَّ حَيَاءً
 مِنْكَ . إِنْ صَاحَبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفَيْنِ وَقَدْ أَخَذْتُهُمَا مِنِّي . مَاذَا
 تَطْلُبُ بِهَرِيدِكَ وَتَمْرِيْقِ ثِيَابِي . فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْكَلْبُ فَقَالَ :
 لَسْتُ أَنَا قَلِيلُ الْحَيَاءِ . إِنْ عَلِمْتُ أَنَّ رَيْبِي فِي دَارِ ذَلِكَ النَّصْرَانِي
 أَوْ حُرْسُ غَنَمِهِ وَأَخْضَطُ دَارِهِ . وَأَقْنَعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ .
 وَرُبَّمَا لَيْسَنِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا أَكُلُ شَيْئًا . بَلْ رُبَّمَا يَمْضِي عَلَيْنَا أَيَّامٌ لَا
 يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَفَارِقْ دَارَهُ مُنْذُ عَرَفْتُ
 نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ غَيْرِهِ . بَلْ كَانَ دَائِبِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ
 شَكَرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ . وَأَمَّا أَنْتَ فَمَا نَقْطَعُ الرَّغِيفَ عَنْكَ لَيْلَةً
 وَاحِدَةً لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحْمَلُ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ
 رَازِقِ الْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ . فَأَيْنَا أَقَلُّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ . فَلَمَّا
 سَمِعَ الْعَابِدُ ذَلِكَ ضَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ وَغَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ

(لباء الدين)

تاجر ومستودع عنده

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَخَذَ بَثْرَهُ بِمِثْلِ مَا نَثَرَهُ
 ١٢٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ . وَأَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ يَوْمًا إِلَى
 بَعْضِ الْأُجُوهِ أَتَيْنَاهُ الرِّزْقِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةٌ مِنْ حديدًا . فَأَوْدَعَهَا
 رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهَتِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ . فَجَاءَ
 وَالنَّفْسَ الْحَدِيدَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قَدْ أَكَلْتَهُ الْجُرْدَانُ . فَقَالَ : قَدْ
 سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرَحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ
 مَا قَالَ وَأَدْعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ وَلَدًا لِلرَّجُلِ . فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَدِ . فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ يَا ابْنِي .
 قَالَ : لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَارِيًا قَدِ اخْتَطَفَ صَبِيًّا .
 فَلَمَعَهُ أَتْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ يَا قَوْمُ : هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ
 رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبَرَاةَ تَخْطِفُ الصِّبْيَانَ . فَقَالَ : نَعَمْ إِنْ أَرْضًا تَأْكُلُ جُرْدَانَهَا
 مِئَةً مِنْ حديدٍ لَيْسَ بِحَبِّ أَنْ تَخْطِفُ بَرَاتِهَا الْهَيْلَةَ . قَالَ الرَّجُلُ :
 أَكَلْتُ حديدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ . فَأَرَدْتُ عَلَى ابْنِي

بِرَأْفَةٍ وَفَرَّةٍ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَعَطَّى بِكَلَامٍ غَيْرِهِ فَيَنَامُ بِنَفْسِهِ فَيَعْطَى
 ١٣٠ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْفَرْدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ . فَاتَّخَذُوا
 فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَرَأَوْا بِرَأْفَةٍ تَطِيرُ
 كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٍ فَظَنُّوْهَا نَارًا . فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا وَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا .

وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَبًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ بِهَا . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ
طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا . فَجَمَلَ
يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتَّبِعُوا . فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمْهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ . عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيُنْهَاهُمْ عَنْهُمْ فِيهِ . فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
فَعَرَفَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ
الشَّجَرَ الْمَانِعَ الَّذِي لَا يَقْطَعُ لَا تُجْرَبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ . وَالْعُودُ الَّذِي لَا
يُخْنِي لَا يُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ . فَلَا تَتَّبِعْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ .
وَتَقَدَّمَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ لِيُعْرِضَهُمْ أَنَّ الْبِرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ . وَإِذَا بِأَحَدِهِمْ
تَنَاوَلَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَهَاتَ

شريكان

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَلْتَمَسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ
١٣١ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِلْجَرِّ شَرِيكٌ . فَاسْتَأْجَرَ أَحَانُوتًا وَجَعَلَ مَتَاعَهُمَا
فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ . فَأَصْغَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
يَسْرِقَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ . وَفَكَّرَ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ
أَتَيْتُ لِيَلَامَ أَمَنْ أَنْ أَجْلَ أَحَدَ أَعْدَالِي أَوْ إِحْدَى رُزْمِي وَلَا أَعْرِفُهَا .
فَيَذْهَبُ عَنَّا وَيَتَّبِعِي بِاطِّلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى مَا أَصْغَرَ أَخْذَهُ
مِنْ أَعْدَالِ شَرِيكِهِ وَأَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بِمَدِّ ذَلِكَ
لِيُصْلِحَ الْأَعْدَالَ فَوَجَدَ رِدَاءَهُ عَلَى شَرِيكِهِ عَلَى بَضْرِ أَعْدَالِهِ . فَقَالَ : هَذَا
رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا أَرَأَيْ أَنْ أَدْعُهُ هُنَا .

وَلَكِنْ أَجْلُهُ عَلَى رِزْمِهِ فَلَمَّا نَسَبُنِي إِلَى الْحَانُوتِ فَيَحْدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ
ثُمَّ أَخَذَ الرِّدَاءَ وَالْقَاهُ عَلَى أَحَدِ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَفْضَلَ الْحَانُوتِ وَمَضَى
إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا هَجَمَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَّاهُ عَلَى مَا
عَزَمَ عَلَيْهِ . وَصَيَّنَ لَهُ جُعْلًا عَلَى حَمَلِهِ . فَصَارَ إِلَى الْحَانُوتِ وَالْتَمَسَ
الْإِزَارَ فِي الظُّلْمَةِ . حَتَّى إِذَا حَسَّ بِهِ اِخْتِمَالُ الْعِدْلِ الَّذِي تَحْتَهُ وَأَخْرَجَهُ
هُوَ وَالرَّجُلُ . وَجُعْلًا يَتَرَاوَحَانِ عَلَى حَمَلِهِ حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَهُوَ نَشِيطٌ
تَعَبًا فَرَزَحَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ اقْتَدَهُ وَإِذَا بِهِ بِضْرُ مَتَاعِهِ . فَتَدِيمَ أَشَدَّ
النَّدَمَ . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَّهُ إِلَيْهِ وَفَقَدَ
الْعِدْلَ وَجَلَسَ مُتَمَتِّمًا يَقُولُ : سَوْءَ تَأْمِنُ رَفِيقِي صَالِحٌ قَدْ ائْتَنَنِي عَلَى
مَالِهِ وَخَافَنِي فِيهِ . مَاذَا تَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ وَلَسْتُ أَشْكُ فِي تَهْتِهِ
إِيَّايَ . وَلَكِنْ قَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَانُوتُ : يَا أَخِي
لَا تَتَغَمَّ . فَإِنَّ الْحَيَاةَ شَرُّ مَا عَمِلَ الْإِنْسَانُ وَالْمَكْرَ وَالْحَدِيدَةَ لَا يُؤَدِّيَانِ
إِلَى خَيْرٍ . وَصَاحِبُهُمَا مَفْرُورٌ أَبَدًا . وَمَا عَادَ الْبُعْيُ إِلَّا عَلَى
صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : كَيْفَ كَانَ
ذَلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ . فَأَضْرَبَ الرَّجُلُ عَنْ قَوْيْنِجِهِ وَقَبِلَ مَعْدِرَتَهُ .
وَتَدِيمَ هُوَ غَايَةَ النَّدَامَةِ

رجل ولين عرس

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَذَكَّرُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَفْجِمُ عَلَى أَعْمَالِهِ بِأَهْمَلَةٍ
زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ غُلَامٌ . وَاتَّفَقَ يَوْمًا أَنَّ أُمَّرَأَتَهُ قَالَتْ ١٣٢

لَهُ : أَقْعُدْ عِنْدَ أُنَيْكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَسْرِعَ الْعُودَةَ .
ثُمَّ أَنْطَلَقْتُ وَخَلَقْتُ زَوْجَهَا وَالْعَلَامَ . فَلَمْ يَلَيْتْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ
يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عِرْسٍ . وَكَانَ دَاخِلًا
عِنْدَهُ وَقَدْ رَبَاهُ صَغِيرًا . فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِيهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ عِنْدَ
الصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ
أَحْجَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءٌ . فَدَنَتْ مِنَ الْعَلَامِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عِرْسٍ
فَقَتَلَهَا . ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ قُبُورَ بَنِي دِيهَا . ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ وَفَتَحَ الْبَابَ .
فَاسْتَقْبَلَهُ ابْنُ عِرْسٍ كَالْمَشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُلَوَّنًا بِالْأَلَمِ طَلَّ
عَمَلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوْ فِيهِ
حَتَّى يَتْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَلَكِنْ عَجَلَ عَلَى ابْنِ عِرْسٍ الْمُسْكِينِ بِضَرْبَةٍ
عُكَّازَ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ مَيِّتًا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى الْعَلَامَ
سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أَسْوَدٌ مُقَطَّعٌ . فَفَهِمَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي
الْعَجَلَةِ . فَلَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَرْزُقْ هَذَا الْوَلَدَ . وَلَمْ أَغْدُرْ
هَذَا الْعَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ :
مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا الْحَبْرَ وَحَسَنَ فِعْلِ ابْنِ عِرْسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ .
قَالَتْ : هَذَا ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ

فِيْلَةُ وَأَنْبُ

وَعُمُو مِثْلُ مَنْ صَرَفَ الْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ
رَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِي الْقَبِيلَةِ تَبَتُّ عَلَيْهَا السِّنُونُ

وَأَجْدَبَتْ . وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا . وَذَوَى نَبَاتُهَا وَيَسَّ شَجَرُهَا .
فَأَصَابَ الْقَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكَّوْنَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكَيْنِ فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ
رُسُلَهُ وَرَوَّدَهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَّ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ
فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا : قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ
كَثِيرَةُ الْمَاءِ فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا
هُوَ وَفِيلَتُهُ . وَكَانَتْ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ الْأَرَابِ قَوِطْنٌ وَهُنَّ فِي
أَجْمَارِهِنَّ فَهَكَ مِنْ كَثِيرٍ . فَاجْتَمَعْنَ إِلَى مَلِكَيْنِ فَعُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ
مَا أَصَابَنَا مِنَ الْقَيْلَةِ . فَقَالَ : لِيُخْضِرْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَقَدَّمَتْ
وَاحِدَةٌ مِنَ الْأَرَابِ يُقَالُ لَهَا قَيْرُوزُ . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحَسَنِ الرَّأْيِ
وَالْأَدَبِ . فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ بَعَثَنِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَبُرِّسَ مَعِيَ
أَمِينًا لِيَبْرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتِ
أَمِينَةٌ وَرَضَى بِقَوْلِكَ . فَأَنْطَلَقِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَبَلِّغِي عَنَّا مَا تُرِيدِينَ .
وَأَعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ وَفَضْلُهُ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ .
فَعَمَلِكَ بِاللَّيْنِ وَالْمَوَاتَةِ . فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصَّدُورَ إِذَا
رَفَقَ . وَيُخَشِّنُ الصَّدُورَ إِذَا خَرَقَ . ثُمَّ إِنَّ الْأَرَابَ أَنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ
قَرَاءَ حَتَّى أَتَتْ إِلَى الْقَيْلَةِ . وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُو مِنْهُمْ خَافَةَ أَنْ يَطَّانَهَا
بِأَرْجُلِهِمْ . فَمَقَّتْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ
وَنَادَتْ مَلِكَ الْقَيْلَةِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنْ الْقَمَرُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرَّسُولُ غَيْرُ
مَلُومٍ فِيمَا يُبَلِّغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ .

قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ . إِنَّهُ مِنْ عَرَفَ قُوَّتُهُ عَلَى الضُّعْفَاءِ فَأَغْرَى بِذَلِكَ
بِالْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبِالْأَعْلَاءِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى
الدَّوَابِّ فَتَرَكْتَ ذَلِكَ . فَعَمِدَتْ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِأَسْمِي فَوَرَدَتْهَا
وَكَدَّرَتْهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ .
وَأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشَى بَصْرَكَ وَأَتْلَفَ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي
شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنِّي مُوَفِّيكَ إِلَيْهَا .
فَحَبَّبَ مَلِكَ الْفِيلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْزَبِ فَأَنْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ قَيْرُوزَ
الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَهَالَتْ لَهُ قَيْرُوزَ
الرَّسُولِ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَأَغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَاسْتَجِدْ لِلْقَمَرِ .
فَادْخُلِ الْهَيْلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَكَ . فَخَيَّلَ لَهُ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ .
فَهَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ . أَتَرَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي جِجَخَاتِي فِي الْمَاءِ .
قَالَتْ الْأَرْزَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْهَيْلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا
صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْفِيلَةِ

أَرْزَبُ وَاسِدُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَجِئَتْهُ
١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالشُّجَرِ .
وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لِخَوْفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِالْأَمْرِ فِيهَا . فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا الدَّاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

لَكَ رَأْيَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمِنْ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ أَمْتَنَّا وَلَمْ تُخَفْنَا فَلَاكَ
عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نَبْعُثُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِنَا
الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَلَحَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ . وَوَقَيْنَ هُنَّ لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتْ
الْقُرْعَةُ أَرْتَبًا . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنْ أَنْتُنَّ رَهَقْتُنِّي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ
رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ الْأَسَدِ . فَقُلْنَ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأُمُورِ .
قَالَتْ : تَأْمُرُنَّ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يَهْلِي رَيْثًا أَبْطُلُ عَلَيْهِ
بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا : ذَلِكَ لَكَ . فَأَنْطَلَقَتْ الْأَرْتَبُ مُتَابِعَةً
حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَعَدَّى فِيهِ الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ
إِلَيْهِ وَخَدَّهَا رُؤِيدًا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ :
مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ بَعَثْتَنِي وَمَعِيَ
أَرْتَبٌ لَكَ فَتَبْعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَضَبًا .
وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ . قَالَتْ : إِنْ هَذَا
غَدَاؤُ الْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ الْوُحُوشُ مَعِيَ إِلَيْهِ فَلَا تَغْضَبْنِيهِ . فَسَبَّكَ
وَسْتَمَكَ . فَأَقْبَلَتْ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأَخْبَرِكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَوْ فِي زَمَنِي
قَاصِبٌ أَنْطَلِقَ مَعِيَ فَأَرِينِي مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَأَنْطَلَقَتْ إِلَى جُبٍ
فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَأَطْلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَطَلَعَ
الْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْتَبِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشْكُ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ
إِلَيْهِ لِيَقَاتِلَهُ فَفَرَّقَ فِي الْجُبِّ . فَأَنْقَلَبَتْ الْأَرْتَبُ إِلَى الْوُحُوشِ
فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ

(كليله ودمنه)

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْمَضَائِلِ وَالنَّفَائِصِ

الصَّبْرُ

١٣٥ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ عَشْرَةُ أَقْسَامٍ . الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ
الْبَطْنِ يُسَمَّى قَنَاعَةً وَضِدُّهُ الشَّرُّ . وَالصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ الْجَسَدِ يُسَمَّى
عِفَّةً وَضِدُّهُ السَّبْقُ . وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ الْخِرْعُ .
وَالصَّبْرُ عَلَى الْإِنْعَاءِ يُسَمَّى صَبْطَ النَّفْسِ وَضِدُّهُ الْبَطَرُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ
الْقِتَالِ يُسَمَّى الشَّجَاعَةِ وَضِدُّهُ الْجُبْنُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا
وَضِدُّهُ الْحَقُّ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ التَّوَابِ يُسَمَّى سَعَةً الصَّدْرِ وَضِدُّهُ
الصَّخْبُ . وَالصَّبْرُ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ يُسَمَّى الْكَيْمَانُ وَضِدُّهُ الْخَرْقُ . وَالصَّبْرُ
عَنْ فَضُولِ الْمَعِيشَةِ يُسَمَّى الزُّهْدَ وَضِدُّهُ الْحِرْصُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ تَوَقُّعِ
الْأُمُورِ يُسَمَّى التَّوَدُّةَ وَضِدُّهُ الطُّشُّ (لِلْقَلِيوبِ)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
بَنَى اللَّهُ لِلْأَخْيَارِ بَيْتًا سَمَّاهُ هُمُومٌ وَأَخْرَأَ وَحَيْطَانُهُ الضُّرُّ
وَأَدْحَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ
قَالَ آخَرُ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا وَكُنْ بِاللَّهِ مُتَعَبِّمًا وَلَا تَعَاجِلْ فَإِنَّ الْعَجْزَ بِالْعَجْلِ
الصَّبْرُ مِثْلُ أُنَيْمٍ فِي كُلِّ نَائِيَةٍ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَهْلَى مِنَ الْعَسَلِ

١٣٦ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ
وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَالثَّانِي أَشَدُّهُمَا عَلَى النَّفْسِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

مِنَ الدِّيَّانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجَرُّبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْآخِرِ
لَا تَصْجُرَنَّ وَلَا يَدْخُلُكَ مَعْجِزَةٌ فَالْتَّجِعْ بِهَا الْعَجْزُ وَالصَّغِيرُ
لَا مَرَأَةَ مِنَ الْعَرَبِ :

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ صَبْرًا إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا
إِشْرَبِ الصَّبْرَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّبْرِ أَمْرًا
١٣٧ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَفَرِ الصَّادِقِ أَذْيَةً جَارِيَةً فَقَالَ لَهُ : أَصْبِرْ
عَلَيْهِ . قَالَ : يَنْسُبُونِي إِلَى الْذَلِّ . قَالَ : إِنَّمَا الدَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ
(لِلْمُسْتَعْصِمِ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ الْعُسْرِ يُسِيرُ
وَالْمُهَيِّمِينَ فِي حَالَاتِنَا نَظَرُ وَفَوْقَ تَذْيِيرِنَا لِلَّهِ تَذْيِيرُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَافْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرًا
فَإِنَّ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ عَجِيبَةٌ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا
قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ عَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ عَمْرَةٍ تَلْقَيْهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وَكَاثَ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذَّلِيلِ ذَلِكَ
 ١٣٨ قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَذْوِي اللَّهُ الدُّنْيَا
 عَمَّنْ يَحِبُّ وَيَمِرُّهَا عَلَيْهِمْ نَارَةٌ بِالْجُوعِ وَمَرَّةٌ بِالْحَاجَةِ. كَمَا تَصْنَعُ الْأُمُّ
 الشَّقِيقَةَ يُولِدُهَا تَقْطَعُهُ بِالصَّبْرِ مَرَّةً وَيَاخْضُضُ أُخْرَى وَإِنَّمَا يُرِيدُ
 صَلَاحَهُ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

أَشَدَّ بَعْضُهُمْ:

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْزَمُ
 لَا تَشْكُونَ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ
 وَقَالَ آخَرُ:

وَأَصْبِرْ إِذَا مَا شِئْتَ إِكْلِيلَ الْهَنَاءِ فَبِغَيْرِ حُسْنِ الصَّبْرِ لَنْ تَتَكَلَّلَا
 فَإِذَا كَرِهْتَ الصَّبْرَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا كَرِهْتَ بِأَنْ تَكُونَ مُكَلَّلَا
 قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْلَهُ عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
 مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُوَلِّهِ أَلَوْتَ يَدَاهُ بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ
 قَالَ آخَرُ:

أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ النَّيْبَ غَيْرَهُ وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ لَهُ كُفُوُ
 لَنْ كَانَ بَدْءُ الصَّبْرِ مَرًّا مَذَاقُهُ لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ الثَّرُّ الْخُلُوُ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْأَيُّورِدِيُّ:

تَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَذَرِ أَتْنِي أَعِزُّ وَأَهْوَالُ الزَّمَانِ تَهُونُ

وَقُلْ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ أَعْتَدَاؤُهُ وَبِتُّ أَرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ
 ١٣٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ
 الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. إِذَا قَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ. وَإِذَا قَارَقَ
 الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ. وَلِلَّهِ مِنْ قَالَ:

عَلَى قَدَرِ فَضْلِ الْمَرْءِ نَأْيُ خُطُوبِهِ وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
 فَمَنْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ أَصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ
 قَالَ الشَّيْرَازِيُّ:

وَإِذَا مَسَّكَ الزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمَتْ دُونُهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ
 وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَائِبُ أُخْرَى سَمِعَتْ نَفْسَكَ الْحَيَاةَ وَمَلَتْ
 فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِي فَالْزَايَا إِذَا قَوَّالَتْ تَوَلَّتْ
 قَالَ تَحْمُودُ الْوَرَّاقُ:

الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالِهِ لَكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدِيرُ
 فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أَيْسَرِ الْمَقَالَةِ). إَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ
 وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ. وَالْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:
 يُمِفِّتُاحُ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالِجُ مَنَالِقَ الْأُمُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ
 أَسَدَادِ الْفَرَجِ تَبْدُو مَطَالِعُ الْفَرَجِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
 وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ:

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ صَافٍ بِهِ يَهْوُنُ

فَاصْبِرْ وَإِنْ طَالَ اللَّيْلُ قَرُبًا أَمْكَنَ الْحُرُونَ
وَرُبَّمَا نِيلٌ بِأَصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ
قَالَ أَوْ أَفْتَحِ الْبُسْتِي :

تَحْمِلُ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ فَمَا فِي أَسْتَقْلَمْتِهِ مَلْعَمُ
وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ طَبَائِعُهُ الْأَرْبَعُ
قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ الْأَيَّامِ فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَمَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ مُتَوَعِّدٍ فَأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ
قَالَ آخَرُ :

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْمَلَامِ
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ تَضَاقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَيْبٌ مُرُوفٌ بِهَا
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ تَخْتَفِي عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَحْيٍ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا وَفَرِيسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضَّرْعَامِ

١٤١ قِيلَ لَيْسَ بِنِ عَاصِمٍ : مَا الْحِلْمُ . قَالَ : أَنْ تَصِلَ مِنْ قَطْمَكَ .
وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُو عَنْ ظَلَمِكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
حِلْمُكَ عَلَى السُّفِيهِ يَكْثُرُ أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ . قَالُوا : لَا يَظْهَرُ الْحِلْمُ إِلَّا
مَعَ الْإِنْتِصَارِ . كَمَا لَا يَظْهَرُ الْعَفْوُ إِلَّا مَعَ الْإِقْتِدَارِ . وَقَالُوا : مَا قَرِنَ

شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ
مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أَسْتَعِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبُ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي . أَوْ
جَهْلُ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي . أَوْ عَوْرَةٌ لَا أَوَارِيهَا بِسُرِّي . وَقَالَ الْوَرَقُ
الْعِجْلِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي الرِّضَا
(لابن عبد ربه)

قَالَ النَّوَاجِي :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيًّا
١٤٢ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : يُدْرِكُ بِالرِّفْقِ مَا لَا يُدْرِكُ بِالْعَنْفِ . أَلَا
رَأَى أَنَّ الْمَاءَ عَلَى لِينِهِ يَقْطَعُ الْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ . وَقَالَ أَشْعَثُ السُّلَمِيِّ
بِجَمْرِ بْنِ يَحْيَى : مَا كَادَ يُدْرِكُ بِالرِّجَالِ وَلَا بِالْمَالِ مَا أَذْرَكَ بِالرِّفْقِ .
وَقَالَ النَّابِغَةُ :

الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رِفْقٍ ثَلَاثَ مُجَاحَا
قَالَ الشَّعْبِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ
عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ . وَأَخَذَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فَقَالَ :
فَدَاوَيْتُهُ بِالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
(للشعالي)

قِيلَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : تَطْمَعُ فِي الْخِلَاقَةِ وَأَنْتَ بِخَيْلِ جَبَانٍ .
قَالَ : وَلَمْ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ غَفِيفٌ
(لاي الصرج)

١٤٣ قَالَ الْبُخَّارِيُّ :

تَكُنْ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حِظَّ الذُّمُّ نُوْبَ إِذَا قَدَمَنْ مِنَ الذُّنُوبِ
قِيلَ : الْإِعْتِرَافُ . يَزُولُ بِهِ الْإِقْتِرَافُ . لَا عِثْبَ مَعَ إِقْرَارِهِ . وَلَا
ذَنْبَ مَعَ اسْتِغْفَارِهِ . الْمَعْتَرِفُ بِالْجُرِيَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْعَفْوَةِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
حَازِمٍ :

إِذَا مَا أَمَرُوا مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَكَ الذَّنْبُ
قَالَ كُثُومُ بْنُ عَمْرٍو لِصَدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا : إِمَّا أَنْ تُقِرَّ بِذَنْبِكَ
فَيَكُونَ إِقْرَارُكَ حُجَّةً لَنَا فِي الْعَفْوِ . وَإِلَّا قَطَبَ نَفْسًا بِالْإِنْتِظَارِ مِنْكَ
أَقِرَّ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبْ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
قَالَ أَبُو بَكْرِ الصَّوَلِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيْظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرِّ يَرِيقِ
فَقَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ خَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِلاَ صَدِيقِ
١٤٤ أَنِّي الْمَنْصُورُ بِرَجُلٍ أَذْنَبَ . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِالْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِالْإِحْسَانِ . فَقَعَا
عَنْهُ . قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ الذُّنُوبِ بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَةً
لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيَّةَ لَهُ أَنْ تَقْضَ عَلَى الْجُرِيَةِ

(للشاعبي)

دَخَلَ ابْنُ حُزَيْمٍ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَقَدْ عَثَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الشَّامِ

وَأَرَادَ أَنْ يَنْزُوَهُمْ جَيْشًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِالْمَقْصُودِ عَنْ
الْمُذْنِبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الْمُسِيءِ . فَلَأَنَّ يُطِيعَكَ الْعَرَبُ طَاعَةً مَحَبَّةً خَيْرٌ
لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةً خَوْفٍ (لابن عبد ربه)

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ شَاوَرَفِيهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
الْأَحْوَلِ الْوَزِيرِ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نَظْرَانِ . وَإِنْ
عَفَوْتَ فَمَا لَكَ نَظِيرُ (وفيات الاعيان لابن خلكان)

العدل

١٤٥ إِعْلَمُ أَنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْحَقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ عَدْلَ الْمَلِكِ
يُوجِبُ مَحَبَّةَ وَجُورَهُ يُوجِبُ الْإِفْتِرَاقَ عَنْهُ . قِيلَ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
تُحْدِلُ عَلَى النِّعَامِ وَتُقَفِّحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ . وَسَأَلَ الْإِسْكَندَرُ حُكَمَاءَ
أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَلْبَغَ عِنْدَكُمْ الشُّجَاعَةِ أَمْ الْعَدْلُ . قَالُوا إِذَا اسْتَمَعْنَا
الْعَدْلَ اسْتَعَيْنَا بِهِ عَنِ الشُّجَاعَةِ . وَيُقَالُ : عَدْلُ السُّلْطَانِ . أَنْفَعُ مِنْ
خِصْبِ الزَّيْتَانِ (للإبسيهي)

١٤٦ إِنْ السُّلْطَانُ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رِعْيَتِهِ . وَأَقَامُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَتَمَاطَوْا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَلَزِمُوا قَوَانِينَ الْعَدْلِ . فَمَاتَ
الْبَاطِلُ وَذَهَبَ رُسُومُ الْجَوْرِ . وَانْتَعَشَتْ قَوَانِينُ الْحَقِّ . فَأَرْسَلَتْ
السَّمَاءُ غِيَاثَهَا وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ بَرَكَاتَهَا . وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَزَكَتْ
زُرُوعُهُمْ . وَدَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ . وَدَرَّتْ أَرْزَاقُهُمْ . وَرَخَّصَتْ أَسْعَادُهُمْ .

وَأَمَّا لَاتُ أَوْعِيَهُمْ . قَوَّاسِيُ الْبَيْتِ . وَأَفْضَلُ الْكَرِيمِ . وَفُضِيَتْ
 الْحَقُوقُ . وَإِذَا جَادَ السُّلْطَانُ أَتَشَرَ الْجُورُ فِي الْبِلَادِ وَعَمَّ الْعِبَادُ .
 فَرَقَتْ أَدْيَانُهُمْ . وَأَضْحَكَتْ مُرُواتُهُمْ . وَقَسَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي .
 وَذَمَّتْ أَمَانَتَهُمْ . وَتَضَمَّنَتْ النُّفُوسُ . وَقَطَبَتْ أَلْسُلُوبُ . فَمَنَعُوا
 الْحَقُوقَ . وَتَمَاطَوْا الْبَاطِلَ . وَبَحَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ . فَرُفِعَتْ مِنْهُمْ
 الْبَرَكَةُ . وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا . وَلَمْ تَخْرِجِ الْأَرْضُ زَرْعَهَا وَنَبَاتَهَا .
 وَقَلَّ فِي أَيْدِيهِمُ الْخَطَامُ . وَقَطُّوا وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ . وَتَنَاجَرُوا
 عَلَى الْمَقْشُودِ . فَمَنَعُوا الزَّكَّاتِ الْمَرْوَصَةَ . وَبَحَلُّوا بِالْمُؤَاسَاةِ الْمُسَوَّيَةِ .
 وَفَضُّوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ . وَتَنَازَعُوا الْقَدَارَ الْأَلْطِفَ وَتَجَاحَدُوا
 الْقَدْرَ الْخَفِيسَ . فَفَقَسَتْ فِيهِمُ الْإِيمَانُ الْكَاذِبَةُ . وَالْحِيلُ فِي الْبَيْعِ .
 وَالْجِدَاعُ فِي الْمَعَامَلَةِ . وَالْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ فِي الْقَضَاءِ وَالْإِقْضَاءِ . وَمَنْ
 عَاشَ كَذَلِكَ قَبَطَ الْأَرْضَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا (للطراطوشي)

قَالَ أَرْدَشِيرُ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّ الْمَلِكَ وَالْعَدْلَ أَخَوَانِ لَا يَغْنَى
 بِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ . فَأَلَمَّا لَأَسُّ وَالْعَدْلُ حَارِسٌ . فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 أَسٌّ مُهْدُومٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ (لأبن عبد ربه)

الوفاء

١٤٧ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ النَّخَعِيُّ : مَا خَلَقْتُ إِلَّا قَرِيْتُ . وَمَا
 وَعَدْتُ إِلَّا وَفَيْتُ (للزويني)

قَالُوا : مَنْ تَحَلَّى بِالْوَفَاءِ . وَتَحَلَّى عَنِ الْجَهْلِ . فَذَلِكَ مِنْ إِخْوَانِ

الصفاء . وقالوا : ألوفا ضالةٌ كثيرُ نائسِدها . قليلٌ واجِدُها . **الْقِيلُ** :
ألوفا من شيم الكرام . والعدو من خلّاق اللئام .

(الكنز المدفون للسيوطي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ :

ذَهَبَ أَلُوفًا ذَهَابَ أَمْسِرِ الذَّاهِبِ قَالَتِ النَّاسُ بَيْنَ مُحَالِفٍ وَمَوَارِبٍ
يُفْشُونَ بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةَ وَالصَّفَا وَقُلُوبُهُمْ تَحْشَوُةٌ بِمَقَارِبٍ
١٤٨ قَالُوا : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْذُ . وَعَدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفُ . قَالَ عُمَرُ
ابْنُ الْحَارِثِ : كَانُوا فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ . ثُمَّ صَارُوا
يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ . ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ
قَالَ زِيَادُ الْأَنْجَمِ :

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ فَتَى لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا دِ وَحَبْدَا صِدْقِ الْبُخْلِ

الصدقة والحلة

١٤٩ قِيلَ : الْمُرءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . قَالَ الْأَخْفَ بْنُ قَيْسٍ : خَيْرُ
الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَذْكُ فِي الْمَوَدَّةِ . وَإِنْ اخْتَجْتَ إِلَيْهِ
لَمْ يَنْقُصْكَ . وَإِنْ كُوِّرَتْ عَصَدُكَ . وَإِنْ اسْتَرْقَدْتَ رَقْدَكَ . وَأَنْشَدَ
أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ :

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى الذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَكُنْتُ أَجَازِيهِ فَأَيْنَ التَّقَاضُلُ
وَلَكِنْ أَذَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرَّنِي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

قَالَ آخَرُ :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني بِلِسَانِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبٌ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعُوذْتُهِ النَّوَابُ
قَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

إِصْحَبْ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلَ الدِّينِ قَالُوا مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ
قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَا قَرَدِي مَعَ الرَّدِي

عَنِ الرَّدِّ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

١٥٠ قِيلَ لِيَزْدَجْمَهُ : مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ :

مَا أَحَبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ :

الْقَرَابَةُ تُقَطِّعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفِرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَفَّارِبِ الْقُلُوبِ

قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ : يَلْبِغِي أَنْ تَسْتَسْطِرَّ لِزَلَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ

عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُكَ فَفُضِّلَ لِقَلْبِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَتَذَرُّ إِلَيْكَ

أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلْ عُذْرَهُ فَإِنَّ الْمُعْتُوبَ لَا هُوَ

قَالَ الْمُبَرِّدُ :

مَا أَقْرَبُ إِلَّا لِيَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ

وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ أَقْرَبُ لِلنَّسَبِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ دَوِي الصَّدْرِ مُضْطَعِنٍ
وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبٍ
قَالَ الْمُعِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَلَيْسَ الَّذِي يَلْقَاكَ بِالْبَشْرِ وَالرِّضَا وَإِنْ غَبَتْ عَنْهُ أَلَمَتُكَ عَقَارِبُهُ
قَالَ بَشَّارُ :

قَوْدٌ عَدَوِي ثُمَّ تَرَعُمُ أَتَيْتُ صَدِيقَكَ إِنْ أَرَأَيْتُ مِنْكَ لَعَارِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني رَأَيْ عَيْنِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبُ
١٥١ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادُهُ : يَا بَنِي عَاشِرُوا النَّاسَ
عِشْرَةً إِنْ غَبْتُمْ خُذُوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ هُدَيْتُمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِي : إِنْ
الْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَدَّةٌ تَتَلَحَّظُ بِالْمُودَةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذَلِكَ هِيَ فِي
الْبُغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَرْجُوهُ .
وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَحْذَرُوهُ
قَالَ الطُّغْرَانِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهَوَ أَجَلٌ ذَخِيرُ إِذَا نَابَكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتْ إِسَاءَتُهُ فَهَبَهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ الْحَسَانِ
تُرِيدُ هَذَا بِلَا عَيْبٍ فِيهِ وَهَلْ عُوْدٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانِ
قَالَ الْعَطَوِيُّ :

صُنِ الْوَدَّ إِلَّا عَنِ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ يُؤَاخِزِهِ تَشْرُفُ
وَلَا تَغْتَرِّدُ مِنْ دَوِي خِلَعٍ وَإِنْ مَوَّهُوا لَكَ أَوْ زَخَرُوا

١٥٢ قَالَ يَرْجِعُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعْ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَيُنْذِلْ
 نَفْسَهُ وَمَا لَهُ فِي شِدَّتِهِ وَلَا يَمُدُّ نَفْسَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ . مِنْ كَلَامِ بَعْضِ
 الْعَارِفِينَ : الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ . لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ
 وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ . فِي الْخَيْرِ : الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ .
 وَيُقَالُ : الرَّجُلُ بِلَا إِخْوَانٍ كَالشِّمَالِ بِلَا يَمِينٍ . وَيُقَالُ : مَنْ اتَّخَذَ
 إِخْوَانًا . كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا . وَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : التَّارِكُ لِلْإِخْوَانِ
 مَرْكُوكٌ . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ : عَلَيْكَ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي
 الرِّحَاءِ . وَعِدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ (لباء الدين)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

تَكْثُرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَفَتْ أَنْهَمُ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ وَظَهِيرُ
 وَمَا بِكَ كَثِيرُ أَلْفُ جُلٍ وَصَاحِبٍ وَإِنْ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكثيرُ
 ١٥٣ وَقَالَ الْعَتَبِيُّ : لِقَاءُ الْإِخْوَانِ زَهَةُ الْقُلُوبِ . وَقَالَ ابْنُ عَابِشَةَ
 الْفَرَسِيِّ : مَجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ مَسَلَةٌ لِلْأَخْرَانِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ :
 إِنَّ فِي لِقَاءِ الْإِخْوَانِ لَعَنًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لابي نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْفَيْتَمِ : مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ . فَقَالَ : ثَلَاثٌ خِلَالِ .
 كَيْفَانِ حَدِيثِ الْحُلُوءِ . وَالْمَوَاسَاةُ عِنْدَ الشَّدَةِ . وَإِقَالَةُ الْعَمَرَةِ
 (للمستعصي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : عَلَيْكَ بِصُحْبَةٍ مِنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ .

وَأِنْ عَيْتَ عَنْهُ صَانِكَ . وَإِنْ أَخْتَجْتَ إِلَيْهِ مَا نَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ
خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : مِنْ حُقُوقِ
الْمُودَّةِ أَخْذُ عَفْوِ الْإِخْوَانِ . وَالْإِعْضَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . وَقِيلَ :
خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا نَسِيتَ ذَنْبَكَ لَمْ يُقِرَّكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ
لَمْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِهِ (للشريشي)

قَالَ الْإِسْكَنْدَرُ : انْتَضَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَضَعْتُ بِأَصْدِقَائِي
لَأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيَبْهِنُونِي بِذَلِكَ عَلَى
الْخَطَاءِ فَاسْتَدْرَكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي الْخَطَاءَ وَيُسَجِّمُونِي
عَلَيْهِ (الآداب السلطانية للفخري)

وَلِلَّهِ دَرَأِي حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ :
عِدَائِي لَهُمْ فَضَّلْتُ عَلَى مِثْلِهِ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ يَمْحُوا عَنْ زَلَّتِي فَأَجْتَنَّبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَأَكْتَسَبْتُ الْمَالِيَا

للشيرة

١٥٥ سِيلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْمَقْلِ وَأَيُّهَا
أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ . مُشَاوَرَةُ
الْعُلَمَاءِ . وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحُسْنُ التَّنَبُّهِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ
أَشْيَاءَ . الْإِسْتِبْدَادُ . وَالْتِهَانُ . وَالْعَجَلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
يَقُولُ : رَأَى الشَّيْخُ أَحْسَنُ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ . قَالَ الْعَلَمِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ
مِنْ عَبَسَ مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

فَتَحْنُ نُسَاوِرُهُ فَكَأَنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 أَرَأَيْكَ كَأَلَّيْلٍ مُسَوِّدًا جَوَانِبُهُ وَأَلَّيْلٍ لَا يَنْجِي إِلَّا بِاصْبَاحٍ
 فَأَضْمَمْتُ مَصَابِيحَ آرَاءِ الرِّجَالِ إِلَى مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَرَدَّدَ ضَوْؤُهُ مِصْبَاحٍ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ :

إِقْرِنِ بِرَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ وَاسْتَشِرْ فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى الْإِنْسَانِ
 لِلْمَرْءِ مِرَآةٌ تَرِيهِ وَجْهَهُ وَدَى قَقَاهُ يَجْمَعُ مِرَآئِينَ
 ١٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : إِذَا شَاوَرْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ . وَقَالَ الْعِتَابِيُّ :
 الْمَشُورَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَفْتَى بِرَأْيِهِ . وَقَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَزِّ : الْمَشُورَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَبُّ لِفَيْرِكَ . وَمَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةِ لَمْ
 يَبْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحًا وَعِنْدَ الْخَطَا عَازِرًا (لَا يَنْصُرُ الْمُقْدِسِي)

كتمان السر

١٥٧ قَالَ أَنُوشِرَوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَخْصِيصِهِ خَصْلَتَانِ .
 الظُّفْرُ بِحَاجَتِهِ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ السُّطُوتِ . وَقِيلَ : كُلَّمَا كَثُرَتْ خُرَانُ
 الْأَسْرَارِ زَادَتْ ضَيَاعًا . وَقِيلَ : أَنْفَرَدَ بِسِرِّكَ لَا تُؤَدِّعُهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ .
 وَلَا جَاهِلًا فَيُخَوِّنَ (لِلأَبِشِيهِ)

وَقَالَ كُفَّ بْنُ سَعْدٍ الْقَنْوِيُّ :
 وَلَسْتُ بِمُبْدِي لِلرِّجَالِ سِرِّي وَلَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِمَسَائِلِ
 وَقَالَ آخَرُ :

يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِرَّهُ لَا تَزُجْ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي

لَمْ أَجْزِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجِرْ فِي أُذُنِي
قَالَ ابْنُ الْخَطِيرِ:

لَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي نِقَّةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومٌ
فَالسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ صَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومٌ
قَالَ أَبُو الْحَاسَنِ الشَّوَاءُ: فِي تَخْصِيصٍ لَا يَكْتُمُ السِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ
لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِغَيْبَةٍ أَوْ مُحَالٍ
أَشَبَّ النَّاسَ بِالصَّدَى إِنْ تُحَدِّثُهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي الْحَالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُبُلَ سُلُوفٍ: أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَ عَلَى الْإِنْسَانِ. قَالَ:
الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ. شَتَمَ رَجُلٌ تَخْنِيسَ الْحَكِيمِ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: لَا أَدْخُلُ حَرْبًا أَلْغَابُ فِيهَا
أَشْرَ مِنْ الْمَغْلُوبِ. وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ. لَا تَتَّبِعْ هَيْبَةَ السُّكُوتِ
بِالرَّخِيسِ مِنَ الْكَلَامِ. قَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ: إِخْتِصَارُ الْكَلَامِ طَيُّ
الْمَعَانِي. وَقِيلَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ الْإِنْسَانُ. قَالَ: السُّكُوتُ. وَمِنْ
كَلَامِ الْحُكَمَاءِ: يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِعِلَّةٍ مَقَالِهِ. وَعَلَى فَضْلِهِ
بِكَثْرَةِ أَحْتِمَالِهِ (لباء الدين)

١٥٩ اجْتَمَعَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا. فَقَالَ مَلِكُ الْفَرَسِ: مَا نَدِمْتُ
عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مَرَّةً. وَقَالَ قَيْصَرُ: أَنَا عَلَى
رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ. وَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ: مَا لَمْ

أَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مَلَكَتْهَا فَإِذَا تَكَلَّمْتُ بِهَا مَلَكَتْنِي . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ :
 أَلْعَجَبُ مِنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِنْ رُفِعَتْ ضَرَّتْ وَإِنْ لَمْ تَرْفَعْ لَمْ تَنْفَعِ
 (كالبله ودمنه)

١٦٠ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ وَيُطْبِلُ
 الصَّمْتَ . فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا : أَلَا تَتَكَلَّمُ . فَقَالَ : أَصَمْتُ فَأَسْلَمْتُ .
 وَاسْتَمِعَ فَأَعْلَمَ . إِنَّ حَظَّ الْمَرْءِ فِي أَذُنِهِ لَهُ وَفِي لِسَانِهِ لِنَعِيرِهِ (للدهيري)
 قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِإِسَانِهِ
 وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
 فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تَذْهَبُ رَأْسَهُ
 وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

١٦١ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : النَّدَمُ عَلَى الصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى
 الْقَوْلِ . وَمِنْ فُضُولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : مَنْ أَخَافَهُ الْكَلَامُ أَهَارَهُ الصَّمْتُ .
 وَقَالَ أَيْضًا : اَلْخَطَا بِالصَّمْتِ يُخْتَمُ . وَالْخَطْلُ بِمِثْلِهِ لَا يُكْتَمُ
 وَقَالَ آخَرُ :

الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صِدْقَ الْمَوَدَّةِ وَالْحُبَّةَ
 وَالْقَوْلُ يَسْتَدْعِي لَصًا حِيَةَ الْمُدَّعَةِ وَالْمَسَّةَ
 فَارْتَبِعْ عَنِ الْقَوْلِ وَلَا يَهْتَاجَ مِنْكَ إِلَيْهِ رَغْبَةٌ

١٦٢ وَيُقَالُ : مِنْ عَلَامَاتِ الْعَاقِلِ حُسْنُ سَمْتِهِ . وَطُولُ صَمْتِهِ . وَقَالَ

بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ . وَالثَّانِي حَسَنُ الْإِسْتِمَاعِ .
وَالثَّالِثُ الْخِفْظُ . وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِهِ . وَالْخَامِسُ نَشْرُهُ . كَانَ يُقَالُ :
مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فُكَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبَلَنَاءِ : أَلْسَانُ . أَجْرَحُ
جَوَارِحَ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ آخَرُ : أَلْسَانُ سَبْعُ صَغِيرِ الْجَزْمِ .

(لأبي نصر المقدسي)

صَمِعْتُ بَعْضَ الشُّيُوخِ يَقُولُ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَأَكْثَرُهُمْ غِنَاءً .
مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ . وَقَلْبٌ مُطْبِقٌ . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا
يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . (الكنز المدفون)

قَالَ نَصْرُ بْنُ شَيْبَةَ :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَكِّمٍ يَجِدُ الْحَالَ مِنَ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوَّلَيْتُهُ مِنِّي السُّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ جَوَابًا
قَالَ فَيْلَسُوفٌ : كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَمَحَّنُ بِإِطَانِهَا فَيَعْرِفُ صَحِيحَهَا أَوْ
مَكْسُورَهَا . كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يَعْرِفُ حَالَهُ بِمَنْطِقِهِ (لبهاء الدين)

١٦٣ شَاوَرُ مُعَاوِيَةَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي اسْتِخْلَافِهِ بَزِيدَ . فَسَكَتَ
عَنْهُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْتُكَ أَتَخْطُأُكَ . وَإِنْ
كَذَبْتُكَ أَتَخْطُأُ اللَّهَ . فَخَطَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْ نَخْطِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ
لِكَلَامٍ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَال . وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكَتٌ . وَقَالَ :

الْأَحَقُّ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ (لَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ)
قَالَ زُهَيْرُ :

كَأَنَّ زَيْدًا مِنْ مُنْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي الْكَلَمِ
لِسَانُ الْقَتْلِ نِصْفٌ وَنِصْفُ فَوَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

الْكُذْبِ

١٦٤ الْكُذْبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَلَى خِلَافِ الْأَوَاقِعِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ
لَمْ أَدْعِ الْكُذْبَ تَوَرَّعًا . تَرَكْتُهُ نَصْنَعًا (الْكُتُبُ الْمَدْفُونَةُ لِلْسَيُوطِيِّ)
قَالَ عُمَرُ : عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ .

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَأَنْبَغَ رِمَا الْمَوْتِ فَأَنْغَى الْوَرَى مَنْ أَنْخَطَ الْمَوْتُ وَأَرْضَى الْعَيْدِ
وَقِيلَ : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ النُّطْقِ الصِّدْقُ (لِلأَبَشِيِّ)
١٦٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُمَيْدَةَ : الصِّدْقُ رَيْعُ الْقَلْبِ . وَزَكَاةُ الْخَلْقَةِ .
وَمَثَرَةُ الْمَرْوَةِ . وَشَمَاعُ الصَّيْبِ . وَعَنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ عِبَارَتُهُ . وَإِلَى
اعْتِدَالِ وَزَنِ الْأَهْلِ يُنْسَرُ صَاحِبُهُ . قَالَ بَعْضُ الْفَلَسَفَةِ : الْكُذَّابُ
وَالْمَيِّتُ سَوَاءٌ . لِأَنَّ فَضِيلَةَ الْحَيِّ النُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوْتَقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ
حَيَاتُهُ . قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : الْكُذَّابُ لَيْسَ . لِأَنَّ الْأَلْسُنَ يَسْرِقُ
مَا لَكَ . وَالْكُذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ . وَلَا تَأْمَنُ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ
عَلَيْكَ . وَمَنْ أَغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنُ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَاءِ نَهْ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ
(زهر الآداب القيرواني)

التواضع والكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا التَّوَاضُّعُ . قَالُوا : اجْتِلَابُ الْحُجْدِ وَانْتِسَابُ
الْوَدِّ . فَقِيلَ : مَا الْكِبَرُ . قَالُوا : انْتِسَابُ الْبُغْضِ . وَقِيلَ : التَّوَاضُّعُ
أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ . مَنْ لَمْ يَتَضَعِ عِنْدَ نَفْسِهِ . لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ
نَظَرَ مُطَرِّفٌ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْجُبُهَا . قَالُوا : مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ
الَّتِي يُبَغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى . قَالُوا : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي . قَالَ : بَلَى أَوَّلُكَ مَادَّةُ
مَذْرُوءَةٍ وَآخِرُكَ حَيْثُ قَدِيرَةٌ . فَلَمْ يَمُدَّ إِلَى تِلْكَ الْمِشْيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ .
وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَخْطُرُ فِي نَاحِيَةِ السُّجْدِ . قَالُوا : انْظُرُوا إِلَى
هَذَا لَيْسَ مِنْهُ عَضْرُ إِلَّا وَاللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ شِمَّةٌ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ لُغْبَةٌ
وَأَشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا مِنْ بَرِّسَلْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ .
قَالُوا : أَجَلٌ مَعِيَ هَذَا يَا عَلِيٍّ فَعَمَلُهُ . فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ : أَدْفَعُهُ
إِلَى أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالُوا : وَاللَّهِ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا الْعُلَاجُ . وَالرَّجُلُ يَتَذَرُّ إِلَيْهِ
وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ . فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ (للكمال)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَثَلُ الْحُجْدِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تُذَرِّكُهُ مُتَبِعًا فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

١٦٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِبَعْضِ الْوُزَرَاءِ : إِنَّ قَوَاضِيكَ فِي شَرِّكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرِّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمِنَ الْبَلَوَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي النَّاسِ كُنْهٌ
أَنْ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لباء الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

حُكِيَ أَنَّ الْنُصُورَ كَانَ جَالِسًا فَأَلَحَّ عَلَيْهِ الذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَ .
فَقَالَ : أَنْظِرُوا مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الْعُلَدَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ .
فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَافَ اللَّهُ الذُّبَابَ . قَالَ :
لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبَّارَةَ . قَالَ : صَدَقَ . ثُمَّ أَجَارَهُ (للابشيهي)

١٦٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِلْكِبَرِ مُجَانِبًا . وَالْإِعْجَابُ
مُبَانيًا . مَنْ جَلَّ فِي الدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَسْتَقِيلُ بِعَالِي
هِمَّتِهِ كُلِّ كَبِيرٍ . وَيَسْتَصْنِرُ مَعَهَا كُلَّ كَبِيرٍ

وَرَدَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ : عَجَابًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنْ
الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَرِحَ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ
(للعاملي)

الحسد

١٦٩ قِيلَ : الْحَسَدُ أَنْ تَتَنَبَّى زَوَالَ نِعْمَةٍ غَيْرِكَ . الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ
عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّرِ : الْحَسَدُ وَالْخِرَاصُ
دِعَامَتَا الذُّنُوبِ . فَلِخِرَاصِ أُخْرِجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ . وَالْحَسَدُ نَقْلُ إِبْلِيسَ
عَنْ جَوَارِ اللَّهِ . وَقَالَ أَيْضًا : لِلَّهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلُهُ يُقْتَلُ الْحَاسِدُ قَبْلَ
أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحُسُودِ . وَقِيلَ : الْحُسُودُ لَا يَسُودُ (لِلشَّعَالِي)

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ :

أَلْحَدُ وَالْحَسَادُ مَقْرُونَانِ إِنْ ذَهَبَا قَذَاهِبَ
وَلَيْنَ مَلَكَتِ أَلْحَدُ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ الْأَقَارِبِ

١٧٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَسَدُ وَالْحَاسِدُ مُضَادٌّ
لِنِعْمَةِ اللَّهِ . خَارِجٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . تَارِكٌ لِعَهْدِ اللَّهِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كُلُّ
إِنْسَانٍ أَقْدِرُ أَنْ أَرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا يَرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا . وَكَانَ
يُقَالُ : أَلْحَدُ دَاءٌ دَوِي . وَيُقَالُ : مَنْ كَثُرَ حَسَدُهُ دَوِيَ قَلْبُهُ . وَيُقَالُ :
أَلْحَدُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . وَيُقَالُ : حُلَّ عَقْدِ الْحَقْدِ . يَنْتَظِمُ لَكَ عَقْدُ
أَلُودِ (لَا بِي نَصْرَ الْمُقَدَّسِي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَّيْتَ أُنَاحَ لَهَا لِسَانَ حُسُودٍ
لَوْلَا أَشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

ذم النية

١٧١ إَعْلَمَنَّ أَنَّ النِّيَّةَ مِنْ أَفْجَحِ الْبَاطِلِ وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا فِي النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ . وَهِيَ ذِكْرُكَ الْإِنْسَانَ بِمَا يَكْرَهُ وَلَوْ بِمَا فِيهِ . سِوَاكَ كَانَ فِي دِينِهِ أَوْ بَدَنِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خَائِفِهِ أَوْ خُلُقِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ . سِوَاكَ ذَكَرْتَهُ بِقَطْعِكَ أَوْ بِكِتَابِكَ أَوْ رَمَزْتَ إِلَيْهِ بِعَيْنِكَ أَوْ يَدِكَ أَوْ رَأْسِكَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَقِيلَ لِلرَّيِّعِ أَنْ خَيَّمْ : مَا تَرَكَ تَعِيبُ أَحَدًا . فَقَالَ : لَسْتُ عَنْ نَفْسِي رَاضِيًا فَأَتَقَرَّغَ لَذَمِ النَّاسِ . وَأَنشَدَ :

لِنَفْسِي أَنْبِي لَيْسَ أَنْبِي لِعَيْبِهَا لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلُ
١٧٢ اسْتَعْمَلْتُ دَمَ مَنْ لَوْ كَانَ حَاضِرًا لَبَأَنْتَ فِي مَدْحِهِ . وَمَدَحُ مَنْ لَوْ كَانَ غَائِبًا لَسَارَعْتَ إِلَى ذَمِّهِ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : كَمَا أَنَّ الذُّبَابَ يَتَّبِعُ مَوَاضِعَ الْجُرُوحِ فَيَنْصَكِّيهَا وَيَجْتَنِبُ الْمَوَاضِعَ الصَّحِيحَةَ . كَذَلِكَ الْأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ الْعَلَائِبَ فَيَذْكُرُونَهَا وَيَذْفُونَ الْحَاسِنَ

(لباء الدين)

١٧٣ إَعْلَمَنَّ أَنَّهُ كَمَا يُحْرَمُ عَلَى الْمُتَابِ ذِكْرُ النِّيَّةِ كَذَلِكَ يُحْرَمُ عَلَى السَّمِيعِ اسْتِمَاعُهَا . فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَسْتَمِعُ إِنْسَانًا يَتَتَبَعُ بَغِيَّةً أَنْ يَنْهَاهُ إِنْ لَمْ يَخَفْ ضَرَرًا . فَإِنْ خَافَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ بِقَلْبِهِ وَمُقَارَفَةُ ذَلِكَ الْجُلُوسِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ مُقَارَفَتِهِ

(للأبشيهي)

سَمِعَ عَلِيٌّ رَجُلًا يَقْتَابُ آخَرَ عِنْدَ أَبِيهِ الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ زَرَهُ

تَمَمَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَعَهُ فِي وَعَائِكَ
(للمستعصي)

قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ :

وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ سَمَاعٍ الْقَبِيحِ كَهَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِي بِهِ
فَأَنَّكَ عِنْدَ سَمَاعٍ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَانِلِهِ فَأَنْتَبِهْ

الملح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : الْمَرْاحُ يُذْهِبُ الْمُهَابَةَ وَيُورِثُ
الضُّعْفَةَ أَوْ الْمُهَابَةَ وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : الْمَرْاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ . وَمَنْ كَثُرَ مَرْاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي اسْتِخْقَافٍ بِهِ وَجَحْدٍ عَلَيْهِ
قَالَ نَاصِحُ الدِّينِ بْنِ الدَّهَّانِ :

لَا تَجْعَلِ الْهَزْلَ دَابًّا فَهُوَ مَنْقُصَةٌ وَأَلْجِدْ تَعْلُوهُ بَيْنَ أَلْوَرَى الْقِيمِ
وَلَا يَمُرَّنَكَ مِنْ مَلِكٍ تَبَسُّمُهُ مَا سَحَّتِ السَّحْبُ الْإِحِينُ تَبَسُّمِ
١٧٥ كَانَ يُقَالُ : الْإِفْرَاطُ فِي الْمَرْحِ مَجُونٌ وَالْإِقْتِصَادُ فِيهِ ظَرِافَةٌ
وَيُقَالُ : الْمَرْحُ فِي الْكَلَامِ . كَأَنْ يُلْحِجَ فِي الطَّعَامِ . وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو الْقَتْحِ
الْبُسْتِيُّ فَقَالَ :

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْمَرْحَةِ قَلِيلًا وَعَلَّاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَرْحِ
(لَا يَنْصُرُ الْمُقْدِسِي)

الكرم

١٧٦ الْجُودُ سُهولةُ الْبَذْلِ وَسُقُوطُ شُعِ النَّفْسِ . وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ :
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَتِيرٌ

(الكنز المذفون)

قَالَ أَكْثَرُ بَنِي صَيْفِي حَكِيمُ الْعَرَبِ : ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ .
وَقُودُوهَا إِلَى الْحَمِيدِ . وَعَلِّمُوهَا الْمَكَارِمَ . وَصَلُّوا مِنْ رَغَبِ إِلَيْكُمْ .
وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ بِإِسْكُمْ الْحُبَّةِ . وَلَا تَعْتَدُوا الْبُخْلَ فَتَسْجَلُوا الْفَقْرَ

(لابن عبد ربّه)

قَالَ أَبُو تَمَامٍ يَصِفُ الْخَلِيفَةَ الْمُتَصِمَ :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ انْقِبَاصًا لَمْ تُطْفِئْهُ أَنْامِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيْ التَّوَّاحِي أَيْدِيهِ فَلَجَّهُ الْمُرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَ اللَّهَ سَائِلُهُ
١٧٧ قَالُوا : السَّخِيُّ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِبَذْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِطَائِهِ . لَا
يَلْتَمِسُ عَرْضَ دُنْيَا فَيَجْبُطَ عَمَلُهُ . وَلَا طَلَبَ مَكَافَأَةٍ فَيَسْقُطَ شُكْرُهُ .
وَيَكُونُ مِثْلَهُ فِيمَا أُعْطِيَ مِثْلَ الصَّائِدِ الَّذِي يُلْقِي الْحَبَّ لِلطَّائِرِ لَا يُرِيدُ
نَفْعَهُ وَلَكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَجُودَ النَّاسِ .
قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قَلْبِهِ . وَصَانَ وَجْهَ السَّائِلِ عَنِ الْمُدَّةِ (لِهَا الدِّينِ)
قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَرَّارِيُّ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِنْفَاقِ :

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلَامٌ أَصُونُهُ وَمَا سَادَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الْبُخْلِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ لِعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ
١٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : الْجُودُ أَشْرَافُ الْأَخْلَاقِ . وَأَنْفُسُ الْأَعْلَاقِ .
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْجُودُ حَارِسُ النَّفْسِ مِنَ الدَّمِّ . وَقَالَ آخَرُ : الْأَخْيَارُ
يَتَبَلَّغُونَ الْمَالَ . وَالْبَخِلَاءُ يَبْذُرُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَوْ كَانَ شَيْءٌ
يُشْبِهُ الرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ : الْجُودُ . وَيُقَالُ : مَنْ جَادَسَادَ . وَمَنْ بَخَلَ رَذُلٌ .
وَقَالَ عُمَرُ : السَّيِّدُ الْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ . وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلِلْمَالِ لَكَ
قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ :

بَلَّتِ الْمَكَارِمُ وَسَطَ كِفْكَ مَنَزَلًا وَجَعَلَتْ مَالَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحًا
فَإِذَا الْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا كَانَتْ يَدَاكَ لِقُلُوبِهِمَا مِفْتَاحًا
١٧٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرَيْرٍ : اسْتَغْلِلْ كَثِيرًا مَا تُعْطِي . وَاسْتَغْنِ
قَلِيلًا مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ رُءُوسَ الْعَيْنِ الْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطِي . وَفُرَّةَ عَيْنِ الْيَتِيمِ فِيمَا
يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ السَّحِيحَ لَكَ مُعِينًا . وَلَا الْكَذَّابَ أَمِينًا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ
مَعَ سَحِيحٍ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ . وَالسَّلَامُ (لِلْمُسْتَعْمِي)
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيَيْنِ أَصُولُ
وَلَمْ أَرْ كَالْمُرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ

الشكر

١٨٠ الشُّكْرُ الثَّنَاءُ عَلَى الْخَيْرِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
 السَّيِّئَانِي : كُنْتُ أَرَى رَجُلًا مِنْ وَجْهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لُحْمُهُ وَلَا
 يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَإِدْخَالِ الْمُرَاقِ عَلَى الضَّعِيفِ .
 قُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ الْحَالِ الَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هَذَا التَّعَبَ فِي الْقِيَامِ
 بِحَوَائِجِ النَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُ تُغْرِيدَ الْأَطْيَارِ . بِالْأَنْتَحَارِ
 فِي فُرُوعِ الْأَنْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ الْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصَوَاتِ
 الْقِيَانِ . فَمَا طَرَبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ تَنَادٍ حَسَنٍ بِلِسَانِ
 حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرِّ
 لِرَجُلٍ حَرٍّ (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : إِنْ اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ .
 وَكَلَّمَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ . قِيلَ : الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ
 لِأَنَّهُ يَبْقَى وَالنِّعَمُ تَفْنَى . وَقِيلَ : الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ . وَأَمَّا مَنْ
 التَّنَمَّ . وَقَالُوا : كَفَرُ النِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الزَّيْدَ
 فِيهَا . وَقَالُوا : مَنْ جَدَّدَكَ فَقَدْ وَفَّاءٌ حَقَّ نِعْمَتِكَ . وَقَالُوا : إِذَا قَصُرَتْ
 يَدَاكَ عَنِ الْمَكَاافَةِ فَلْيَطْلُبْ لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ
 الْأَوَاقِدِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ قُلْتُ : إِنْ هُنَا قَوْمًا
 يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا فَكَيْفَ
 لَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لابن عبدربه)

١٨٢ القناعةُ الإكفافُ بالموجود . وتركُ الشَّوقِ إلى المفقود .
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِيَّ الْعَبْدُ حُرٌّ إِذَا قَنَعَ . وَالْحُرُّ عَبْدٌ
 إِذَا طَمِعَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِالْكَثِيرِ .
 وَمِنْ فُضُولِ ابْنِ الْمُعْتَرِ : أَعْرِفَ النَّاسَ بِاللَّهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ .
 وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنْ كَانَ لَا يُشْرِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُشْرِيكَ
 قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تُكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْعَالَمِينَ الْغَيْرِ لَمْ يَزَلْ حَصِيرًا وَفِي الدُّنْيَا أَسِيرٌ غُوبِنَا
 ١٨٣ قَالُوا : الْغِنَى مَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ . وَالْفَقِيرُ مَنْ أَفْقَرَ إِلَى النَّاسِ
 وَقَالُوا : لَا غِنَى إِلَّا غِنَى النَّفْسِ (لابن عبد ربّه)
 قَالَ النَّوَوِي :

وَجَدْتُ الْقَنَاعَةَ أَصْلَ الْغِنَى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ
 فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٌ
 وَعِشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أُمِرْتُ عَلَى النَّاسِ شَبَهَ الْمَلِكِ
 نَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَارٍ
 يَضْرِبُ بِالثُّوبِ الْمَغْسَلَةِ . فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ
 الْخِلَافَةَ . فَبَلَغَ كَلَامُهُ أَبَا حَاتِمٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَهُمْ إِذَا

حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ يَتَمَتَّنُونَ مَا تَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَ نَا الْمَوْتُ لَمْ تَحْنُ مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَقْدِرُ الصُّعُودُ يَكُونُ الْهَبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرَّبَّ الْعَالِيَةَ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَتْ تَقُومُ وَرَجْلَاكَ فِي عَافِيَةٍ
١٨٤ كَانَ أَنْوَشَرَانُ يَمْسِكُ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : تَتْرُكُ
مَانِحِبٌ لِلَّا نَقَعَ فِيمَا نَكَّرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ الْحَكِيمُ قَلِيلَ الْأَكْلِ
خَشِنَ اللَّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ الرَّحْمَةَ
لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ دُورُوحٍ وَلَا تَرْحَمُهُمَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ
فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ
لِتَأْكُلَ . وَالسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ الْعِزَّ فَاطْلُبْهُ بِالطَّاعَةِ .
وَإِذَا أَرَدْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ نَصَرَهُ . وَمَنْ
لَزِمَ الْقَنَاعَةَ زَالَ قَهْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : الْفَنِيَةُ يَنْبُوعُ الْأَخْزَانِ . نَظَّمَهُ
أَبُو الْقَنَحِ الْبَسْتِيُّ يَقُولُهُ :

يَقُولُونَ مَا لَكَ لَا تَقْتَنِي مِنْ أَلَالٍ ذُخْرًا يُفِيدُ الْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَقَحَمْتُهُمْ فِي الْجَوَابِ لَسَلَا أَخَافُ وَلَا أَخْزَنَا
(لِبِهَاءِ الدِّينِ)

البطنة

١٨٦ قَالُوا : الْبَطْنَةُ تَذْهَبُ الْبَطْنَةُ . رَأَى أَبُو الْأَسْوَدُ الدَّؤَلِيُّ

رَجُلًا يَلْقَمُ لَحْمًا مُنْكَرًا . فَقَالَ : كَيْفَ أَتَمَّكَ . قَالَ : لَحْمَانِ . قَالَ :
 صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ . وَرَأَى أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا سَيِّئًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ
 قِطْفَةً مِنْ لَسَنِ أَضْرَاسِكَ . قِيلَ لِبِزْرَجَمَرٍ : أَيُّ وَقْتٍ فِيهِ الطَّعَامُ
 أَضْلَحُ . قَالَ : أَمَّا لِمَنْ قَدَرَ فَإِذَا جَاعَ . وَلِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَإِذَا وَجَدَ . قِيلَ
 لِبَعْضِهِمْ : مَا أَفْضَلُ الدَّوَاءِ . قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ عَنِ الطَّعَامِ وَأَنْتَ
 تَشْتَهِيهِ . قَالُوا : اخْذَرُوا الْبِطْنَةَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعِلَالِ إِنَّمَا تَوَلَّدُ مِنْ فَضُولِ
 الطَّعَامِ .
 (لابن عبد ربه)

ذم التبيذ

١٨٧ جَاءَ فِي الْمُبْتَعِ : الْخَمْرُ مُصْبَحُ الشُّرُورِ . وَلَكِنَّهَا مِفْتَاحُ الشُّرُورِ .
 وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَشْرَبُ مَعْنًا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ
 عَمَلِي . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : التَّبِيدُ كَيْمِيَاءُ الطَّرَبِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَلَكِنَّهُ دَاعِيَةٌ
 الْحَرْبِ . قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا يُخْصِي عَلَى النَّاسِ شَرُّهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَهَنَاءُ
 مَرَارًا تُرِيكَ أَلْتَقَى رُشْدًا وَتَارَةً تُخَيِّلُ أَنَّ الْمُحْسِنِينَ أَسَاوَا
 وَأَنَّ الصَّدِيقَ الْمَلْحِضَ الْوُدَّ مَبْغُضٌ وَأَنَّ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءُ
 وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ التَّبِيدِ قَلَمًا يَدُورُ لِإِخْوَانِ التَّبِيدِ إِخَاءُ

الغزلة

١٨٨ يُقَالُ : الْغَزَلَةُ عَنِ النَّاسِ تَوْقِي الْعِرْضِ . وَتُبْنِي الْجَلَالَةَ .
 وَتَسْتُرُ الْهَاقَةَ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي الْجَمَاعَةِ . فَإِنَّ

السَّلَامَةَ فِي الْوَحْدَةِ وَالْعَزْلَةِ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ :

مَا تَطَعَمْتُ لَذَّةَ الْمَيْسِرِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُنْيَتِي جَلِيلًا
إِنَّمَا الْأَذْلُ فِي مُدَاخَلَةِ الْأَسْرِ قَدَعَهَا وَكُنْ كَرِيمًا رَئِيسًا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ الْعِلْمِ . فَلَا أُبْتِي سِوَاهُ أُنَيْسًا
(لأبي نصر المقيمي)

١٨٩ الْعَزْلَةُ عَنْ الْخَلْقِ هِيَ الطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الْأَسَدُ . وَفَرِّمَنْ
الْخَلْقِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ . فَطَوَّبَنِي لَنْ لَا يَعْرِفُونَهُ شَيْءٌ مِنْ أَهْضَائِهِ
وَالْمَزَايَا . لِأَنَّهُ سَالِمٌ مِنَ الْأَلَامِ وَالزَّايَا . فَأَحْبَسَ نَفْسَكَ فِي زَاوِيَةِ
الْعَزْلَةِ . فَإِنَّ عَزْلَةَ الْمَرْءِ عِزُّهُ . قِيلَ لِبَعْضِ الزُّهَادِ : إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَفْضَتْ بِكُمْ الْخُلُوءَةُ . فَقَالَ : إِلَى الْإِنْسِ بِاللَّهِ تَعَالَى
وَلِلَّهِ دَرٌّ مِنْ قَوْلٍ :

أَنْتَ يَوْحَدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فَطَابَ الْإِنْسُ لِي وَصَفَا السُّرُورُ
وَأَذْبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبْكِي وَأَتَانِي لَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَمَّارَ الْجُنْدِ أَمْ رَكِيبَ الْأَمِيرِ
قِيلَ لِلدَّعْبَلِ الشَّاعِرِ : مَا الْوَحْشَةُ عِنْدَكَ . فَقَالَ : النَّظَرُ إِلَى النَّاسِ
ثُمَّ أُنْشِدَ :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَلْ مَا أَقْلَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ قَدَا
إِنِّي لَا أَفْقُ عَيْنِي حِينَ أَفْقَهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا
(لبهاء الدين)

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

العقل

١٩٠ قَالَ حَكِيمٌ: الْعَقْلُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ. وَأَحْصَنُ مَعْقِلٍ. قَالَ آخَرُ: أَشَدُّ الْفَاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ. وَقَالَ آخَرُ: كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رُخْصَ إِلَّا الْعَقْلَ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ غَلَا. قَالَ الشَّاعِرُ:

يُعَدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ
(لأبي نصر المقدسي)

١٩١ إِفْتَخَرَ بَعْضُ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
وَبِزَخَارِفِ الْمَالِ الْمُسْتَقَادِ. فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْحَكِيمُ: إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ
فَخْرٌ فَيَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ أَفْخَرُ لَهَا لَا لَكَ. وَإِنْ كَانَ أَبَاؤُكَ كَمَا ذَكَرْتَ
أَشْرَافًا فَأَفْخَرُ لَهُمْ لَا لَكَ (للخفري)

١٩٢ اْعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ. وَإِنْ كَانَ دِيمَمَ الْمُنْظَرِ خَفِيرَ
الْخَطَرِ دَنَى الْمَنْزِلَةِ رَثَ الْهَيْئَةِ. وَأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى. وَإِنْ
كَانَ جَمِيلَ الْمُنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطَرِ شَرِيفَ الْمَنْزِلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا
نَطُوقًا. فَأَقْرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَصَاهُ. وَلَا تَعْتَرُوا
بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أحياء علوم الدين)

١٩٣ قَالَ أَنْوْشِرَوَانُ : إِنَّ الْعَاقِلَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ .
وَالْعَقْلُ كَالشَّمْسِ فِي الدُّنْيَا . وَهُوَ قَلْبُ الْحَسَنَاتِ . وَالْعَقْلُ حَسَنٌ فِي
كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ فِي الْأَكْبَارِ وَالرُّعَمَاءِ أَحْسَنُ . وَالْعَقْلُ فِي جَسَدِ
الْإِنْسَانِ كَالرُّطُوبَةِ فِي الشَّجَرَةِ . لِأَنَّ الشَّجَرَةَ مَا دَامَتْ رَطْبَةً طَرِيَّةً
كَانَ الْخَلْقُ مِنْ رَأْتِحَتِهَا وَنَشْرِ أَزْهَارِهَا وَطِيبِ ثَمَارِهَا وَفَضَائِلِهَا
وَطَرَائِفِهَا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَزَهْمَةٍ وَفَرَحَةٍ . فَإِذَا جَفَتْ رَطُوبَتُهَا وَقَلَّتْ
فَضَائِلُهَا فَلَا تَصْلُحُ حَيْثُ لَا يَسْوَى الْقَطْعُ وَالْإِحْرَاقُ وَالْقَلْعُ . قَالَ أَيْضًا :
لَيْسَ لِلْمَلِكِ وَلَا لِرَعِيَةٍ خَيْرٌ مِنَ الْعَقْلِ . فَإِنَّ ضِيَاءَهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْقَبِيحِ
وَالْمُبِيحِ . وَالْجَدِّ وَالرَّدِيِّ . وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ
(التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرقه

١٩٤ قِيلَ : أَلْعُلَمَاءُ فِي الْأَرْضِ كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ . لَوْلَا الْعِلْمُ
لَكَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ
وَمِصْبَاحُ الْأَبْصَارِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ فِي فُصُولِهِ : الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ
كَانَ شَيْخًا . وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَنًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَا مَاتَ مِنْ
أَحْيَا الْعُلُومِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ خُذِ الْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ
الرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ . وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا
يَكْتُبُونَ . وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ (لَا يَنْصُرُ الْمُقَدِّسِي)
١٩٥ لَمَّا وُلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَدْ عَلِيَهُ الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

فَوَقَدَ عَلَيْهِ الْحِجَارِيُّونَ قَمَقَمَ مِنْهُمْ غُلَامٌ لِلْكَلامِ . وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ .
 قَالِ عُمَرُ : لِيَنْطِقَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ . فَإِذَا مَخَّ اللَّهُ الْعَبْدَ لِسَانًا
 لَا فِظًا وَقَلْبًا حَافِظًا فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ . وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْكَ بِمَجْلِسِكَ هَذَا .
 فَتَعَجَّبَ عُمَرُ مِنْ كَلَامِهِ . وَسَأَلَ عَنْ سِنِّهِ فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ
 سَنَةً . فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَوْلِي الشَّاعِرِ :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُؤَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
 وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا انْتَفَتَ عَلَيْهِ الْحَافِلُ
 ١٩٦ قِيلَ لِبِزْرَجَمَرٍ : أَيُّ الْأَكْتَسَابِ أَفْضَلُ . قَالَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ
 كَزَنْزَانٍ لَا يَتَقَدَّانِ . وَسِرَاجَانِ لَا يَطْفَأَانِ وَحُلَّتَانِ لَا تَبْلِيَانِ . مَنْ
 نَالَهُمَا أَصَابَ الرِّشَادَ . وَعَرَفَ طَرِيقَ الْمَعَادِ . وَعَاشَ رَفِيمًا بَيْنَ الْعِبَادِ
 (للقيرواني)

قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ :

الْعِلْمُ أَنْفُسُ دُخْرِ أَنْتَ ذَاخِرُهُ
 مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَقَاخِرُهُ
 أَقْبَلْ عَلَى الْعِلْمِ وَأَسْتَمِثِلْ مَقَاصِدَهُ
 قَاوُلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ
 ١٩٧ قِيلَ لِلْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَوِ الْمَالُ . قَالَ : الْعِلْمُ .

قِيلَ لَهُ : فَمَا بَالُ الْعُلَمَاءِ يَزْدَجُمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . وَالْمُلُوكُ لَا
يَزْدَجُمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِحَقِّ الْمُلُوكِ
وَجَهْلِ الْمُلُوكِ بِحَقِّ الْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَيْلُمُ يُخَيِّ قُلُوبَ الْمَلِكَيْنِ كَمَا
تَحْيَا أَلْيَلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ
وَأَلَيْلُمُ يَجْلُو أَلَمِي عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
كَمَا يُجْلِي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ

(لأبن عبد ربه)

١٩٨ قَالَ الْجَاحِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَادَ فِي
أَيَّامِ وَلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الدِّيْوَانِ وَالنَّاسُ مِثْلُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَانَ عَلَى
رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَدَّةٍ وَهُوَ مَعْرُوفٌ وَهُوَ جَالِسٌ
فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالِيهِ الْكُتُبُ وَالْدَفَاقِرُ وَالْخَائِرُ وَالْمَسَاطِرُ فَأَرَانِي
أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ

(للفخري)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَنْ يَعْدِمِ الْعِلْمَ يُظْلِمُ عَقْلَهُ أَبَدًا رَأَاهُ أَشْبَهَ مَا تَلَقَّاهُ بِالْعَمَى
كَمْ مِنْ نَفْسٍ عَدَتْ لِلَّهِ مُخْلِصَةً بِالْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْعَالَمِ
وَالْعَقْلُ تَمَسُّ وَنُورُ الْعِلْمِ مُنِيقُ مِنْهَا وَنَهْجًا تَمَارُ الْمُضِلِّ فَاقْتِهِمِ

شرط العلم

١٩٩ قَالُوا : لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

يَخْتَفِرُ مَنْ دُونَهُ . وَلَا يَحْسِدُ مَنْ قَوْفَهُ . وَلَا يَأْخُذُ عَلَى الْعِلْمِ ثَمًا . وَمَدَحَ
خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ رَجُلًا قَسَالَ : كَانَ بَدِيعَ الْمُنْطِقِ . حَزَلُ الْأَلْفَاظِ .
عَرَبِيَّ الْأَسَانِ . قَلِيلُ الْحُرَكَاتِ . حَسَنَ الْإِشَارَاتِ . حُلُوَ الشَّمَائِلِ .
كَبِيرُ الطَّلَاوَةِ صَوْنًا وَقُورًا . قَالَ الشَّافِعِيُّ :

أَخِي لَا تَمَلُ الْعِلْمُ إِلَّا بَسْتَةً سَأْنِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا يَبَيِّنُ
ذَكَاءَ وَحِرْصُ وَأَجْتِهَادُ وَبَلْغَةُ وَصُحْبَةُ اسْتِزَادِ وَطُولُ زَمَانِ

٢٠٠ كَانَ حَمْزَةً مِنْ خُطْبَاءِ الْعَرَبِ وَمِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ . ضُرِبَ بِهِ
الْمَثَلُ فِي الْقَصَاحَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ . سَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا عَنْ أَشْيَاءَ فَلَجَابَهُ
عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ : سَمِ نِلْتَ الْعِلْمَ . قَالَ : بِلِسَانِ سَوُولٍ . وَقَلْبِ عَقُولٍ .
ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وَإِضَاعَةً وَنَكْدًا وَاسْتِجَاعَةً .
فَآفَتُهُ اللَّسْيَانُ . وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تَحْدُثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ . وَنَكْدُهُ الْكَذِبُ
فِيهِ وَاسْتِجَاعَتُهُ أَنْ صَاحِبَهُ مِنْهُمْ لَا يَشْبَعُ أَبَدًا (الدويري)

آفات العلم

٢٠١ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَعْلَامِ : مَنْ أَرْدَادَ فِي الْعِلْمِ رُشْدًا . وَلَمْ
يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا . فَقَدْ أَرْدَادَ مِنْ اللَّهِ بُعْدًا . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ
الْأَكْبَارِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالِمُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ عُقُوبَةٌ لِأَهْلِ
زَمَانِهِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أُوتِيَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئِ نُورَ الْعِلْمِ
بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْعَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَسْتُ مُتَّبِعًا بِمَا تَعَلَّمَ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِمَا تَعَلَّمَ . فَإِنْ

زِدَتْ فِي عِلْمِكَ فَأَنْتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُرْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمَلَهَا
 فَلَمْ يُطِيقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لباء الدين)
 قَالُوا : لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ الدُّنْيَا .
 لَكِنْ وَضَعُوهُ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فَقَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا . قَالَ حَكِيمٌ :
 أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا
 (لابن عبد ربه)

٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يُحْتَقِ . وَلَسَبٌ لَا يُحْتَقِ . وَقَالَ
 أَيْضًا : زَلَّةُ الْعَالِمِ كَأَنْكَسَارِ سَفِينَةٍ تَفْرُقُ وَيَفْرُقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ .
 قَالَ غَيْرُهُ : إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ . زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : التَّوَاضُعُ
 فِي طُلَاقِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُتَخَفِّضَ أَكْثَرُ الْيَقَاعِ
 مَاءً . إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَالِ . وَأَذْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا : مَاتَ خَزَنَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ . وَعَاشَ
 خَزَنُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ . مِثْلُ عِلْمٍ لَا يَقَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ
 (لقبرواني)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَطَلَوَيْي النَّخَوِيُّ :
 أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
 وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ الشَّرَابِ رَيْمٌ
 وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ مَا شِ عَلَى الْأَثَرِ
 يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

الادب

٢٠٣ قَالَ شَيْبُ بْنُ نُثْبَةَ : اَطْلُبُوا الْاَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ الْعَقْلِ وَدَلِيلُ
عَلَى الْمُرُوءَةِ . وَصَاحِبُ فِي الْعُرْبَةِ . وَمُوْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ . وَصَلَةُ فِي
الْمَجْلِسِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِنَيْبِهِ : عَلَيْكُمْ بِطَلَبِ الْاَدَبِ
فَإِنَّكُمْ إِنِ اخْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا . وَإِنِ اسْتَمْتَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ
جَمَالًا . وَقَالَ ابْنُ الْمُفَضَّلِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ
ذَلِكَ . فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهَا . لِيُعْجِبَكَ إِذَا أَكْرَمَكَ لِذِيهِ أَوْ أَدَبٍ
قَالَ الشَّافِعِيُّ :

عَلِيٍّ مَعِيَ حَيْثَا يَمْنُتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقٍ

إِنْ كُنْتُ فِي الْيَتِّ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بَزْرَجَمُ : الْجَهْلُ هُوَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ . وَالْعِلْمُ هُوَ الْحَيَاةُ
الشَّرِيفَةُ . مَنْ أَكْثَرَ آدَبَهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِعًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ
قَرِيبًا . وَارْتَفَعَ صِيَتُهُ وَإِنْ كَانَ خَائِلًا . وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ
وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (السيوطي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

السَّعْيُ سَعْيٌ وَلَوْ كَلَّتْ عَمَالُهُ وَالْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ بَيْنَ السَّيِّئِ رَيْ
وَهَكَذَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ خَالِطُهُ صَفْرُ الْخَمَاسِ فَكَانَ الْفَضْلُ لِلذَّهَبِ

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رَمْتَ تَعْرِفُهُ فَأَنْظُرِي إِلَى الْأَدَبِ
فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَنْفَخْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحُطْبِ
دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ
رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ . فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُؤْمَةً وَجُوهِهِمْ .
فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّيْخِ إِلَى الْغَرِيمِ الْفَافِسِ . هَكَذَا
الْأَدَبُ يُشْرِفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ . وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى . وَيُبْعِدُ
الْمَيْدَ عَلَى الْأَسِيرَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا لِي عَنِّي وَهَمِّي حَسْبِي مَا أَنَا . وَلَوْلَا أَنَا عَرَبِي
إِذَا أَنْتَنِي مِنْكُمْ إِلَى أَحَدٍ فَأَتِي مِنْكُمْ إِلَى أَدَبِي

(للأبيسي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ خَزْزُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَحَلَّى لَهُ عَنْ
الْصَّدْرِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ
عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَمَالًا بِحَسَبِ إِنَّمَا النَّاسُ لِأَمٍّ وَلَأَبٍ
إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَقْلِ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ وَأَدَبٍ
قَالَ آخَرُ :

لَا تَذْخُرْ غَيْرَ الْعُلُوِّ مِ فَإِنَّهَا نِعَمُ الدَّخَاثِرِ
فَالرُّءُوسُ لَوْ رَجَعَ الْبَقَا مَعَ الْجَمَالَةِ كَانَ خَاسِرًا
دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ مُؤَدِّبُ الْوَائِقِ عَلَى الْوَائِقِ . فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ

وَأَكْثَرَ إِعْظَامَهُ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هَذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللَّهِ . وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

تأديب الصغير

٢٠٦ قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا . وَقَالُوا : أَطْعِمُ الطَّيْنَ مَا كَانَ رَطْبًا . وَأَعْدِلُ الْعُودَ مَا كَانَ لَدْنًا . وَقَالَ صَالِحُ ابْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

وَأَنَّ مَنْ أَدَّبَتْهُ فِي الصَّبَا كَأَنُّهُ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُنْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا أَرَعَوْى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ
مَا تَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ :

فَمَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا أَلْقَيْتُهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أَعْلَمُهُ الْقِتَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ سَارِبُهُ جَفَانِي
وَكَمْ عَلِمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَائِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةَ هَجَانِي

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاةِ : الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَوْفِ . لِأَنَّ الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى الْجَبَنِ (لابن عبد ربه)

ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ . وَيُقَبِّحَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيَحْتَنُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبُهُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسُهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَ أَلَمَ التَّعَبِ
وَدَعَ الْكَبِيرَ وَشَأْنَهُ كَبَرَ الْكَبِيرِ عَنِ الْأَدَبِ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُثْبَةَ يُوصِي مُؤَدَّبَ وَلَدِهِ : لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ بَنِي إِصْلَاحِكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنْ عَيَّبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ . فَلْتَحَسِّنْ عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَأَلْقِ بِحُجْرَتِكَ . عَلِمَهُمُ الدِّينَ وَلَا تَلْمِهُمْ فِيهِ قَبْرُكُوهُ . وَلَا تَثْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشَّرِّ أَعْفُهُ . وَمِنْ الْكَلَامِ أَشْرَفُهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكَمُوهُ . فَإِنْ أُرْدِحَاكَ الْكَلَامُ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِفَهْمِهِ . تَهْدِدُهُمْ بِي وَأَذِيبُهُمْ دُونِي . وَكُنْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَجْعَلُ بِالْذَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِّبَهُمْ مُحَادَّةَ السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ (كتاب الدراري لكل الدين الحلي)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُؤَدَّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينُ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرِئْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرِّفْهُ الْأَثَارَ . وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمَهُ السُّنَنَ وَبَصِّرْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَأَمْنَمَهُ الصَّحْكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرْزُ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَمٌّ فِيهَا فَإِنَّهُ تَفِيدُهُ

لِيَاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْرُقَ بِهِ قَسَمْتُ ذَهَنَهُ . وَلَا تَمِينَ فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحِلَّ
الْفَرَاغَ وَيَأْلَقَهُ . وَقَوْمَهُ مَا اسْتَطَعَتْ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَايَةِ . فَإِنْ أَبَاهَا
فَعَلَيْكَ بِالسَّدَّةِ وَالنَّظَظَةِ (الشريشي)

رقة الادب في الظاهر

٢١٠ قَالَ أَبُو حَفْصٍ : حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ
الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ . قِيلَ لِأَبِي وَائِلَ : أَيُّكُمْ أَكْبَرُ أَنْتَ أَمْ الرَّبِيعُ
ابْنُ خَيْثَمٍ . قَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا . وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَمَلًا
قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةٍ لِعَبِيدِ الْغَزِيِّ : مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ أَدَبًا وَلَا أَكْرَمَ
عَشِيرَةً مِنْ أَيْكَ . سَمِعْتُ عَنْهُ لَيْلَةً فَيُنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ غُشِيَ
الْمُصْبِحُ وَنَامَ الْهَلَامُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ غُشِيَ الْمُصْبِحُ وَنَامَ
الْهَلَامُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي أَصْلَحْتُهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَرْوَةِ الرَّجُلِ أَنْ
يَسْتَحْلِمَ ضَيْفَهُ . ثُمَّ حَطَّ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ . وَقَامَ إِلَى الدَّيَّةِ . فَصَبَّ
مِنَ الزَّيْتِ فِي الْمُصْبِحِ وَأَشْخَصَ الْقَصِيلَةَ . ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُعَاشَرَةِ الْأَدَبَاءِ :

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَمْسَى أَدِيبًا بِصُحْبَةِ طَائِلٍ وَعَدَا إِمَامًا
كَمَاءَ الْبَحْرِ مَرُّ ثُمَّ تَحَلَّوْا مَذَاقَهُ إِذَا صَحِبَ الْقَمَامَا .

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : رَأْسُ الْأَدَبِ كُلُّهُ حُسْنُ الْفَهْمِ وَالْفَهْمُ .

وَالْإِصْفَاءُ لِلْمُسْكَمِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ
الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلْيَعْلَمْ النَّاسُ أَنَّكَ أَهْرَصُ عَلَى
أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَاحْذَرِ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ
عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . قَالُوا : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ لَا تُتَالِبَ أَحَدًا
عَلَى كَلَامِهِ . وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ . وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا
تُتَارِعْهُ إِيَّاهُ . وَلَا تَقْتَحِمَ عَلَيْهِ فِيهِ . وَلَا تُزِرْهُ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : مِنْ هِشَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِيَةِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمُلُوكَ لَسَبُّ .
وَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ : مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمَلِكِ الْمَذْمُومِ .

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ
أَجَلَسَهُ أَهْلُهُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ
جَلِيسِي . وَلَا قُتُّ حَتَّى يَقُومَ . وَقَالَ أَيْضًا : جَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ . إِذَا
دَنَا رَجَبْتُ بِهِ . وَإِذَا جَلَسَ وَسَمْتُ لَهُ . وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ .
قَالَ زِيَادٌ : إِيَّاكَ وَصُدُورَ الْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَرَكَ صَاحِبُهَا فَانْهَاجِ
قُلُوعَهُ . وَلَآنَ أَذْنِي مِنْ بُعْدٍ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْصَى مِنْ
قُرْبٍ إِلَى بُعْدٍ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : لَا تُسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي
الْمَجْلِسِ فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُحِطُّ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحِطُّ مِنْهُ

(لابن عبد ربه)

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُسَيْدٍ اللَّهِ : بَعَثَنِي أَبِي إِلَى الْمُعْتَمِدِ فِي شَيْءٍ .
فَقَالَ لِي : اجْلِسْ . فَاسْتَظَمْتُ ذَلِكَ . فَأَعَادَ . فَأَعْتَذَرْتُ بِأَن ذَلِكَ
لَا يَجُوزُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ تَرْكَ أَدَبِكَ فِي الْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ
فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ فَاسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ
وَأَدَبَهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يُنْقِصُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ . فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ
يُمْكِنُ أَنْ يُؤَمَّرَ لَكَ بِذَلِكَ . فَقَالَ : وَلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُ اللَّهِ مَا
أَخَافُ بُحْلَكَ . وَلَا أَسْتَقْصِرُ أَجَلَكَ . وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ . وَإِنْ عَطَاكَ
لَزِينَ . وَمَا بَأْمَرِي بِذَلِكَ وَجْهُهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَأَعْجَبَ الْمُنْصُورَ
كَلَامُهُ . وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بَابَ مُعَاوِيَةَ
فَازِنَ لِلْأَخْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَشْعَثَ . فَاسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى
دَخَلَ قَبْلَ الْأَخْنَفِ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُعَاوِيَةُ . قَالَ لَهُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَذِنْتُ لَهُ
قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَبِي أُمُورَكُمْ كَذَلِكَ نَبِي
أَدَبِكُمْ . وَمَا تَرِيدُ مُتَرِيدُ إِلَّا لِنَقْصِ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ (لِلْمُسْتَعْمِي)
وَمِنْ الْأَدَبِ أَلَّا تَنْتَابَ صَاحِبًا فَتَقْتُلَ عَلَيْهِ . قَالَ الثُّمَالِيُّ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا
إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ أَلْفَيْتَ يُسَامُ دَانِمَا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

الادب في الماشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَا شِئْتُ الْمُأْمُونَنَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي
بُسْتَانٍ مُؤْنَسَةٍ بِنْتُ الْمُهْدِيِّ . فَكُنْتُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتَرُهُ مِنَ
الشَّمْسِ . فَلَمَّا أَتَيْتُهِ إِلَى آخِرِهِ وَارَادَ الرُّجُوعَ أَرَدْتُ أَنْ أَدُورَ إِلَى
الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتَرُهُ مِنَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ كُنْ بِجَانِبِكَ
حَتَّى أَسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيلَكَ
حَرَّ النَّارِ لَمَعْتُ فَكَيْفَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَرَمِ الصُّحْبَةِ .
وَمَنْ سَارَ إِلَى مِنَ الشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتَهُ (لابن عبد ربه)

الادب في الاكل

٢١٦ قَالَ الْغَزَالِيُّ : إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ فَلَا يَتَنَبَّي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَدَيَّ
فِي الْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِهِ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلِهِ .
إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَبَوِّعُ الْمُتَدَيِّ بِهِ . فَحِينَئِذٍ يَتَنَبَّي أَنْ لَا يُطَوِّلَ
عَلَيْهِمْ إِلَّا تَنْظَارًا إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ . وَيَتَنَبَّي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى
الطَّعَامِ . وَلَكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ وَبِالْحَدِيثِ عَنِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ
الْأَدَبِ فِي الْأَطْعِمَةِ . قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : أَحْسَنُ الْأَكْلَيْنِ مَنْ
لَا يَنْجُوحُ صَاحِبُهُ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الْأَكْلِ . وَيَتَنَبَّي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ
الطَّعَامَ أَنْ يَقْبَلَهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصي)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْقَلَمُ صَانِعُ الْكَلَامِ يُفْرِغُ مَا يَجْمَعُهُ الْقَلْبُ . وَيَصُبُّ مَا يَسْبِكُهُ اللَّبُّ .
قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْفِزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا وَيَرْجِعُ مَنْ فِي الْقَبْرِ مِنْهُ مَقُومًا
وَلَيْسَ يَحْيَى يَسْتَحْيِي كَرَامَةً وَلَيْسَ يَمُتُ يَسْتَحْيِي التَّرَحُّمًا
قَالَ الْعِتَابِيُّ : يَبْكُ الْقَلَمُ بِتَقْسِيمِ الْكُتُبِ . وَالْأَقْلَامُ مَطَايَا الْفُطُنِ .
قَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ : عُقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثَمَامَةُ
ابْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَرُهُ الْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ الْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي الْكِتَابِ : إِنَّهُ أَجْلِسُ الَّذِي لَا يَتَأَقَّفُ وَلَا يَمْلُ . وَلَا
يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فَضِيلَتِهِ :
جَلِيسُ الْأَنْبِيَاءِ يَأْمَنُ النَّاسُ شَرَّهُ وَيَذْكُرُ أَنْوَاعَ الْمَكَارِمِ وَالْأَنْهَى
وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِبْرَ وَالْتَقَى وَيَنْهَى عَنِ الطُّغْيَانِ وَالشَّرِّ وَالْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشِّعْرَ تَمْذُبَ السِّنِّتُمْ .
فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ الرَّجُلِ الْآيَاتُ مِنَ الشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ
يَسْتَمِطِفُ بِهَا قَلْبَ الْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبَ اللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا :
الشِّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُسَكِّنُ بِهِ الْقَلْبُ . وَتَقْطَعُ بِهِ النَّارُ .

وَيَبْلُغُ لَهُ الْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ . وَيُعْطَى بِهِ السَّائِلُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
الشَّعْرُ عِلْمُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهَا قَتَلُوهُ
كَانَ بَنُو أَثَفِ النَّاقَةِ يُعَيِّنُونَ بِهَذَا الْإِسْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ
فِيهِمُ الْخَطِيئَةُ :

قَوْمُهُمُ الْأَثَفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ . وَمَنْ يُسَاوِي بِأَثَفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فَعَادَ هَذَا الْإِسْمُ فُخْرًا لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ (لَابَنُ عَبْدِ رَبِّهِ)
٢٢٠ قِيلَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ : النَّايِفَةُ إِذَا
رَهَبَ . وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغَبَ . وَجَرِيْدٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنْتَرَةٌ إِذَا رَكِبَ .
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْقُرَظْدَقِيُّ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ :
كَفَّالُكَ يَا بَنِي النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ الْأَخْطَلُ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةَ
النَّصْرَانِيِّ) (الافخاني)

أَلْبَابُ الثَّامِنُ

فِي الْأَلطَافِ

٢٢١ رَأَى الْإِسْكَندَرُ سَيِّمًا لَهُ لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي الْحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ :
يَا هَذَا إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ فِعْلَكَ أَوْ تُغَيِّرَ اسْمَكَ
٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبْدٍ لَهُ مَا لَكَ لَا تُخَذِّمُنِي وَأَنْتَ عَبْدِي .
فَاجَابَهُ : لَوْ أَعْتَبَرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِي . لِأَنَّكَ تَتَّبِعُ الْهُوَى
فَأَنْتَ عَبْدُهُ وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي (لِلْمُسْتَعَصِي)

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا : مِنْ الْحَزْمِ عَرَضُ
الرَّأْيِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ صَوَابًا .
فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ . فَقَالَ : غَدًا أَخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
غَدَوْا عَلَيْهِ الْوَعْدِ وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَلْبَيْنِ
عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعْدَمَا . ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا وَأَلَبَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى
الْآخَرِ قَتَوَاتِبًا وَتَهَارَشَا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا . فَلَمَّا بَلَغَ الْعَالِيَةَ فَتَحَ بَابَ
بَيْتِ عِنْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذِتْبًا عِنْدَهُ قَدْ أَعْدَهُ . فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ
تَرَكَمَا مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا . وَوُتِبَا جَمِيعًا عَلَى الذِّبِّ فَقَالَا
مِنْهُ مَا أَرَادَا . ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ : مَثَلَكُمْ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذِّبِّ مَعَ الْكَلَابِ لَا يَزَالُ تُهْرَجُ وَتُقَاتَلُ بَيْنَهُمْ
وَتَأْتِي عَلَى الْمَدْيَةِ . فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرسيد والدي

٢٤٣ يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَقَالَ : إِنِّي أَضْعُ مَا
تَعْجُزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ . فَأَخْرَجَ أَنْبُوبَةَ قَصَبٍ فِيهَا
إِبْرَاعِدَّةٌ . ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ . وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَرْمِي
إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ فَتَمَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَّغَ
دَسْتَهُ . فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِائَةَ سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ .
فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْهَوَانِ فَقَالَ : وَصَلْتُهُ لِحُودَةٍ ذَكَائِهِ .
وَأَدَبْتُهُ لِكَيْ لَا يَصْرِفَ قُرْطُ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُتَعَبٍ وَقَدْ عَفَّ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ فَقَالَ : يَا غُلَامُ ارْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي الرِّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ . قَالَ : يَطُولُ طَرِيقُهُ وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ . وَفِي الْعَنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ . قَالَ : يَنْجُو حِمْلُهُ وَيَطُولُ أَكْلُهُ . قَالَ : فَأَعْجِبَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : رِزْقُ مَثَدُورٍ . وَوَاهِبٌ مَاجُورٍ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ أَمْرِكَ فِي جَيْشِي . فَقَالَ : كُفَيْتُ مَوُونَةً . وَرِزْقْتُ بِهَا مَوُونَةً . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ . قَالَ : لَنْ يَبْدَمَ الْفَضْلُ مَنْ رَزَقَ الْفَقْرَ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِدَلِّكَ . قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بَعْدَ التَّجَرُّبَةِ . وَلَا يَتَرَفُّ إِلَّا إِنْسَانٌ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوهَا . قَالَ : فَاسْتَوَزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَابِرٍ وَفَهِمٍ رَجِيْبٍ وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِيقِ

(للطراطوشي)

٢٤٥ فَرَّ حِمَاسٌ عَنِ الْعَدُوِّ مِنْهُزٍ مَا يَوْمَ الْخِدْمَةِ . فَلَامَتْهُ أَمْرَاتُهُ . فَقَالَ :

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخِدْمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ دِيكْرِمَةُ
إِذْ لَحِقُونَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَفْلُحْنَ كُلُّ سَاعِدٍ وَجُجْمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمَمَةٌ لَمْ تَنْطِقْ فِي الْيَوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

عمر بن الخطاب والضمامة

٢٤٦ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ الْمَعْرُوفِ بِالضَّمَامَةِ . فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَلْتَمُهُ عَنْهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . قَرَدٌ عَلَيْهِ : إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ وَلَمْ أَبْعَثْ بِالسَّاعِدِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ

لبرهم الموصلي عند الرشيد

٢٤٧ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ لِبْرَهُمُ الْمَوْصِلِيُّ فَأَنْشَدَهُ :

وَأَمْرٌ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَقْصَرِي فَلَيْسَ إِلَيَّ مَا تَأْمُرِينَ سَيِّلُ
فِعَالِي فِعَالُ الْمُكْثَرِينَ تَجْمَلًا وَمَا لِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغِنَى وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ
فَقَالَ : اللَّهُ آيَاتُ تَأْتِيَنَا بِهَا مَا أَحْسَنَ أَصُولُهَا . وَأَيُّنَ فُضُولُهَا . وَأَقْلُ
فُضُولُهَا . يَا غُلَامُ أَعْطِهِ عَشْرِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا .
قَالَ : وَلَمْ . قَالَ : لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي .
قَالَ : أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَصِيدُ لِدِرَاهِمِ
الْمُلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دَلَامَةَ إِلَى بَعْضِ وِلَاةِ الْكُوفَةِ رُقْعَةً فِيهَا هَذِهِ
الْآيَاتُ :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَهَلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ

فَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَبِىْ غَرِيمٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ فُتِّحَ مِنْ غَرِيمٍ
 لَزُومٍ مَا عَامَتْ لِبَابِ دَارِي لَزُومِ الْكَلْبِ أَصْحَابِ الرِّقَمِ
 لَهُ مِائَةٌ عَلَى وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صِكَ قَدِيمٍ
 دَرَاهِمُ مَا انْتَمَتْ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلَتْ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمٍ
 قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (للشريشي)

أزهر وأبو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ
 إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتْرًا . فَكَانَ يَجْلِسُ فِي حُلَّةٍ أَزْهَرِ السَّمَانِ
 الْحَدِيثِ . فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِيمٌ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَبَ بِهِ وَفَرَّ بِهِ
 وَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : دَارِي مِنْهُلِمَةٌ . وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَصَلَهُ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ : قَدْ قَضَيْتَا حَاجَتَكَ
 يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا . فَأَخَذَهَا وَأَرْحَلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةِ أَتَاهُ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : جِئْتُكَ مُسْلِمًا .
 قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَأَذْهَبَ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا
 مُسْلِمًا . فَأَخَذَهَا وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةِ أَتَاهُ . فَقَالَ : مَا جَاءَ
 بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : أَتَيْتُ عَائِدًا . قَالَ : إِنَّهُ يَبْقَى فِي خَلْدِي أَنَّكَ
 جِئْتَ طَالِبًا . قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي
 عَشَرَ أَلْفًا . وَأَذْهَبَ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسْلِمًا وَلَا عَائِدًا . فَأَخَذَهَا
 وَأَنْصَرَفَ . فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ أَقْبَلَ . فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ .

قَالَ : دُعَاءُ كُنْتُ أَسْمَعُكَ تَدْعُو بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِئْتُ لَا أَعْتَبُهُ .
فَصَحَّحَكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ : إِنَّهُ دُعَاءُ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ . وَذَلِكَ أَنِّي قَدْ
دَعَوْتُ اللَّهَ بِهِ أَنْ لَا أَرَاكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَتْنِي عَشَرَ
أَلْفًا . وَتَعَالَى مَتَى شِئْتَ فَقَدْ أَعْيَيْتَنِي فِيكَ الْحِيلَةَ

٢٥٠ أَبُطَا عَيْدُ اللَّهِ بْنِ يُحْيَى عَنِ الدِّوَانِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ
يَتَرَفُّ خَبْرَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانَيْنِ مِنْ الْأَفْلَاسِ وَالْدِّينِ
فِي هَذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هَذَيْنِ
فَبَتَّ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ

المستطلي بالحلم

٢٥١ قَالَ الْعُمَيْيُّ : دَخَلَ ابْنُ دَعْبَلٍ عَلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا وَجَّهَ
الْكُوفَةَ فَصَدَّ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا
فَأَذِّنْ لِي فِي قَصَصِهَا . فَقَالَ : قُلْ . فَقَالَ :

أَتَخَيَّرْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَا هَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جُدْتَ لِي بِوَصِيفَةٍ مَوْسُومَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامًا
وَبِبَذَرَةٍ جُمِلَتْ إِلَيَّ وَبِنَعْلَةٍ شَهْبَاءٍ نَاجِيَةٍ يَصِيرُ لِحَا هَا
قَالَ لَهُ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ : كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ هُوَ عِنْدِي إِلَّا الْبَغْلَةَ فَإِنَّهَا
دَهْمَاءُ فَارِهَةٌ . قَالَ : بَرِئْتُ مِنْ نَسِيٍّ إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا إِلَّا دَهْمَاءَ إِلَّا
أَنِّي غَلَطْتُ

٢٥٢ قَالَ الْبُطَيْنُ الشَّاعِرُ: قَدِمْتُ عَلَى ابْنِ يَحْيَى الْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ قَرَسًا وَيَصِيفُ فِي كَفِّي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَبْسِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ تَبْسِيرَ ذَلِكَ وَفِي أَهْوَائِ التَّبَاشِيرِ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَبْشِيرُ
قَالَ: قَوِّعْ لِي فِي أَهْلِكِ كِتَابِي أَضْعَافَ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي آيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي
مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ أَمِيرًا فَحَبَّبهُ، فَأَلْشَدَّهُ:

لَنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحْلَلْتُ آمَلِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

السَّائِلُ رَعِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَنَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ
لَهُ: صَدِّقْ فَإِنِّي نَبِئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا أَلْفَ
دِرْهَمٍ. فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ. قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ
مِنْهُ فِي الْحَسَبِ أَمْ فِي كَثَرَةِ الْمَالِ. قَالَ: فِيهِمَا. قَالَ: أَمَّا الْحَسَبُ فِي
الرَّجُلِ فَمَرُوءَتُهُ وَفِعْلُهُ. وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ. وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا.
فَأَعْطَاهُ أَتَى دِرْهَمٍ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ. فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ:

إِنْ لَمْ تُكُنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ . وَإِنْ كُنْتَ هُوَ
فَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ . فَأَعْطَاهُ أَلْفًا أُخْرَى . فَقَالَ السَّائِلُ :
هَذِهِ هَزَّةٌ كَرِيمٍ حَسِيبٍ . وَاللَّهِ لَقَدْ نَقَرْتَ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغْتَهَا فِي
فَلْيِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِاعْتِرَاضِ الشَّدِّ مِنْ جَوَانِحِي

٢٥٥ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُطَيْرٍ : أُنْشِدْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ أَيْيَا مَا كُنْتُ
مَدَحْتُ بِهَا بَعْضَ الْوَلَدَةِ وَهِيَ :

لَهُ يَوْمٌ بُوْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوْسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى وَيَقْطُرُ يَوْمَ الْبُوسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبُوسِ لَمْ يَنْتِ كَفَّهُ

عَنِ النَّاسِ لَمْ يُضِجْ عَلَى الْأَرْضِ مُحْرَمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ فَرَّغَ كَفَّهُ

لِبَذْلِ النَّدَى مَا كَانَ بِالْأَرْضِ مُعْدِمُ

فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ : كَمْ أَعْطَاكَ . قُلْتُ : خَمْسَةَ آلَافٍ . قَالَ : فَهَلَيْتَهَا .
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ لِي : أَخْطَأْتُ . مَا مَنُ هَذِهِ إِلَّا مِائَةُ أَلْفٍ
٢٥٦ قَالَ الْعَتِي : سَمِعْتُ عُمِي يُشَدُّ لِأَبِي عَبَّاسٍ الزُّبَيْرِيِّ :

وَكُلُّ حَلِيفَةٍ وَوَلِيٍّ عَهْدٍ لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ أَلْفِدَاهُ
إِمَارَتَكُمْ شِفَاءً حَيْثُ كَانَتْ وَبَعْضُ إِمَارَةِ الْأَقْوَامِ دَاهُ
فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكَكُمْ وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوْا أَسَاوُا
أَأَجْلَكُمْ وَغَيْرَكُمْ سَوَاءٌ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاهُ

هُمُ أَرْضُ لِأَرْحُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْحُلِهِمْ سَمَاءُ
فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أَعْطَى عَلَيْهَا . قَالَ : عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : كَبُرَتْ يَا مَعْنُ .
قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَتَجَدَّدُ . قَالَ : عَلَى
أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَنَفْسَةً . قَالَ : هِيَ لَكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيُّ الدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ أَبْغَضُ . أَدَوْلَتَهُ
أَمْ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ زَادَ بِرُّكَ عَلَى
بِرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ . وَإِنْ زَادَ بِرُّهُمْ عَلَى بِرِّكَ كَانَتْ
دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ . قَالَ : صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيَّانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أُذُنِهِ
قَلَمٌ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ . قَالَ : أَنَا النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ . وَالْمُتَقَلِّبُ
فِي نِعْمَتِكَ . وَالْمُوَمِّلُ لِحُدُودِكَ الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ :
يَا الْإِحْسَانَ فِي الْبَدِيَّةِ تَقَاصَلْتَ الْقَوْلُ . إِرْفَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَوْقَ
مَرَّتِلَتِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ :
نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُمْتَلٌ فَقُلْتُ لَهُمْ نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَخْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَتَهُ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ أَجُورٍ
٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي شَكَاةٍ لَهُ يَعُودُهُ فَقَالَ :
اللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْمَنِيَا دُونَهُ عَرَضُ

قُلْتُ أَنَّ الَّذِي يَعْرِوهُ مِنْ مَرَضٍ بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ
فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عَوْضٌ وَأَنْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عَوْضٌ
فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللَّهِ وَأَنْقَرُوا
(لابن عبد ربه)

٢٦١ لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ مَنِيعٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ
بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَسْمَعْ مِنِّي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا. قَالَ:
قُلْ. فَأَنشَأَ يَقُولُ:

رَعَمُوا بِأَنَّ الصَّقْرَ صَادَفَ مَرَّةً عَصْفُورٌ بِرَّ سَافَهُ التَّقْدِيرُ
فَتَكَلَّمَ الْمُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالصَّقْرُ مُنْتَضٍ عَلَيْهِ يَطِيرُ
إِنِّي لِنَشْكَ لَا أَتَمُّ نَفْسَةً وَلَئِنْ شَوَيْتُ فَأَنْتَ لِحَقِيرُ
فَتَهَانُ الصَّقْرُ الْمِدْلُ بِصَيْدِهِ كَرَمًا وَأَقْلَتْ ذَلِكَ الْمُصْفُورُ
فَعَفَا عَنْهُ (لابن خلكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ: نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خِيَمَةِ أَعْرَابِيَّةٍ وَلَهَا
دَجَاجَةٌ وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا. فَذَبَحَهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا
جَعْفَرٍ هَذِهِ دَجَاجَةٌ لِي كُنْتُ أَذْجِنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوتِي وَالسُّهَاءِ فِي أَمَاءِ
الَّيْلِ فَكَأَنَّمَا أَلَسْتُ بِنْتِي زِلْتُ عَنْ كَيْدِي. فَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَذْفِنَهَا فِي
أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ. فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ إِلَّا بِطَنِكَ. فَأَرَدْتُ
أَنْ أَذْفِنَهَا فِيهِ. فَصَيَّحَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

٢٦٣ دَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَفَّ بَصَرَهُ . فَاجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَعَشَرُ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ مَعَشَرُ بَنِي أُمَيَّةٍ تُصَابُونَ فِي بَصَارِكُمْ .

٢٦٤ كَانَ بَطْلِمَيْوسُ الْأَخِيرُ مَلِكُ الرُّومِ يَقُولُ : يَتَّبِعِي الْمَاعِلَ إِذَا أَتَيْتِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْإِرَاقَةِ فَإِنْ رَأَى وَجْهَهُ حَسَنًا لَمْ يَشْنِهْ بِقُبْحٍ . وَإِنْ رَأَاهُ قَبِيحًا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَبِيحَيْنِ . (ثمرات الاوراق للحوي)

٢٦٥ قَالَ حَسَنٌ : خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ الْمُبَارَكِ مُرَاطِبِينَ إِلَى الشَّامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ فِي أَرْقَةِ الْمَصِيصَةِ إِذْ لَقِيَ سَكْرَانٌ قَدْ رَفَعَ عَصِيئَتَهُ يَتَغَنَّى . فَأَخْرَجَ ابْنَ الْمُبَارَكِ بِرَنَاجًا مِنْ كُمِهِ فَكَتَبَ الْبَيْتَ . فَقُلْنَا لَهُ : أَتُكْتُبُ بَيْتَ شِعْرِ سَمِعْتَهُ مِنْ سَكْرَانٍ . قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمْ الْمَثَلَ . رَبُّ جَوْهَرَةٍ فِي مَرْبَلَةٍ : قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ فِي مَرْبَلَةٍ .

٢٦٦ اسْتَأْذَنَ نَصِيبُ بْنُ رِيَّاحٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ : أَعْلَمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي قُلْتُ شِعْرًا أَوَّلُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ . فَأَعْلَمُوهُ فَأْذَنَ لَهُ . فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَيْنَا بِكَ الْحَاجَاتِ وَالْقَدَرِ
فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
فَأَمَرَ لَهُ بِحِلْيَةِ سَيْفِهِ (لابن عبدربه)

٢٦٧ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : كَانَ ثَابِتٌ قُطْنَةً قَدْ وُلِّيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَامَ الْكَلَامَ فَتَعَذَّرَ

عَلَيْهِ وَحَصَرَ فَقَالَ : سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَبَعْدَ عِيٍّ يَأْنًا .
 وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فَعَالَ أَحْجُحُ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَالٍ
 وَإِلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بِسِفْنِي إِذَا جَدَّ أَلُوغِي لِحَطِيبٍ
 فَبَلَّغْتُ كَلِمَاتَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ . (وَيُقَالُ الْأَخْفَ بَنَ قَيْسٍ)
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلَا ذَلِكَ الْمَنْبَرَ أَخْطَبُ مِنْهُ (الْإِغَانِي)
 ٢٦٨ نَظَرَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى فَتَى عَلَى نِيَابِهِ أَثْرُودَادٍ . فَوَثَّبَهُ عَلَى
 ذَلِكَ فَقَالَ :

لَا تَجْزَعَنَّ مِنْ أَيْدَادٍ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحَيَاةُ الْكُتَّابِ
 فَأَجَابَهُ :

جَارُ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زَبَادٍ
 فَدَغَّ عَذْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَحْتَ نَفْسَكَ بِأَسْوَادٍ
 ٢٦٩ حَدَّثَ الْأَعْلَاقِيُّ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ
 وَخَوْفَهُ . فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُوهُ :

أَلَا قُلْ لِابْنِ مَعْنٍ وَالَّذِي مِ فِي أُلُودٍ قَدْ حَالَا
 لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَا قَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا
 وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَسَدِ لَمَا رَاعَ وَلَا هَالَا
 فَضَعُ مَا كُنْتُ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلَخَالَا
 قَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَالَا
 أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالَا وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالَا

قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَيْسَتْ السَّيْفُ قَطُّ فَلَمَّعَنِي إِنْسَانٌ إِلَّا
قُلْتُ : إِنَّهُ يَحْفَظُ شِعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي قَيْنَظَرٍ إِلَى سَبَبِهِ

(للشريشي)

٢٧٠ حَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : عَيْرَ زِيَادُ الْأَنْجَمِ الْمُغِيرَةَ بَنَ جِنَاءٍ فِي
مَجْلِسِ الْمُهَلَّبِ بِالْبَرْصِ . فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ : إِنَّ عَيْتَ الْحَيْلِ لَا تَشْبَهُهَا
الْأَوْضَاحُ وَلَا تَمِيرُ الْغُرَى وَالْحُجُولُ . وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بَلْعَا بَنُ قَيْسٍ
لِرَجُلٍ عَيْرُهُ بِالْبَرْصِ : إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ اللَّهِ جَلَاهُ وَأَسْتَلَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ

(الافغاني)

٢٧١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحَجَّازِينَ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْمُشْبَرَةِ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ .
فَقَالَ : مِنْ هَذِهِ الْقَفَافَةِ الْأَنْزَلَةِ . قِيلَ : مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ . قَالَ : قُلْتُ
لَهُمْ مَتَى تَرْحَلُونَ . فَقَالُوا : حِينَ عَلَيْنَا تَقْدُمُونَ (لبهاء الدين)
٢٧٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لِكُلِّ فِتْنَةٍ خُرُجٌ مِنَ الْعَيْبِ مُتَمَلٍّ
عَلَى كَيْفِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ
فَمَعِينُ عِيُوبِ النَّاسِ نَصَبُ عِيُونِهِ
وَعَيْنُ عِيُوبِ النَّفْسِ مِنْ خَافِ ظَهْرِهِ

وعد عرقوب

٢٧٣ كَانَ عُرْقُوبٌ وَعَدَ رَجُلًا ثَمَرَ نُخْلَةٍ فَلَمَّا أَطْلَمَتْ أَنَاهُ فَقَالَ : دَعَهَا
حَتَّى تُبْلَجَ . فَلَمَّا أَتَلَحَّتْ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تُرْهِمِي . فَلَمَّا أَزْهَتْ أَنَاهُ . فَقَالَ :

دَعَمَا حَتَّى تَرْطِبَ . ثُمَّ أَنَاهُ فَقَالَ : دَعَمَا حَتَّى تُثْمِرَ . فَلَمَّا أَثْمَرَتْ عَدَا
عَلَيْهَا أَلْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضْرَبَ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْخُلْفِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
مَنْ كَانَ خُلْفَ الْوَعْدِ شَيْئُهُ وَالْفَذْرَ عُرْقُوبٌ لَهُ مِثْلُ
٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ التَّيْمِيُّ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ
فِي يَوْمٍ عِيدٍ فَأَنشَدَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
رَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشْعًا إِذَا مَا بَدَأَ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ
فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (الاعاني)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغَزًا فِي اسْمِ عَلِيٍّ :
إِسْمُ الَّذِي يَمِينِي أَوَّلُهُ فَأَظَرُهُ
إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ فَإِنِّي آخِرُهُ

٢٧٦ لِيُجِيرَ الدِّينَ فِي زَهْرِ اللَّوْزِ :
أَزْهَرَ اللَّوْزُ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنْ الْأَزْهَارِ يَا تَيْنَا إِمَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَانَتْكَ فِي قَمَرِ الدُّنْيَا أَبْتِسَامُ
٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّتْ أَيَْادِيهِ الْجَلِيلَةُ
إِقْبَلْ هَدِيَّةً مِنْ بَرٍّ فِي حَقِّكَ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ
٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِأَيِّنِ سَيْنَا : هَلَّا تُسَافِرُ بُحْرًا . فَقَالَ :

لَا أَزْكَبُ الْبَحْرَ أَخْشَى عَلَيَّ مِنْهُ الْمَلَطِبُ
طَلِينُ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ وَالطَّلِينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ

٢٧٩ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ: أَيْنَ الزَّاهِدُونَ فِي الدُّنْيَا. الرَّاعِبُونَ
فِي الْآخِرَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا أَقْبَلْ كَلَامَكَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيَّ مَنْ شِئْتَ
٢٨٠ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ
حَتَّى تُبْصِرُوا. وَأَنَا أَقُولُ: غَمِّضُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا

٢٨١ كَانَ فِي زَمَانِ دِيوجَانِسَ الْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ التَّصْوِيرَ
وَصَارَ طَيِّبًا فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ إِنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ التَّصْوِيرِ ظَاهِرًا
لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ الطِّبِّ يُوَارِيهِ التُّرَابُ تَرَكْتَ التَّصْوِيرَ وَدَخَلْتَ فِي الطِّبِّ
٢٨٢ قَالَ أَبُو نَعْمَانَ يَمْدَحُ قَوْمًا يَجُودُونَ بَأَنْفُسِهِمْ:

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأُسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا
٢٨٣ وَقَدْ حَاجِبُ بْنُ زُرَّادَةَ عَلَى أَنْوَشِرَوَانَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ. فَقَالَ
لِلْحَاجِبِ: سَلَهُ مَنْ هُوَ. فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ
يَدَيْهِ قَالَ لَهُ أَنْوَشِرَوَانُ: مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: سَيِّدُ الْعَرَبِ. قَالَ:
أَلَيْسَ زَعَمْتَ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ. فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ كَذَلِكَ. فَلَمَّا
اِكْرَمَنِي الْمَلِكُ بِمِثْلِ كَلِمَتِهِ صِرْتُ سَيِّدَهُمْ. فَأَمَرَ بِحَشْوِي فِيهِ دُرًّا (لِلْعَامِلِي)
٢٨٤ قِيلَ: إِنَّ جَرِيْرًا أَفْخَرَ الْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ:

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَفَقُوا

عين ابصرت بقلمها

٢٨٥ حكي عن بعض الشعراء أنه دخل على بعض الخلفاء فوجده جالسا وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة . وعليها من الخلى وأنواع الجواهر والآلات ما لا يوصف . فصار الشاعر يتمدحه وهو يسهر عن استماعه . فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع دُرٌّ على خالصة
فهرأه بعض حاشية الخليفة وأخبره به . فنضب لذلك وأمره بإحضار الشاعر . فلما وصل إلى الباب مسح العيتين التي في لفظة ضاع . وأخضر بين يديه . فقال له : ما كتبت على الباب . قال : كتبت

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع دُرٌّ على خالصة
فأعجبه ذلك وأنعم عليه . وخرج الشاعر وهو يقول : لله درك
من شعرٍ قلت عنه فأبصر (للنواحي)

٢٨٦ تفاخر بعضهم على أحد الشعراء . فقال فيه الشاعر :
دهرٌ علا قدرُ الوضیع به وترى الشريف يحطه شرفه
كأنبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفة
قال آخر في هذا المعنى :

لا غرو أن فاق الدنيء أخا العلاء في ذا الزمان وهل لذلك جاحد
فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ما هو زائد

الفلاح الحكيم

٢٨٧ قِيلَ: وَهَفَ كِسْرَى عَلَى فَلَاحٍ نَعْرَسٌ تَحَلَّى وَقَدْ طَمَنَ فِي السِّنِّ.
 قَالَهُ لَهُ كِسْرَى مُتَجَبِّاً مِنْهُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ أَوَيْلَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هَذَا
 النَّخْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ. وَأَنْتَ قَدْ فَنَيْتَ عُزْرَكَ.
 قَالَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ غَرَسُوا وَأَكَلْنَا وَغَرَسْنَا فَيَا كَلُونَ. قَالَهُ مُتَجَبِّاً مِنْ
 كَلَامِهِ: زَه. وَأَعْطَى الْفَلَاحَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ
 مَا أَتَجَلَّ مَا أَتَمَّرَ هَذَا النَّخْلُ. فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذَلِكَ وَقَالَ: زَه.
 فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى. فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ أَنْ النَّخْلَ أَتَمَّرَ أَلْسَنَةً مَرَّتَيْنِ. فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى ذَلِكَ وَقَالَ:
 زَه. فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى ثُمَّ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ (لِلتَلِيدِ)

غزو. من بن زائدة عن أسراه

٢٨٨ قِيلَ: إِنْ مَعَنَا قَبْضٌ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الْأَسْرَى فَرَضَهُمْ عَلَى
 السَّيْفِ. فَاتَّفَقَتْ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ لَا تَجْمَعُ
 عَلَيْنَا بَيْنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ثُمَّ الْقَتْلِ. فَوَاللَّهِ إِنْ كَرَّمَ الْأَمِيرُ يُبْعِدُ
 عَنْ ذَلِكَ. فَأَمَرَهُمْ جَيْدٌ بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ. فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَمَعْنُ
 يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ أَكْلِهِمْ قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَطَالَ
 اللَّهُ بَقَاكَ إِنَّمَا قَدْ كُنَّا أَسْرَاكَ وَالْآنَ صِرْنَا ضُيُوفَكَ. فَانْظُرْ كَيْفَ
 تَصْنَعُ بِضُيُوفِكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ مَعْنُ: قَدْ غَفَوْتُ عَنْكُمْ. قَالَهُ
 لَهُ أَحَدُهُمْ: وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ عِنْدَنَا غَفْوُكَ عَنَّا أَشْرَفُ مِنْ يَوْمِ

ظَفَرَكَ بِنَا . فَسَرَّ مَعَنَا هَذَا الْكَلَامُ وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكُسُوفٍ وَمَالٍ
(لابن عبد ربه)

٢٨٩ لَمَّا قُتِلَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْمُرَائِي فِيهِ . فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ شَيْلِ الدَّوْلَةِ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةَ :

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ جَوْهَرَةً

مَكْنُونَةً صَاعِمًا الْبَارِي مِنَ الشَّرَفِ

جَاءَتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامَ قِيَمَتَهَا

فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ

المتنبي والكتاب

٢٩٠ مِنْ أَرْقٍ مَا حَكِي أَنَّ الْمُتَنَبِّيَ أَمْتَدَحَ بَعْضَ أَعْدَاءِ صَاحِبِ
مَمْلَكَتِهِ . فَلَبَّغَهُ ذَلِكَ فَتَوَعَّدَ الْمُتَنَبِّيَ بِالْقَتْلِ . فَخَرَجَ هَارِبًا ثُمَّ اخْتَفَى
مُدَّةً . فَأَخْبَرَ الْمَلِكُ أَنَّهُ يَلِدَةُ كَذَا . فَقَالَ الْمَلِكُ لِكَاتِبِهِ : اكْتُبْ لِلْمُتَنَبِّيِ
كِتَابًا وَلَطْفَ لَهُ الْعِبَارَةَ . وَاسْتَغْطَفَ خَاطِرَهُ وَأَخْبَرَهُ أَنِّي رَضِيتُ
عَنَّهُ . وَأَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَيْنَا . فَإِذَا جَاءَ إِلَيْنَا فَعَلْنَا بِهِ مَا زِيدُ . وَكَانَ بَيْنَ
الْكَاتِبِ وَالْمُتَنَبِّيِ مُصَادَقَةٌ فِي السِّرِّ . فَلَمْ يَسَعْ الْكَاتِبُ إِلَّا الْإِمْتِنَانُ .
فَكَتَبَ كِتَابًا وَلَمْ يَمْدُرْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ شَيْئًا خَوْفًا مِنَ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ يَقْرَأُ
قَبْلَ خَتْمِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا أَتَتْهُ إِلَى آخِرِهِ وَكَتَبَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى شَدَّدَ
الْثَوْنَ (إِنْ) . وَقَرَأَهُ السُّلْطَانُ وَخَتَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُتَنَبِّيِ . فَلَمَّا وَصَلَ
إِلَيْهِ وَرَأَى تَشْدِيدَ الثَّوْنِ ارْتَحَلَ مِنْ تِلْكَ الْبَلَدَةِ عَلَى الْقَوْرِ . فَقِيلَ لَهُ

فِي ذَلِكَ . قَال : أَشَارَ الْكَاتِبُ بِشَدِيدِ النُّونِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ :
 إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ . فَأَخْرَجَ إِيَّيَ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ .
 فَأَنْظِرْ إِلَى بُلُوغِ هَذَا النُّعْضِ بِالطَّفِ عِبَارَةٍ . وَيُحْكِي أَنَّ التَّنْجِي
 كَتَبَ الْجَوَابَ وَزَادَ إِلَهًا فِي آخِرِ قِطْعَةٍ إِنَّ إِشَارَةَ إِلَى مَا قِيلَ : إِنَّا لَن
 نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا (لِلنَّوَاجِي)

٢٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْفِرًا فِي النَّارِ :

وَأَكَلَهُ بَغِيرَ قَمٍ وَبَطْنٍ لَمَّا الْأَشْجَارُ وَالْحَيَوَانُ قُوتُ
 فَمَا أَطْعَمَتْهَا أَتَمَشَّتْ وَعَاشَتْ وَلَوْ أَسْقَيْتَهَا مَاءً تَمُوتُ

٢٩٢ وَقَالَ آخَرُ مُلْفِرًا فِي بَجَعٍ :

مَا طَارَ فِي قَلْبِهِ يَلُوحُ لِلنَّاسِ عَجَبُ
 مِتْقَارُهُ فِي رَأْيِهِ وَالْعَيْنُ مِنْهُ فِي الذَّنْبِ

٢٩٣ رَأَى أَبُو الْعِمَارِ أَمِيرًا جَارًا يُصَلِّي فَقَالَ :

قَدْ بُلِينَا بِأَمِيرٍ ظَلَمَ النَّاسَ وَسَجَّ
 فَهُوَ كَالْخِزَارِ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَذْنَجُ

٣٩٤ قَالَ عَبْدُ الْحَكَمِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي رَجُلٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ .

قَرَمَاهُ مُسْتَوِي الْقِصَاصِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ كَعْبِدُهُ قَتْلَهُ . فَقَالَ عَبْدُ
 الْحَكَمِ :

أَخْرَجْتَ مِنْ كَيْدِ الْقَوْسِ أَبْنَاهَا فَتَنَنْتَ

تَنْنُ وَالْأُمُّ قَدْ تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ

وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ

مَا سَادَ مِنْ كَيْدٍ إِلَّا إِلَى كَيْدٍ

٢٩٥ كَانَ الْوَزِيرُ صَفِي الدِّينِ الْمُرُوفُ يَا بْنَ شَكْرِ وَزِيرَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
ابْنَ أَيُّوبَ بِمِصْرَ . فَنَزَلَ عَبْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورَ عَنْ خُطَابَةِ جَامِعِ
بِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

فَلَا يَبِ بَابٍ غَيْرَ بَابِكَ أَرْجِعْ وَبِأَيِّ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْعَمْ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي إِلَّا إِلَيْكَ فَذُنِّبِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا الْأَبْوَابُ بِبَابِكَ وَحَدَهُ وَكَأَنَّمَا أَنْتَ خَلِيفَةُ أَجْمَعِ

ذَكَاءُ الْمَلُومِ

٢٩٦ حُكِّيَ أَنَّ أُمَّ جَعْفَرَ عَاتَبَتْ الرَّشِيدَ فِي تَقْرِيطِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ
الْأَمِينِ وَلَدَيْهَا . فَدَعَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ : وَجِّهْ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْخُلُوفَةِ : مَا تَفْعَلُ لِي إِذَا أَفْضَتِ
الْخِلَافَةُ إِلَيْكَ . فَلَمَّا الْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَقْطَعُكَ وَأَعْطِيكَ . وَأَمَّا
الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى الْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَتَسْأَلُنِي
عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ لَأُمِّ جَعْفَرَ : كَيْفَ
تَرَيْنِ . فَسَكَتَتْ عَنِ الْجَوَابِ (لَابِنْ خَلَّكَانَ)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو الرِّثَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ . لَا تَمْجِزْ عِي
قَاتِي أَبْنِكَ بَعْدَ أَبْنِكَ . فَقَالَتْ : أَفَلَا أَبْكِي عَلَى ابْنِ أُنْكَسَبَنِي أَبَا مِثْلِكَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْخُذَّاقِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ
حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَلْعَنُ . فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمَ عَلَى قَدَرِ ثِيَابِكَ . أَوِ الْبَسَ عَلَى
قَدَرِ كَلَامِكَ (للقيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ النَّبَلَاءِ بِخِيَالٍ فَقَالَ : هُوَ جَلَمٌ أَيْ مِقْصُ . مِنْ
حَيْثُ جِئْتُهُ وَجَدْتُ لَا (الكنز المذفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَيْبٌ عَلَى عَلِيلٍ فَقَالَ لَهُ : أَنَا وَأَنْتَ وَالْعِلَّةُ ثَلَاثَةٌ
فَإِنْ أَعْنَيْتَنِي عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا أُمْتَيْنِ وَأَنْفَرَدْتَ الْعِلَّةُ فَقَوَيْنَا
عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرستاني)

٣٠١ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
الصَّلَاحُ وَزَيْدُهُ مُسْتَشْفِعًا :

مِنْ شَرَطِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي الْحُسْنَى لِإِخْوَتِهِ
سَاوُوا قَتْلَهُمْ بِالْمَقْرِ وَأَقْتَرُوا
قَبْرَهُمْ وَقَوْلَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يُعْمَلَ بَابُ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ فَيُكْتَبَ
عَلَيْهِ اسْمُهُ . وَسَأَلَهُ الْحُجَّاجُ أَنْ يُعْمَلَ لَهُ بَابًا . فَأَذِنَ لَهُ فَاتَّفَقَ أَنْ صَاعِقَةً
وَفَعَتْ فَأَحْتَرَقَ مِنْهَا بَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَبَقِيَ بَابُ الْحُجَّاجِ فَعَظُمَ ذَلِكَ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَيْهِ : بَلَّغْنِي أَنْ تَأْدَا زِلَّتْ مِنَ السَّمَاءِ

فَأَحْرَقَتْ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تَحْرِقْ بَابَ الْحُجَّاجِ . وَمَا مَثَلُنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَثَلِ ابْنِي آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَصَلَّ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَّخَذْ مِنْ الْآخَرِ . فَسَرَى عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ

٣٠٣ رَوَى الْحَافِظُ الْحَمِيدِيُّ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الْأَمَوِيِّ فِي الْإِفْتِرَاقِ :

إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَتُفَوِّسُ أَهْلُ الظَّرْفِ تَأْتِفُ
يَا رَبُّ مُتَقَرِّقَيْنِ قَدْ جَمَعَتْ قَلْبَهُمَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ

٣٠٤ مِنْ شِعْرِ ابْنِ مُسَهَّرٍ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فِي عِلَّةٍ :

وَلَمَّا أَشْتَكَيْتَ أَشْتَكَى كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ وَأَعْتَلَّ شَرْقٌ وَغَرْبٌ
لَأَنَّكَ قَلْبُ لِحْصَمِ الزَّمَانِ وَمَا صَحَّ جِسْمٌ إِذَا أَعْتَلَّ قَلْبُ
٣٠٥ قَالَ أَبُو الْيَمُونِ الْمُبَارَكُ الْكِنَانِيُّ فِي الْبَرَاغِيثِ :

وَمَنْشَرٌ يَسْتَحِلُّ النَّاسُ قَلْبَهُمْ كَمَا اسْتَحْلَوْا دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
إِذَا سَفَكْتُ دَمًا مِنْهَا فَمَا سَفَكْتُ يَدَايَ مِنْ دَمِهَا أَلَسْفُوكَ غَيْرَ دَمِي

٣٠٦ كَلَّمَ الشَّعْبِيَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْقُرَازِيَّ أَمِيرَ الْعِرَاقَيْنِ فِي قَوْمِ
حَبْسِهِمْ لِيُطْلَقَهُمْ فَأَبَى . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ
فَأَلْحَقْ بِخُرْجِهِمْ . وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْحَقِّ فَالْعَفْوُ يَسْتَعْمُهُمْ . فَأُطْلِقَهُمْ

(لَا بَنَ خُلُكَانَ)

٣٠٧ لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ نَاقُصَهُ حِيَالُ قَصْرِ الْمُأْمُونِ قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ وَبَاهَاكَ . فَدَعَاهُ وَقَالَ : لَمْ يَنْبَغْ هَذَا الْقَصْرَ حِذَائِي .
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَيْتُ أَنْ تَرَى نِعْمَتَكَ عَلَيَّ فَعَمَلْتَهُ نَصَبَ

عَيْنِكَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمُأْمُونُ جَوَابَهُ وَعَفَا عَنْهُ (المستمصي)

ان للعالم خالفا

٣٠٨ حُكِيَ أَنَّ دَهْرِيًّا جَاءَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَقَقَّ عِلْمَاهُ عَصْرُكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا . فَمَنْ كَانَ فَاضِلًا مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَخْضُرَ هَهُنَا حَتَّى أَتِيَتْهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَثَبْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ . فَأَرْسَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ : يَا إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ أَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا الدَّهْرِيُّ وَهُوَ يَدَّعِي نَفِي الصَّانِعِ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْمُنَاطَرَةِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَذْهَبُ بَعْدَ الظُّهْرِ . فَجَاءَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ وَآخَرُ بِنَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ . فَأَرْسَلَ ثَانِيًا . فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاتَى إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَاسْتَقْبَلَهُ هَارُونَ وَجَاءَ بِهِ وَاجْتَسَدَ فِي الصَّدْرِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْأَكْبَادُ وَالْأَعْيَانُ . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ لِمَ أَبْطَأْتَ فِي عَمَلِكَ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : قَدْ حَصَلَ لِي أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِذَلِكَ أَبْطَأْتُ . وَذَلِكَ أَنَّ بَيْتِي وَرَاءَ دِجْلَةٍ . فَخَرَجْتُ مِنْ مَنَزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ دِجْلَةٍ حَتَّى أَغْبَرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ دِجْلَةٍ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُقَطَّعَةً قَدْ أَقْتَرَبَ أَلْوَاحُهَا . فَلَمَّا وَقَعَ بَصْرِي عَلَيْهَا أَضْطَرَبَتِ الْأَلْوَاحُ وَتَحَرَّكَتْ وَاجْتَمَعَتْ وَتَوَصَّلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَصَارَتِ السَّفِينَةُ صَحِيحَةً بِأَلْمَنَاجِرٍ وَلَا عَمَلَ عَامِلٍ . فَصَعِدْتُ عَلَيْهَا وَعَبَّرْتُ الْمَاءَ وَجِئْتُ هَهُنَا . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : اسْمَعُوا أَيُّهَا الْأَعْيَانُ مَا يَقُولُ إِمَامُكُمْ وَأَفْضَلُ زَمَانِكُمْ .

هَلْ تَمِثُّكُمْ كَلَامًا أَكْذَبَ مِنْ هَذَا كَيْفَ تَحْصُلُ السَّفِينَةُ الْمَكْسُورَةُ
بِلَا عَمَلٍ تَجَارِفُوهُ كَذِبٌ تَحْضُ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ . فَقَالَ
أَبُو حَنِيفَةَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ الْمُطْلَقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ السَّفِينَةُ بِلَا صَانِعٍ
وَتَجَارِفَكَيفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هَذَا الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ
يَعْدَمُ الصَّانِعُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ الدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ
(السيوطي)

أَلْبَابُ الثَّامِنُ فِي الْحِكَايَاتِ

٣٠٩ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأِسْكَندَرِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ فَلَكِي لَيْلَةً لِيُرِيَهُمْ
النُّجُومَ وَيُرِيَهُمْ خَوَاصَهَا وَأَحْوَالَ سِيرَهَا . فَأَدْخَلَهُمْ إِلَى بُسْتَانٍ وَجَعَلَ
يَمْشِي مَعَهُمْ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَ فِي بَيْرٍ هُنَاكَ . فَقَالَ : مَنْ
تَعَاظَى عِلْمَ مَا فَوْقَهُ بُلِي بِجَهْلِ مَا تَحْتَهُ (لباء الدين)

٣١٠ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا أَنْكَرَتْ بِهِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ فَوَقَعَ إِلَى حَزْبَةِ
فَعَمِلَ شَكْلًا هَنْدَسِيًّا عَلَى الْأَرْضِ قَرَأَهُ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ مَنَوَاهُ وَكَبَّ الْمَلِكُ إِلَى سَائِرِ
مَمَالِكِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ اقْتَسُوا مَا إِذَا كُسِرْتُمْ فِي الْبَحْرِ صَارَ مَعَكُمْ
(تاريخ الحكماء للشهرزوري)

يزجرهم في جلسه

٣١١ سَخَطَ كِسْرَى عَلَى يَزْجَرَ فَجَبَسَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ بِالْحَدِيدِ فَبَقِيَ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَإِذَا هُوَ مُشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمِئِنُّ النَّفْسِ فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الضِّيقِ وَتَرَكَ نَاعِمَ الدَّلَالِ . فَقَالَ : أَصْطَنَنْتُ سِتَّةَ أَخْلَاطٍ وَجَعَّتْهَا وَاسْتَمَلْتُهَا فِيَّ الْيَوْمِ أَنْبَتَنِي عَلَى مَا تَرَوْنَ . قَالُوا : صِفْ لَنَا هَذِهِ الْأَخْلَاطَ لَعَلَّنَا نَنْفَعُ بِهَا عِنْدَ الْبَلَاءِ فَقَالَ : نَعَمْ . أَمَّا الْخِلَاطُ الْأَوَّلُ فَأَتَمُّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَمَّا الثَّانِي فَكُلُّ مَا شَاءَهُ اللَّهُ كَائِنْ . وَأَمَّا الثَّالِثُ فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَا اسْتَمَلَهُ الْإِنْسَانُ . وَأَمَّا الرَّابِعُ فَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ فَأَذَا أَصْنَعُ وَلَا أُعِينُ عَلَى نَفْسِي بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْخَامِسُ فَقَدْ يَكُونُ أَشَدَّ بِمَا أَنَا فِيهِ . وَأَمَّا السَّادِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَلَبَّغَ مَا قَالَهُ كِسْرَى . فَأُطْلِقَهُ وَأَعَزَّهُ

٣١٢ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِعًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ رَعْدٍ فَفَزِعَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ وَوَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى مُقَدِّمِ رَحْلِهِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هَذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ فَكَيْفَ صَوْتُ عَذَابِهِ

المدعو الى الولية والسائل

٣١٣ دَعَا رَجُلٌ آخَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ : لِنَا كُلُّ مَعَكَ خُبْرًا وَمِنْهَا . فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ ذَلِكَ كِتَابَةٌ عَنْ طَعَامٍ لَطِيفٍ لَذِيذٍ أَعَدَّهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ . فَمَضَى مَعَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْخُبْرِ وَاللَّيْلِ . فَيَتَاهَا بِأَكْلَانٍ إِذْ وَقَفَ

بِالْبَابِ سَائِلٌ . فَهَرَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مَرَارًا فَلَمْ يَتَزَجِرْ . فَقَالَ لَهُ :
 أَذْهَبَ وَإِلَّا خَرَجْتُ وَكَسَرْتُ رَأْسَكَ . قَالَ الْمُدْعُو : يَا هَذَا
 أَنْصِرْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ وَعِيدِهِ مَا عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ
 وَعِيدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن أبي رافع ولبنة علي بن أبي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ وَكَاتِبِهِ . وَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عَقْدٌ لَوْلَوْ كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ
 الْبَصْرَةِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيَّ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ
 بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَقْدٌ لَوْلَوْ . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا
 أَحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمٍ الْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ
 مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ
 عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ هَذَا الْعَقْدُ .
 فَقَالَتْ : اسْتَعْرَيْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِأَتَرْتَنِي بِهِ فِي أَعْيَادِي ثُمَّ أَرَدَهُ . فَبَعَثَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَحُجَّتُهُ فَقَالَ لِي :
 اتَّخُونِ الْمُسْلِمِينَ يَا ابْنِ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَخُونِ الْمُسْلِمِينَ .
 فَقَالَ : كَيْفَ أَعَرْتُ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَقْدَ الَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ
 الْمُسْلِمِينَ بغيرِ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا بِنْتُكَ
 وَسَأَتَّبِعِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَرْتَنِي بِهِ . فَأَعَرْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سَالِكًا إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : رُدُّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ
تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَأْخُذَ عُثُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَلَيْلٍ لِي بَيْتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتْ
الْعِدَّةَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذْنُ أَوَّلِ هَاشِمِيَّةٍ قَطَعَتْ
يَدَهَا فِي سَرْقَةٍ . فَلَبَّتْ مَقَالَتَهُ أَبْنَتُهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا
أَبْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ فَمَنْ أَحَقُّ بِلَبْسِهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ ابْنِ أَبِي
طَالِبٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنْ الْحَقِّ . أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
يَتَرَبَّنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْعِيدِ بِمِثْلِ هَذَا . فَخَبَضَتْهُ مِنْهَا وَرَدَدَتْهُ إِلَى
مَوْضِعِهِ

(لها الدين)

الحلاوة اللذرة

٣١٥ حَدَّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُوَيْدِ الدِّينِ الْقَمِيهِ مَمْلُوكُهُ بِدُرِّ الدِّينِ أَيَّازُ
قَالَ : طَلَبَ لَيْلَةً مِنَ الْأَيَّامِ حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعَمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونُ
كَثِيرَةً وَأَحْضَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَيَّازُ أَتَقْدِرُ
أَنْ تَذْخَرَ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُؤَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا
وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَهَلْ يُمْكِنُ هَذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَتَغَيَّبُ فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجُودَادِ . تَضَعُ هَذِهِ الْأَصْحَنَ قَدَامَ أَيْتَامِ
الْعُلُوِّينَ فَإِنَّهَا تَذْخَرُ لِي مُؤَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَيَّازُ : قُلْتُ :
الْأَتَسْمَعُ وَالطَّاعَةَ وَمَضَيْتُ وَكَانَ نِصْفُ الْأَدِلِّ إِلَى الْمَشْهَدِ وَفَتَحْتُ
الْأَبْوَابَ وَنَهَيْتُ الصِّبْيَانَ الْأَيْتَامَ وَوَضَعْتُ الْأَصْحَنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَرَجَعْتُ

(للخري)

بهرام جور والرأي

٣١٦ حكي أَنَّ الْمَلِكَ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ يَوْمًا لِلصَّيْدِ فَظَهَرَ لَهُ حِمَارٌ وَخَسٌّ فَأَتْبَعَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْ عَسْكَرِهِ . فَظَفِرَ بِهِ فَسَكَّهُ . وَزُلَّ عَنْ قَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهُ . فَرَأَى رَاعِيًا أَقْبَلَ مِنَ الْبَرِّيَّةِ فَقَالَ لَهُ : يَا رَاعِي أَمْسِكْ قَرَسِي هَذَا حَتَّى أَذْبَحَ هَذَا الْحِمَارَ فَسَكَّهُ ثُمَّ تَشَاغَلَ بِذَبْحِ الْحِمَارِ . فَلَاَحَتْ مِنْهُ الثَّمَانَةُ فَرَأَى الرَّاعِيَّ يَقَطْعُ جَوْهَرَةً فِي عِذَارِ قَرَسِهِ . فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهَا وَقَالَ : إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْعَيْبِ مِنَ الْعَيْبِ . ثُمَّ رَكِبَ قَرَسَهُ وَلَحَقَ بِعَسْكَرِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ أَيْنَ جَوْهَرَةُ عِذَارِ قَرَسِكَ فَتَسَمَّ الْمَلِكُ . ثُمَّ قَالَ : أَخَذَهَا مِنْ لَا يَرُدُّهَا وَأَبْصَرَ مَنْ لَا يَنْمُ عَلَيْهِ فَمَنْ رَأَاهَا مِنْكُمْ مَعَ أَحَدٍ فَلَا يُعَارِضُهُ بِشَيْءٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ

(للقليوبي)

الملك المتعظ بمجنون

٣١٧ مِنَ الْحِكَايَاتِ اللَّطِيفَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ قَصَدَ التَّفَرُّجَ عَلَى الْجَانِّينَ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ رَأَى فِيهِمْ شَابًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ نَظِيفَ الصُّورَةِ يَرَى عَلَيْهِ آثَارَ اللَّطْفِ . وَتَلَوَّحَ عَلَيْهِ شَتَائِلُ الْفُطْنَةِ . قَدَامَتُهُ وَسَالَهُ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْ جَمِيعِهَا بِأَحْسَنِ جَوَابٍ . فَحَبَّبَ مِنْهُ عَجَبًا شَدِيدًا ثُمَّ إِنَّ الْمَجْنُونِ قَالَ لِلْمَلِكِ : قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَبْتُكَ وَإِنِّي سَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ وَاحِدًا . قَالَ : وَمَا هُوَ . قَالَ : مَتَى يَجِدُ النَّاسُ لَذَّةَ النَّوْمِ . فَقَفَرَ الْمَلِكُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَجِدُ لَذَّةَ النَّوْمِ حَالَ نَوْمِهِ . فَقَالَ

الْجُنُونُ : حَالَةُ النَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ الْمَلِكُ : قَبْلَ الدُّخُولِ
 فِي النَّوْمِ . فَقَالَ الْجُنُونُ : كَيْفَ تَوْجَدُ لَذَّتَهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ
 الْمَلِكُ : بَعْدَ النَّوْمِ . فَقَالَ الْجُنُونُ : تَوْجَدُ لَذَّتَهُ وَقَدْ انْقَضَى . فَخَبِرَ
 الْمَلِكُ وَزَادَ إِعْجَابَهُ . وَقَالَ : لَمَعْرِي إِنَّ هَذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ عُقْلَاءَ كَثِيرَةٍ
 فَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ نَدِيمِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ تَحْتُ
 بِازَاءِ شَبَاكِ الْجُنُونِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالشَّرَابِ فَحَضَرَ . فَتَأَوَّلَ الْكَلَسَ
 وَشَرِبَ ثُمَّ تَأَوَّلَ الْجُنُونُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هَذَا لِتَصِيرَ
 مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَأَتَمَّطَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى الْقَدَحَ
 مِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ
 (لِلاتِلِيدِي)

الشاب السارق

٣١٨ سَرَقَ شَابٌ سَرِقَةً فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ
 فَتَقَدَّمَ لِتَقَطْعَ يَدَهُ فَأَنشَدَ الشَّابُّ يَقُولُ :
 يَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعِيدْهَا بِقَوْلِكَ أَنْ تَلْقَى نِكَالًا يَشِينُهَا
 فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا رَاحَةٍ بِهَا إِذَا مَا شِمَالُ قَارِقَتِهَا يَمِينُهَا
 وَكَانَتْ أُمُّ الشَّابِّ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَاحِدِي . نَاشِدْتُكَ اللَّهُ إِلَّا رَجِمْتَنِي وَهَدَيْتَ
 لَوْعَتِي . وَجُدْتُ بِالْعَوِيَّاتِ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا حَدٌّ
 مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْ هَذَا
 الْحَدِّ ذَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَفَقَ لَهَا الْمَأْمُونُ وَعَفَا عَنْهُ

٣١٩ حُكِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ أَشْرَفَ يَوْمًا عَلَى قَصْرِهِ فَرَأَى رَجُلًا يَكْتُبُ
 بِفَحْمَةٍ عَلَى حَائِطِ قَصْرِهِ . فَقَالَ الْمَأْمُونَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ : أَذْهَبَ إِلَى ذَلِكَ
 الرَّجُلِ فَأَنْظُرْ مَا كَتَبَ وَأْتِنِي بِهِ . فَبَادَرَ الْخَادِمُ إِلَى الرَّجُلِ مُسْرِعًا
 وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا كَتَبْتَ . فَإِذَا هُوَ قَدْ كَتَبَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
 يَا قَصْرُ جُمِعَ فِيكَ الشُّومُ وَاللُّومُ مَتَى يُعِشْشِرُ فِي أَرْكَانِكَ الْبُومُ
 يَوْمًا يُعِشْشِرُ فِيكَ الْبُومُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنَالُكَ مَرْغُومُ
 ثُمَّ إِنَّ الْخَادِمَ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
 سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ . فَقَالَ الْخَادِمُ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ
 ذَهَبَ بِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلِمَ بِمَا كَتَبَ . فَقَالَ
 لَهُ الْمَأْمُونَ : وَلَيْكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا
 يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هَذَا مِنْ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ وَالْخِلَى وَالْخَلَلِ
 وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفُرُشِ وَالْأَوَانِي وَالْأَمْتَةِ وَالْجَوَارِي وَالْخَدَمِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَصَفِي . وَيَنْجِزُ عَنْهُ فَهْمِي . وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ
 عَلَيْهِ الْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةِ مِنَ الْجُوعِ وَالْفَقَاةِ . فَوَقَفْتُ مُفَكِّرًا فِي أَمْرِي
 وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ . وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا قَائِدَةً لِي فِيهِ .
 فَلَوْ كَانَ خَرَابًا وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَعْدَمْ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَارًا أَيْمُهُ
 وَأَتَقَوَّتُ بِمَنْهِ . أَوْ مَا عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ اللَّهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةٍ أَمْرِي نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُعْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ يُرْجَى سِوَاهَا هُوَ يَهْوَى أَنْتَمَالَهَا
 قَهَّالُ الْمُأْمُونِ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي
 كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِرًا بِأَهْلِهِ مَسْرُورًا بِدَوْلَتِهِ
 وَلَأَنْشَدُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ:

إِذَا كُنْتُ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنًا فَمِمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهُ
 (اعلام الناس للاتليدي)

الادب يرفع الحامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ الْمُأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةً أَعْلَمَ
 مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ. وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَانِ يَجْلِسُ فِيهِمَا
 لِمُنَاطَرَةِ الْعُلَمَاءِ. فَيَجْلِسُ الْمُنَاطِرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِمَحْضَرَتِهِ
 عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيَتَنَا هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ
 غَرِيبٌ وَطَلَبَ ثِيَابَ بَيْضَ رُثَّةٍ. فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ
 الْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مُجْهُولٍ. ثُمَّ ابْتَدَأُوا فِي الْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضَلَاتِ
 الْمَسَائِلِ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ الْمَسْئَلَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ
 وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةَ لَطِيفَةٍ أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً
 ذَكَرَهَا. فَدَارَتِ الْمَسْئَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْقَرِيبِ.
 فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوَبَةِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ. فَاسْتَحْسَنَ
 الْخَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ. فَلَمَّا
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ.

فَأَمَرَ الْمُؤْمُونَ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرَّتَبَةِ . فَلَمَّا دَارَتْ الْمَسْئَلَةُ
الثَّالِثَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ وَأَصَوَّبَ مِنْ الْجَوَابَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . فَأَمَرَ
الْمُؤْمُونَ أَنْ يُجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ . فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمُنَاطَرَةُ أَحْضَرُوا الْمَاءَ
وَعَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَحْضَرُوا الطَّعَامَ فَأَكَلُوا . ثُمَّ نَهَضَ الْقَهْقَاهُ فَخَرَجُوا
وَمَعَ الْمُؤْمُونَ ذَلِكَ الشَّخْصَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَلَاطَفَهُ
وَوَعَدَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَبَيَّأَ مَجْلِسُ الشَّرَابِ وَحَضَرَ
الْتِدْمَاءُ الْمَلَأُحُ وَدَارَتْ الرِّاحُ . فَلَمَّا وَصَلَ الدُّورُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ
وَتَبَّ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ : إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلَّمْتُ
كَلِمَةً وَاحِدَةً . قَالَ لَهُ : قُلْ مَا تَشَاءُ . فَقَالَ : قَدْ عَلِمَ الرَّأْيُ الْعَالِي
زَادَهُ اللَّهُ عُلُومًا أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ مِنْ
تَجَاهِيلِ النَّاسِ وَوَضْعَاءِ الْجِلَاسِ . وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَبَهُ وَأَدْنَاهُ
يَسِيرَ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَبْدَاهُ وَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا عَلَى دَرَجَةٍ غَيْرِهِ . وَبَلَغَ بِهِ
الْعَالِيَةِ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ إِلَيْهَا هَمَّتُهُ . وَالْآنَ يُرِيدُ أَنْ يَفْرِقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ
الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَعَزَّهُ بَعْدَ الذِّلَّةِ وَكَثَّرَهُ بَعْدَ انْقِلَابِهِ .
وَحَاشَا وَكَفَلًا أَنْ يُخْسِدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي مَعَهُ مِنَ
الْعَقْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ . لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَرِبَ الشَّرَابَ تَبَاعَدَ عَنْهُ
الْعَقْلُ وَقَرَّبَ مِنْهُ الْجَهْلُ وَسَلَبَ أَدَبَهُ . وَعَادَ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْخَفِيرَةِ
كَمَا كَانَ وَصَارَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ خَفِيرًا مَجْهُولًا . فَارْجُوا مِنَ الرَّأْيِ الْعَالِي
أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مِنْهُ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَسِيَادَتِهِ وَحُسْنِ شَيْئِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ مِنْهُ الْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رُتْبَتِهِ
وَوَفَّرَهُ . وَأَمَرَ لَهُ بِبَنَاءِ أُنْفٍ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا
فَاخِرَةً . وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ الْمُفْتَهَاءِ حَتَّى
صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً (الف ليلة وليلة)

عدالة انوشروان في بناء الايوان

٣٣١ حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنْوِشِرَوَانَ
صَاحِبِ الْإِيوَانِ . فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ الْإِيوَانِ وَظَرَفَتَهُ وَعَظَمَةَ
مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مِيزَ الْإِيوَانِ فَرَأَى فِي
بَعْضِ جَوَانِبِهِ أَعْوِجَاجًا . فَسَأَلَ التَّرْجَمَانَ عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ
هُنَاكَ بَيْتًا لِعَجُوزٍ كَرِهَتْ بَيْعَهُ عِنْدَ عِمَارَةِ الْإِيوَانِ . وَلَمْ يَرِ الْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا
عَلَى الْبَيْعِ فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ الْإِيوَانِ . فَذَلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ .
فَقَالَ الرُّومِيُّ : وَحَقَّ رَأْسِي إِنَّ هَذَا الْإِعْوِجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ
وَأَنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ الزَّمَانِ لَمْ يُؤْرَخْ فِيمَا مَضَى لِلْمَلِكِ وَلَا يُؤْرَخُ فِيمَا بَقِيَ
لِلْمَلِكِ . فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامَهُ وَرَدَّهُ مَسْرُورًا مُخْبِرًا (الإبشيحي)

الغلام والتعلب

٣٣٢ كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ التِّجَارَةِ وَلَدٌ نَجِيبٌ صَرَفَهُ مِنْ صَغَرِ سِنَتِهِ
فِي التِّجَارَةِ بِبَلَدِهِ حَتَّى رَضِيَ بِخَيْرَتِهِ فِيهَا . فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ أَرَادَ أَنْ
يَعُودَهُ عَلَى الْأَسْفَارِ فِي تِجَارَةِ الْأَفْطَارِ . فَجَهَّزَهُ تَجْهِيْزًا يَلِيْقُ بِأَمْتَالِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَضَى الْغُلَامُ . فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الرُّوَجِ . وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ مُشْرَعَةً . فَقَامَ يَتَمَشَّى وَقَدْ
مَضَى جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ . فَبَصُرَ ثَعْلَبٌ طَرِيجٌ وَقَدْ أَخَذَهُ الْهَرَمُ وَالْإِعْيَاءُ
وَضَعُفَ عَنِ الْحَرَكَةِ . فَوَقَّفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ :
كَيْفَ يُرْزَقُ هَذَا الْحَيَوَانُ الْمُسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا .
فَإِنَّمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدْ أَقْرَسَ فَرِيَسَةً فَجَاءَ حَتَّى
قُرْبَ مِنَ الثَّعْلَبِ . فَتَنَاولَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بَقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَحَامَلُ الثَّعْلَبُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ فَلَمَّا قَلِيلًا حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى مَا تَرَكَهُ الْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَالْعَلَامُ يُتَجَبُّ مِنْ صُنْعِ
اللَّهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَاقَ لِهَذَا الْحَيَوَانِ الْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُجْنَانَهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِالْأَرْزَاقِ فَلَا يَشِيءُ أَحْتِمَالُ
الْمُسَاقِ وَرُكُوبِ الْأَسْفَارِ وَأَفْخَامِ الْأَخْطَارِ . ثُمَّ أَتَتْهُ رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ
فَأَخْبَرَهُ أَخْبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا تَنَبَّأَ عَنْهُ عَنِ السَّفَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ قَدْ
أَخْطَأْتَ النَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ الثَّعْلَابُ
الْحَيَاةُ . لَا أَنْ تَكُونَ ثَعْلَبًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ السَّبَاعِ . فَقِيلَ نَهِيَّةً
أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٣٣ قَالَ ابْنُ الْحَرِيفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أُعْطِيتُ أَحْمَدَ بْنَ
حَسْبِ الدَّلَالِ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بَعَثْهُ لِي وَبَيِّنْ هَذَا الْعَيْبَ الَّذِي فِيهِ .
وَأَرَيْتُهُ خَرَقًا فِي الثَّوْبِ . فَمَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

وَقَالَ : بَعَثْتُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَبِي غَرِيبٍ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ . قُلْتُ لَهُ : وَأَرَيْتَهُ
 الْعَيْبَ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ . فَقَالَ : لَا وَإِنِّي نَسِيتُ ذَلِكَ . قُلْتُ : لَا حَزْرَكَ
 اللَّهُ خَيْرًا إِمَضِ مَعِيَ إِلَيْهِ . وَذَهَبْتُ مَعَهُ وَقَصِدْنَا مَكَانَهُ فَلَمْ نَجِدْهُ .
 فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ قَافِلَةِ الْحِجَابِ . فَأَخَذْتُ صِفَةً
 الرَّجُلِ مِنَ الدَّلَالِ وَانْكَرَيْتُ دَابَّةً وَلَحِثْتُ الْقَافِلَةَ . وَسَأَلْتُ عَنْ
 الرَّجُلِ فَدَلَّتْ عَلَيْهِ قُلْتُ لَهُ : وَالْأُتُوبُ الْفُلَانِيُّ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ
 أَمْسَ مِنْ الدَّلَالِ فَلَانٍ يَكْذِبُ وَكَذًا فِيهِ عَيْبٌ فَهَاتِهِ وَخُذْ ذَهَبَكَ .
 فَهَامَ وَأَخْرَجَ التُّوبَ وَطَافَ عَلَى الْعَيْبِ حَتَّى وَجَدَهُ . فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ :
 يَا شَيْخُ أَخْرِجْ ذَهْبِي حَتَّى أَرَاهُ وَكُنْتُ لَمَّا قَبَضْتُهُ لَمْ أُمِيزْهُ وَلَمْ أَتَقَدَّهُ .
 فَأَخْرَجْتُهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : هَذَا ذَهْبِي أَتَقَدُّهُ يَا شَيْخُ . فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا
 هُوَ مَمْنُوشٌ لَا يُسَاوِي شَيْئًا . فَأَخَذَهُ وَرَمَى بِهِ وَقَالَ لِي : قَدْ اشْتَرَيْتُ
 مِنْكَ هَذَا التُّوبَ عَلَى عَيْبِهِ بِهَذَا الذَّهَبِ . وَدَفَعَ إِلَيَّ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ
 الذَّهَبِ الْمَمْنُوشِ ذَهَبًا جَدِيدًا وَعُتِّ بِهِ

كسرى انوشروان والمؤدب

٣٣٤ رُوِيَ أَنَّ كِسْرَى أَنْوِشِرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّلَاوِيحِ
 يُعَلِّمُهُ حَتَّى قَاتَى فِي الْعُلُومِ . فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ .
 فَحَقَّقَ أَنْوِشِرَوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى
 ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْتَعِبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ

لَكَ الْمُلْكُ بَعْدَ أَيْكَ . فَأُخْبِتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ الظُّلْمِ لئَلَّا تَظْلِمَ .
فَقَالَ أَنُوشَرَوَانُ : زِهْ زِهْ وَرَفَعَ قَدْرَهُ

(للابشيحي)

المهادي والمخارجي

٣٣٥ ذَكَرَ صَاحِبُ السُّكْرَدَانِ أَنَّ الْمَهَادِي كَانَ يَوْمًا فِي بَسْتَانٍ
يَتَنَزَّهُ عَلَى جِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ . وَبِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِهِ وَأَهْلِي
بَيْتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِالْبَابِ بَعْضَ الْخَوَارِجِ لَهُ بَأْسٌ
وَمَكَايِدُ وَقَدْ طَفَّرَ بِهِ بَعْضُ الْقَوَادِ . فَأَمَرَ الْمَهَادِي بِادْخَالِهِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَى يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ الْخَارِجِيَّ الْمَهَادِي
جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ وَأَخْطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ الْمَهَادِي .
فَقَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى جِمَارِهِ . حَتَّى إِذَا
دَنَا مِنْهُ الْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَمْلُوهُ بِالسَّيْفِ أَوْمَأَ إِلَى وَرَاءِ الْخَارِجِيَّ
وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ : يَا غُلَامُ أَضْرِبْ عَنْقَهُ . فَظَنَّ الْخَارِجِيُّ
أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ . فَالْتَفَتَ الْخَارِجِيُّ فَتَزَلَّ الْمَهَادِي مُسْرِمًا عَنْ جِمَارِهِ
فَقَبَضَ عَلَى عَنْقِ الْخَارِجِيَّ وَذَبَحَهُ بِالسَّيْفِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى
ظَهْرِ جِمَارِهِ مِنْ قُورِهِ . وَالْحَدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مَلُؤُوا
مِنْهُ حَيَاءً وَرُعْبًا . فَمَاعَاتِيهِمْ وَلَا خَاطِبُهُمْ فِي ذَلِكَ بِكَلِمَةٍ . وَلَمْ يُفَارِقِ
السِّلَاحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

(اعلام الناس للالتيدي)

المنصور وليو عبد الله

٣٣٦ قَالَ الْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : عَلَى بَيْحَمَرٍ . قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

اللَّهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرَّكَ شَفْطَيْهِ ثُمَّ قَرُبَ وَسَلَّم . فَقَالَ : لَسَلَامُ
 اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَبْدُ اللَّهِ تَعْمَلُ عَلَى الْتَوَاتُلِ فِي مُلْكِي . فَتَلَّيَ اللَّهُ إِنَّ لَمْ
 أَقْتُلَكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ . وَإِنَّ أَيُّوبَ
 ابْنِي قَصِيرَ . وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلِمَ فَقَفَرَ . وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ مِنْ
 تَأْسِي بِهِمْ . فَكَسَّ النَّصُورُ رَأْسَهُ مِلًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَيَّ أَبَاعِبِدِ
 اللَّهُ فَإِنَّ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ . وَأَنْتَ ذُو الرَّحِمِ الْوَالِشِحَةِ . وَالسَّامِ
 النَّاحِيَةِ . الْقَلِيلُ الْغَالَةِ . ثُمَّ صَاحَهُ بِعَيْنِهِ وَعَانَقَهُ بِشِمَالِهِ . وَأَجَاسَهُ
 مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَقْبَلَ يُسَافِلُهُ وَيُحَادِثُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَجَلُوا لِأَيِّ عَبْدٍ اللَّهُ
 إِذْنَهُ وَجَازَتَهُ وَكُسُوتَهُ . فَلَمَّا خَرَجَ أَمْسَكَهُ الرِّبْعُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتَكَ
 قَدْ حَرَّكَتَ شَفْطَيْكَ فَأَنْجَلِي الْأَمْرُ وَأَنَا خَادِمُ السُّلْطَانِ وَلَا غِنَى لِي
 عَنْهُ فَعَلِمَنِي إِيَّاهُ . فَقَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : اللَّهُمَّ أَرْضِنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ .
 وَاكْفِنِي بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ . لَا أَهْلَكَ وَأَنْتَ رَجَائِي فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ
 أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قُلْ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرِمْنِي . وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ أَبْلَيْتُ بِهَا
 قُلْ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذِلْنِي . اللَّهُمَّ بِكَ أَذْرَأُ فِي تَحْوِرِهِ وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّهِ

(للشريشي)

القاضي والتصرافي الحسن

٣٧٧ حُكِيَ أَنَّ قَصِيرًا جَاءَ إِلَى قَاضٍ فِي يَوْمٍ حَاشُورَاءَ وَقَالَ لَهُ : أَعَزُّ
 اللَّهُ الْقَاضِيَّ وَلِمَنِي رَجُلٌ قَصِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِهَذَا
 الْيَوْمِ أَنْ تُعْطِيَنِي عَشْرَةَ أَمْنَانَ لِحِمَا وَدِرْهَمَيْنِ لِأَشْبَعِ أَطْفَالِي فِي هَذَا

الْيَوْمَ وَلَكَ الْجَزَاءُ عَلَى اللَّهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الظُّهْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الظُّهْرُ عَادَ
 إِلَيْهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الْمَصْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الْمَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ
 ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنَ الْجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَمَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ الْغُرُوبِ .
 فَقَالَ لَهُ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ . فَرَجَعَ الْفَقِيرُ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ بِأَكْبَرِ
 الْغَيْرِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ . فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِصُرَاتِي
 جَالِسٍ عَلَى بَابِهِ . فَرَأَاهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ : مَا بَكَوْكَ يَا هَذَا . فَقَالَ لَهُ :
 لَا تَسْأَلُ عَنْ حَالِي . فَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ أَعْلِمَنِي بِحَالِكَ .
 فَأَخْبِرْهُ بِحَالِهِ مَعَ الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : مَا هَذَا الْيَوْمَ عِنْدَكُمْ .
 فَقَالَ لَهُ : هُوَ يَوْمٌ عَاشُورَاءَ . فَرَفَقَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ
 مِنَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ الدَّرْهَمَيْنِ . فَقَالَ لَهُ :
 خُذْ هَذَا وَهُوَ لَكَ وَلِإِمَائِكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَذَهَبَ بِهِ الْفَقِيرُ
 لِأَطْفَالِهِ فَرِحَ مَسْرُورًا . فَلَمَّا رَأَاهُ أَطْفَالُهُ فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا . ثُمَّ نَادَوْا
 بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ : اللَّهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا السُّرُورَ فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الْقَرَحَ
 عَاجِلًا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَتَامَ الْقَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ : أَرْفَعُ
 رَأْسَكَ . فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ قَصْرَيْنِ مَبْنُوعَيْنِ لَيْتَهُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَيْتَهُ
 مِنْ فِضَّةٍ . فَقَالَ : إِلَهِي لِمَنْ هَذَانِ الْقَصْرَانِ . فَأَجِيبْ إِنَّهُمَا كَانَا لَكَ
 لَوْ قَضَيْتَ حَاجَةَ الْفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدْتَهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِيِّ فَلَانِ . فَأَنْتَبَهَ
 الْقَاضِي مَرْغُوبًا يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالشُّوْرِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ وَقَالَ لَهُ :
 مَا فَعَلْتَ الْبَارِحَةَ مِنَ الْخَيْرِ . فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ ذَا سُؤْلِكَ . فَأَخْبِرَهُ بِمَا

رَأَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَنِي هَذَا الْجَمِيلَ الَّذِي فَعَلْتَهُ الْبَارِحَةَ مَعَ الْفَقِيرِ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أُبِيعُ ذَلِكَ بِمِلْءِ
الْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرِحَ اللَّهُ تَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ (للقليوبي)

اجارة معن لرحل استغاث به وكان المنصور قد اهدر دمه

٣٢٨ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى
بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ
جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَيَتِمَّا هُوَ
يَمْشِي مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ
فَأَخَذَ يَجْمَعُ ثِيَابَهُ وَقَالَ : هَذَا بَنِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَيَتِمَّا الرَّجُلُ عَلَى
هَذِهِ الْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَفَعَّ حَوَافِرَ الْخَيْلِ . فَاتْلَفَتْ فَإِذَا مِنْ بَنُ زَائِدَةَ .
فَاسْتَغَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجْرَنِي أَجَارَكَ اللَّهُ . فَاتْلَفَتْ مَعَهُ إِلَى الرَّجُلِ
الَّتِي لَهَا مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بَنِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعُهُ .
وَقَالَ لِغُلَامِهِ : انْزِلْ عَن دَابَّتِكَ وَأَحْمِلِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ الرَّجُلُ
الْمُتَلَقِّ بِهِ وَصَرَخَ وَاسْتَجَارَ بِالنَّاسِ وَقَالَ : حَالُ بَنِيِّ وَبَيْنَ بَنِيَّةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعَهُ : أَذْهَبَ قَتْلَ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ
عِنْدِي . فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِأَخْضَارِ
مَعْنٍ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْمَنْصُورُ إِلَى مَعْنٍ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ
وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

أَقْسَمُ عَلَيْكُمْ بَأَن لَّا يَصِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ
نَظَرَتْ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ
الْمَنْصُورُ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ : يَا مَنُّ أُنْجِرَ أَعْلَى . قَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَنَعَمْ أَيْضًا . وَقَدْ أَشَدَّ غَضَبُهُ .
فَقَالَ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقْدَمُ فِي دَوْلَتِكُمْ بِلَائِي وَحَسَنُ
عَنَائِي . وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَيْحِي . أَفَمَا رَأَيْتُمُنِي أَهْلًا بِأَن يُوهَبَ لِي
رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ يُوْهِمُهُ أَتَى عَبْدٌ مِنْ عِيْدِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ هُوَ . فَرُبَّمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ : فَأُطْرَقَ
الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ :
قَدْ أَجْرَتَاكَ يَا مَعْنُ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَجْمَعَ
بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصَلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَعْيَاهُ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنْ صَلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جِنَايَاتِ الرَّعِيَةِ . وَإِنَّ ذَنْبَ الرَّجُلِ
عَظِيمٍ فَأَجَزِلَ صَلَتُهُ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ
مَعْنُ : عَجَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ عَاجِلُهُ . فَأَمَرَ بِتَحْلِيلِهَا فَحَلَّهَا
وَأَنْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ . وَقَالَ لِلرَّجُلِ : يَا رَجُلُ خُذْ صَلَتَكَ وَالْحَقَّ
بِأَهْلِكَ وَبِإِيَّاكَ وَخَالَتَهُ الْخُلَفَاءُ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هَذِهِ (لِلأَبْشِيهِ)

ملك الفرس وصاحب الطنج

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ عَظِيمِ الْمَمْلَكَةِ شَدِيدِ النِّعْمَةِ .

وَكَانَ لَهُ صَاحِبٌ مَطْلَجٌ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ صَاحِبُ الْمَطْلَجِ
سَقَطَتْ نُقْطَةٌ مِنَ الطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَرَوَى لَهَا الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ
صَاحِبُ الْمَطْلَجِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ الصَّحْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : عَلَيَّ
بِهِ . فَلَمَّا أَنَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُفُوطَ النُّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا
يَدَكَ . فَمَا عَذْرُكَ فِي الثَّانِيَةِ . قَالَ : اسْتَحْيَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ مِثْلِي
فِي سِنِي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نُقْطَةٍ قَارَدَتْ أَنْ أُعْظِمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِهِ
قَتْلِي وَلَسْلَا يَنْسَبَكَ النَّاسُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنْ
لَطَفَ الْأَعْيَانُ بِخِيَاكَ مِنْ الْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

الرشيذ والدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بِدِمَشْقَ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةٍ
عَظِيمُ الْمَالِ كَثِيرُ الْجَاهِ مُطَاعٌ فِي الْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِكُ
يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ السَّلَاحَ وَيَنْزُونَ الرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمِعَ جَوَادًا
كَثِيرُ الْبَذْلِ وَالضَّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُ . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ .
قَالَ مَنَارَةٌ : وَكَانَ وَقُوفُ الرَّشِيدِ عَلَى هَذَا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فِي بَعْضِ
حَجَّجِهِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَاقَ
الْأَمِينُ وَالْمَسَامُونُ وَالْمُعْتَصِمُ أَوْلَادِهِ قَدَعَانِي وَهُوَ خَالٌ . وَقَالَ :
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ يَهْمُنِي وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمُ فَأَنْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ . ثُمَّ
قَصَّ عَلَى خَبَرِ الْأُمَوِيِّ وَقَالَ : أَخْرَجَ السَّاعَةَ فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ
الْخَيُْولَ وَأَزَحْتُ عَنْكَ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَالْآلَةَ . وَتَضَمُّنْتُ إِلَيْكَ مِائَةَ

غَلامَ وَأَسْأَلُكَ الْبَرِّيَّةَ وَهَذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ وَهَذِهِ قِيُودُ
فَأَبْدَأُ بِالرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ قَصِدَهُ وَجِئْتِي بِهِ . وَإِنْ عَصَى فَتَوَكَّلْ
عَلَيْهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لِئَلَّا يَهْرُبَ . وَأَنْفِذِ الْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ
لِيَكُونَ مُسَاعِدًا وَأَقِضْ عَلَيْهِ وَجِئْتِي بِهِ وَأَجْلُتْكَ لَدَهَابِكَ سِتًّا وَلَا يَابِكَ
سِتًّا وَيَوْمًا لِمَقَامِكَ . وَهَذَا تَحْمِيلُ تَحْمِلُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قِيدَتْهُ وَتَقَعْدُ
أَنْتَ فِي الشِّقَّةِ الْأُخْرَى . وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ
فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . فَإِذَا دَخَلْتَ دَارَهُ فَتَقَفْ ذَهَابًا
وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَغِلْمَانِهِ وَقَدَرِ نِعْمَتَهُ وَالْحَالَ وَالْحَالَ .
وَأَحْظُظْ مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ حَرْفًا بِحَرْفٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ مُنْذُ يَقَعُ طَرْفُكَ
عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يُشْكَكَ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ .
تَنْطَلِقُ . قَالَ مَنَارَةُ : فَوَدَّعْتُهُ وَأَنْطَلَقْتُ وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ الْأَبِلَ
وَسِرْتُ أَطْوَى الْمَنَازِلِ أَسِيرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ
فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ السَّابِغَةِ وَأَبْوَابُ الْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُقَهَا لَيْلًا
فَبِتُّ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ فَتَحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ عَلَى هَيْئَتِي ثُمَّ
أَتَيْتُ بَابَ الرَّجُلِ وَعَلَيْهِ صَفٌّ عَظِيمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَسْتَأْذِنْ
وَدَخَلْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِيَ
عَنِّي . قَالَ : هَذَا مَنَارَةُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . قَالَ :
فَلَمَّا صِرْتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ تَرَلْتُ وَدَخَلْتُ مُجْلِسًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا
جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَتَقَامُوا وَرَجَبُوا بِي . فَقُلْتُ : أَفِيكُمْ

فَلَانٌ. قَالُوا: لَا. مَخْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَامِ. قُلْتُ: اسْتَخْلَوْهُ. فَمَضَى
 بَعْضُهُمْ يَسْتَجْلُوهُ وَأَنَا أَتَفَقَّدُ الدَّارَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَا جَبَتْ
 بِأَهْلِهَا مَوْجًا كَثِيرًا. فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَطَالَ
 مَكْنَهُ. وَاسْتَرَبْتُ مِنْهُ وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَتَوَادَى إِلَى أَنْ
 رَأَيْتُ تَخْصِيصَ زِيَّ الْحَمَامِ يَمِشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ وَحَوَالِيهِ جَمَاعَةٌ كَهُولُ
 وَأَحْدَاثُ وَصَبِيَّانُ. وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغُلَمَانُهُ قُلْتُ: إِنَّهُ الرَّجُلُ. فَجَاءَ
 وَجَلَسَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ سَلَامًا خَفِيفًا. وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتَقَامَةِ
 أَمْرِ حَضْرَتِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وَجَبَ. وَمَا قَضَى كَلَامَهُ حَتَّى جَاءُوا بِأَطْبَاقٍ
 فَكَيْهَةِ فَقَالَ: تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةَ وَكُلْ مَعَنَا. قُلْتُ: مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ
 سَبِيلٍ. فَلَمْ يَأْوِذْنِي فَأَكَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا
 بِالطَّعَامِ فَجَاءُوا إِلَيْهِ بِمَا بَدَتْ حَسَنَةً لَمْ أَرِ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ. فَقَالَ: يَا مَنَارَةَ
 سَاعِدْنَا عَلَى الْأَكْلِ. لَا يَزِيدُنِي عَلَى أَنْ يَدْعُوَنِي بِاسْمِي كَمَا يَدْعُوَنِي
 الْخَلِيفَةُ. فَأَمْتَنْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي. فَأَكَلَ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانُوا تِسْعَةً
 مِنْ أَوْلَادِهِ. فَتَأَمَّلْتُ أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمُلُوكِ.
 وَوَجَدْتُ ذَلِكَ إِلَّا اضْطِرَابَ الَّذِي كَانَ فِي دَارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتُهُمْ
 لَا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ عَلَى الْمَائِدَةِ إِلَّا تَهْنِئَةً غَيْرَهُ حَالًا
 أَعْظَمَ وَأَحْسَنُ مِنْهُ. وَقَدْ كَانَ غُلَمَانُهُ أَخَذُوا لَمَّا نَزَلْتُ إِلَى الدَّارِ مَالِي
 وَغُلَمَانِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارِ أُخْرَى. فَمَا أَطَافُوا مُمَانَعَتَهُمْ وَبَقِيَتْ
 وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةُ أَوْ سِتَّةُ غُلَمَانٍ وَقُوفٍ عَلَى رَأْسِي.

قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَإِنْ أَمْتَنَعَ مِنْ الشُّخُوصِ لَمْ أُطِقْ
 إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا يَمُنْ مَعِي وَلَا يَحْظُهُ إِلَّا أَنْ يُلْحِقَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ .
 وَجِزْتُ جَزْعًا شَدِيدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ اسْتِحْقَافُهُ وَتَهَاوُنُهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي
 بِأَسْمَى وَلَا يُفَكِّرُ فِي امْتِنَاعِي مِنَ الْأَكْلِ . وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ
 وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ
 يَدَيْهِ دَعَا بِالْخُجُورِ فَتَجَرَّ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَصَلَّى الظُّهْرَ وَكَثُرَ مِنَ الدُّعَاءِ
 وَالْإِبْتِهَالِ . وَرَأَيْتُ صَلَاتَهُ حَسَنَةً . فَلَمَّا أَتَمَّ مِنَ الْخُرَابِ أَقْبَلَ
 عَلَيَّ وَقَالَ : مَا أَقْلَمَكَ يَا مَنَارَةَ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَقَضَاهُ وَقَرَأَهُ . فَلَمَّا اسْتَمَّ قَرَأَهُ دَعَا أَوْلَادَهُ وَحَاشِيَتَهُ
 فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي . فَلَمَّا
 تَكَلَّمُوا أَبْتَدَأَ فَحَلَفَ أَيْمَانًا غَلِيظَةً فِيهَا الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالْحُجُّ
 وَالصَّدَقَةُ وَالْوَقْفُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ أُنْثَى فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَأَمَرَهُمْ
 أَنْ يَنْصَرَفُوا وَيَدْخُلُوا مَنَازِلَهُمْ وَلَا يَظْهَرُوا إِلَى أَنْ يُكْشَفَ لَهُمْ أَمْرٌ
 يَتَعَمَّدُونَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ
 أَقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً وَاحِدَةً . وَاسْتَوْصُوا بَيْنَ وَرَائِي مِنَ الْحَرِيمِ
 خَيْرًا . وَمَا لِي حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ . هَاتِ قِيُودَكَ يَا مَنَارَةَ .
 قَدَعَوْتُ بِهَا وَكَأَنْتَ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ يَدَهُ قَبْدَةً وَأَمَرْتُ عِلْمَانِي بِحِمْلِهِ
 حَتَّى صَارَ فِي الْحِمْلِ وَرَكِبْتُ فِي الشَّقِ الْأَخْرِ وَسِرْتُ مِنْ وَقْتِي . وَلَمْ
 أَلَاقِ أَمِيرَ الْبَلَدِ وَلَا غَيْرَهُ . وَسِرْتُ بِالرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَى أَنْ

صِرْنَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ . فَأَبْدَأُ يُحَدِّثُنِي بِأَنْبَسَاطٍ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ
حَسَنٍ فِي الْفُوطَةِ فَقَالَ لِي : أَتَرَى هَذَا . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : إِنَّهُ لِي .
وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . ثُمَّ أَتَنَهَى إِلَى آخِرٍ فَقَالَ
مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَنَهَى إِلَى مَزَارِعَ حَسَنٍ وَقُرَى فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ :
هَذَا لِي . فَأَشْتَدُّ غَيْظِي مِنْهُ . وَقُلْتُ : أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنْ أَنْتَرَعَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَمَالِكَ
وَوَلَدِكَ وَأَخْرَجَكَ قَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُولًا مَا تَذَرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ
أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ . وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هَذَا حَتَّى تَهْفُ
ضِيَاعَكَ وَبَسَاتِيكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتُكَ . وَأَنْتَ لَا تَتَفَكَّرُ فِيمَا جِئْتُ بِهِ .
وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ التَّفَكُّرِ لَعَدْتُكَ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا . فَقَالَ
لِي مُجِيبًا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . أَخْطَأْتُ فِرَاسَتِي فِيكَ . لَعَدْتُ
ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَمَلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَلْتَ مِنَ الْخُلُقَاءِ هَذَا الْحَلَّ
إِلَّا لِمَا عَرَفُوكَ . فَإِذَا عَمَلُكَ وَكَلَامُكَ يُشْبِهُ كَلَامَ الْعَوَامِ . وَاللَّهُ
أَلَسْتَمَانُ . أَمَا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِلَيَّ إِلَى
بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هَذِهِ فَلَا بِي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ
نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ . وَبَعْدُ
فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاجِيَتِي
سَرَّحَنِي مُكْرَمًا . فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِي .

وَتَقُولُوا عَلَى الْأَقَابِيلِ فَلَا يَسْتَعِيلُ دَمِي وَيُخْرِجُ مِنْ إِذْنَايَ وَإِذَا عَاجِي .
وَيُرْذِنِي مَكْرَمًا وَيُعَيِّنِي بِلَادِهِ مُعْظَمًا مِجْلًا . وَإِنْ كَانَ قَدْ سَبَوَ فِي
عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُو لِي مِنْهُ سُوءٌ وَقَدْ اقْتَرَبَ أَجَلِي وَكَانَ
سَفَكُ دَمِي عَلَى يَدِهِ . فَإِنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ الَّذِي خَاقَ وَرَزَقَ وَأَحْيَا
وَأَمَاتَ . وَإِنَّ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .
وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا فَإِذَا نَ قَدْ عَرَفْتَ مَبْلَغَ فَهْمِكَ .
فَإِنِّي لَا أَكَلِمَكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَأَتَيْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ التَّسْبِيحِ أَوْ
طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ حَتَّى شَارَقْنَا الْكُوفَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ بَعْدَ
الظُّهْرِ وَالتَّجِبُّ قَدْ اسْتَقْبَلَنِي قَبْلَ سِتَّةِ قَرَارِخٍ مِنَ الْكُوفَةِ بِمَجْسُورٍ
خَبْرِي . فَحِينَ رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِالْخَبَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَأَتَيْتُ إِلَى الْبَابِ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَحَطَّطَ رَحْلِي . وَدَخَلْتُ عَلَى
الرَّشِيدِ وَقَبِلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
يَا مَنَارَةَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْلُ مِنْهُ عَنْ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَسُتُّ الْحَدِيثَ مِنْ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى ذِكْرِ الْقَاكِمَةِ وَالطَّعَامِ وَالنَّسْلِ
وَالنَّجْوَرِ وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ نَفْسِي مِنْ أَمْتَاعِهِ . وَالنَّصَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَرَايِدُ . حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى قَرَارِخِ الْأُمُورِ مِنَ الصَّلَاةِ
وَالنِّفَاقِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمَبَادَرَتِهِ
إِلَى إِخْضَارِ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَافِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ

وَصَرَفَهُ إِيَّاهُمْ وَمَدَّ رَجْلَيْهِ فَقِيدَتْهُ . فَأَزَالَ وَجْهَ الرَّشِيدِ يُسْفِرُ . فَلَمَّا
 أَتَتْهُ إِلَى مَا خَاطَبَنِي بِهِ عِنْدَ قَوْمِي لَمَّا رَكِبْنَا فِي الْحَجَلِ قَالَ :
 صَدَقَ وَاللَّهِ . هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا تَحْسُودَ عَلَى النِّعْمَةِ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ .
 وَأَمْرِي أَهْدَى أَرْجَاهُ وَأَذْيَنُ وَرَعْنَا أَهْلَهُ . فَبَادَرُ بِشَرِّ قُودِهِ وَأَتَنِي
 بِهِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ وَزَعْتُ قُودَهُ وَأَدْخَلْتُهُ إِلَى الرَّشِيدِ . فَمَا هُوَ إِلَّا
 أَنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاةِ يُجُولُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ . فَدَنَا الْأُمُويُّ
 وَسَلَّمُ بِالْخِلَافَةِ وَوَقَفَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ .
 فَجَلَسَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَلَّغْنَا عَنْكَ
 فَضْلَ هَيْئَةٍ وَأُمُورُ أَحِبَّنَا مَعَهَا أَنْ تَرَكَ وَتَسْمَعَ كَلَامَكَ وَتُحْسِنَ إِلَيْكَ
 فَأَذْكُرْ مَا جِئْتَكَ . فَأَجَابَ الْأُمُويُّ جَوَابًا جَمِيلًا وَشَكَرَ وَدَعَانِ ثُمَّ قَالَ :
 لَيْسَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَةٌ فَمَا
 هِيَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رُدَّنِي إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي . قَالَ :
 نَفْعُ ذَلِكَ . وَلَكِنْ سَلْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَايِشِكَ
 فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا وَيَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا لَكَ مِنْ نَصِيفُونَ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتَ بِهِمْ عَنْ مَسْأَلَتِي . فَأُمُورِي
 مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَلَدِي بِالْعَدْلِ الشَّامِلِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ الْأُمْنِينَ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَنْصَرِفْ مُحْفُوظًا إِلَى بَلَدِكَ وَأَكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ
 عَرَضَ لَكَ . فَوَدَّعَهُ الْأُمُويُّ . فَلَمَّا وَلَّى خَارِجًا قَالَ الرَّشِيدُ : يَا مَنَارَةُ
 أَخْبِرِيهِ مِنْ وَقْتِكَ وَسِرِّهِ رَاجِعًا كَمَا سِيرْتَهُ حَتَّى إِذَا وَصَلَتْ إِلَى مَجْلِسِهِ

الَّذِي أَخَذَتْهُ مِنْهُ قَوْدَعُهُ وَأَنْصَرَفَ . قَالَ مَنَارَةُ : فَأَزَلْتُ مَعَهُ حَتَّى
 أَتَيْتُهُ إِلَى مَحَلِّهِ فَمَرِحْتُ بِهِ أَهْلَهُ وَأَعْطَانِي عَطَاءَ جَزِيلًا وَأَنْصَرَفْتُ
 (لِلْإِثْلَاقِ)

استقامة رجل اشكي عليه ظلماً

٣٣١ نَقَلَ عَنِ الرَّبِيعِ حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرِ الْمُتَّصِرِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 رَجُلًا أَحْضَرَ جَنَانًا وَلَا أَرْبَطَ جَاشَانٍ مِنْ رَجُلٍ رُفِعَ إِلَى الْمُتَّصِرِ عَلَى أَنْ
 عِنْدَهُ وَدَائِعُ وَأَمْوَالٌ لِبَنِي أُمِّيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ وَدَخَلْتُ
 بِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمُتَّصِرُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا خَبَرُ الْوَدَائِعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي
 عِنْدَكَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ فَأَخْرِجْهَا لَنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَارِثُ ابْنَتِ
 لِبَنِي أُمِّيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَأَنْتَ لَهُمْ وَصِيٌّ . قَالَ : لَا . فَقَالَ لَهُ
 الرَّجُلُ : إِذَا قَسَبَ سُؤَالُكَ عَمَّا فِي يَدَيَّ مِنْ ذَلِكَ . فَأَطْرَقَ
 الْمُتَّصِرُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ الرَّجُلُ : إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ ظَلَمُوا
 الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ وَأَنَا وَكَيْلُهُمْ فِي حَقِّهِمْ فَأُرِيدُ أَنْ أَخْذَ
 أَمْوَالَهُمْ وَأَجْعَلَهَا فِي بَيْتِ مَا لَهُمْ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَلْزَمُ فِي ذَلِكَ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ الْمَادِلَةِ عَلَى أَنْ الَّذِي فِي يَدَيَّ هُوَ لِبَنِي أُمِّيَّةَ
 وَأَنَّهُمْ خَانُوهُ وَظَلَمُوهُ وَاعْتَصَبُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ
 كَانُوا لَهُمْ أَمْوَالٌ غَيْرُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَعَادَ الْمُتَّصِرُ وَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ
 سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالثَّقَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ مَا وَجَبَ عَلَى
 الرَّجُلِ عِنْدَنَا شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ الْمُتَّصِرَ الثَّقَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَبَشَّرَهُ بِهِ

مُبْتَسِمًا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُفْعَلَ كِتَابِي عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي
الشَّامِ لِيَسْكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَأَعْنِي إِشْتَخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ
أَسْأَلَكَ حَاجَةً أُخْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ :
أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي عِنْدَهُ
قَوْلًا لِي مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمِّةٍ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدَيَّ مَالٌ وَلَا وَدِيعَةٌ وَلَا
فِي مَعْرِفَتِي أَنْ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئًا . وَلَكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُلْتُهُ أَقْرَبُ إِلَى الْخُلَاصِ وَالنَّجَاةِ . فَأَلْتَفْتُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رِبِيعُ اجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى
بِهِ . قَالَ الرِّبِيعُ : فَأَخَذْتُ الرَّجُلَ وَجَمَعْتُهُ بِالَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ
رَأَاهُ الرَّجُلُ قَالَ : هَذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ مِنْ مَالِي
وَأَبْقَى بِهَا مَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ ذَلِكَ هَدَّاهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ
بِتَعْدِيهِ . فَأَقْرَأَ عِنْدَ ذَلِكَ الْغُلَامُ بِصَدَقِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ .
وَأَنَّهُ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ وَأَبْقَى بِهِ . وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ
عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَأَلْتَفْتُ الْمَنْصُورُ إِلَى
الرَّجُلِ وَقَالَ : نَسَأُكَ الْصَّفْحَ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صَحَّحْتَ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتَ ذِمَّتَهُ مِنْ الْمَالِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ
دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ مِنَ الْكُرَمِ مَزِيدٌ .
فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا حَقُّ كَلَامِكَ . ثُمَّ أَسْتَأْذِنُ

وَأَنْصَرَفَ . وَكَانَ النَّصُورُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُهُ يُعْجَبُ وَيَقُولُ لِي :
مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ يَارَبِيعُ

(اللاتيدي)

غيلان بن سلمة عند كسرى

٣٣٧ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُونَ الْعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ .
فَلَمَّا سَارُوا لَا تَأْتِيَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا مِنْ مَسِيرِنَا هَذَا أَلَمَّا
خَطَرَ مَا قَدُمْنَا عَلَى مَلِكٍ جَبَّارٍ لَمْ يَأْذَنْ لَنَا فِي الْهُدُومِ عَلَيْهِ وَلَيْسَتْ
بِلَادُهُ لَنَا بِتُجْمِيرٍ . وَلَكِنْ أَتَيْكُمْ يَذْهَبُ بِالْعِيرِ فَإِنْ أُصِيبَ فَتَحْنُ بَرَاءً مِنْ
دَمِهِ وَإِنْ غَنِمَ فَلَهُ نِصْفُ الرِّبْحِ . فَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذَا
قَاتَا لَهَا . فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسْرَى تَخَلَّقَ وَلَيْسَ تَوْبَيْنِ أَصْفَرَيْنِ . وَشَهَرَ
أَمْرَهُ وَجَلَسَ بَابَ كِسْرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا شَبَابُكَ مِنْ
ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ التَّرْجَمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : مَا أَذْخَلَكَ
بِلَادِي بِغَيْرِ إِذْنِي . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : لَسْتُ مِنْ أَهْلِ عِدَاوَةِكَ وَلَا
أَتَيْتُكَ جَاسُوسًا لِضِدِّهِ مِنْ أَضْدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئْتُ بِتِجَارَةٍ لَسْتُ تَمْنَعُ بِهَا .
فَإِنْ أَرَدْتَهَا فَعَيَّ لَكَ . وَإِنْ لَمْ تُرِدْهَا وَأَذْنَتْ فِي بَيْنِي لِرِعِيَّتِكَ بِعْتَهَا .
وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ فِي ذَلِكَ رَدَدْتُهَا . قَالَ : فَإِنَّهُ لَيَتَكَلَّمُ . وَإِذَا سَمِعَ صَوْتَ
كِسْرَى سَجَدَ . فَقَالَ لَهُ التَّرْجَمَانُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : لَمْ تَسْجُدْ .
فَقَالَ : سَمِعْتُ صَوْتًا عَالِيًا حَيْثُ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْلُوصَ صَوْتُهُ إِجْلَالًا
لِلْمَلِكِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيَّ رَفَعَ الصَّوْتَ هُنَاكَ غَيْرُ الْمَلِكِ
فَسَجَدْتُ إِعْظَامًا لَهُ . قَالَ : فَاسْتَخَسَنَ كِسْرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرْقَةٍ

تُوضَعُ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أَتَى بِهَا رَأَى عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ قَوْضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ
فَأَسْتَجَبَ لَهُ كَسْرَى وَأَسْتَحَمَهُ . وَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : قُلْ لَهُ : إِنَّمَا بَعَثْنَا بِهَذِهِ
لِنَجْلِسَ عَلَيْهَا . قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَلَكِنِّي لَمَّا أُتَيْتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ
الْمَلِكِ فَلَمْ يَكُنْ حَقَّ صُورَتِهِ عَلَى مِثْلِي أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا . وَلَكِنْ كَانَ حَقُّهَا
الْتَقَطِيمَ قَوْضَعَهَا عَلَى رَأْسِي لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْصَرُهَا عَلَيَّ .
فَأَسْتَحَسَنَ فِعْلَهُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ
أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ . وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ . وَالْعَائِبُ
حَتَّى يَوُوبَ . فَقَالَ كَسْرَى : زَهْ . مَا أَدْخَلَكَ عَلَى وَدَّكَ عَلَى هَذَا
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ إِلَّا حَظُّكَ . فَمَهَذَا فِعْلُ الْحُكَمَاءِ وَكَلَامُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ
قَوْمٍ جُفَاءَ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ . فَمَا غِذَاؤُكَ . قَالَ : خُبْزُ الْبُرِّ . قَالَ : هَذَا
أَكْمَلُ مِنَ الْبُرِّ لَا مِنَ اللَّبَنِ وَالْتَمَرِ . ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ التِّجَارَةَ بِأَضْعَافِ
بَيْنَا وَكَسَادَ وَبَيْتَ مَعَهُ مِنَ الْفَرَسِ مِنْ بَنِي لَهُ أَطْمًا بِالطَّافِ فَكَانَ
أَوَّلَ أَتَائِهِ يُجِيبُ بِهَا

(للاصباحاني)

المؤمن ورثي البراءة

٣٣٣ قَالَ خَادِمُ الْمُؤْمِنِينَ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ
الْأَمَلِ ثَلَاثَةٌ . فَقَالَ لِي : خُذْ مَعَكَ فَلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَاهَا لِي أَحَدُهُمَا عَلَى
أَبْنِ مُحَمَّدٍ وَالْآخَرُ دِينَارُ الْخَادِمِ . وَأَذْهَبْ مُسْرِعًا لِمَا أَقُولُ لَكَ . فَإِنَّهُ
بَلَغَنِي أَنَّ شَيْخًا يَخْضَرُ لَيْلًا إِلَى أَنْ تَدُورَ الْبَرَامِكَةُ وَيَشْدُ شَعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ
ذِكْرًا كَثِيرًا وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَأَمَضَ أَنْتَ وَعَلَيَّ

وَدِينَارٌ حَتَّى تَرَوْا تِلْكَ الْحَرَابَاتِ فَاسْتَرَوْا حَلْفَ بَغْضِ الْجَدْرِ . فَإِذَا
رَأَيْتُمُ الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ أَيْيَانَا فَاتُونِي بِهِ . قَالَ :
فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْحَرَابَاتِ فَإِذَا نَحْنُ بِنَاحٍ قَدْ أَتَى وَمَعَهُ
بَسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ حَدِيدٌ . وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ مَهَابَةٌ
وَلُطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَتَحَبَّبُ وَيَقُولُ هَذِهِ
الْآيَاتُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ جَنَدَلَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَمِينِي
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأْسِفِي عَلَيْهِمْ وَقُلْتُ الْآنَ لَا نَنْفَعُ لَدُنِّيَا
مَعَ آيَاتِ أَطَالَهَا . فَلَمَّا فَرَغَ قَبْضًا عَلَيْهِ وَقَتْلَاهُ : أَجِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فَفَزَعَ فَرَمًا شَدِيدًا وَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أَوْصِيَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أَوْقِنُ
بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الدَّكَكَاكِينِ وَاسْتَفْتَعَ وَأَخَذَ وَرَقَةً
وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَسَلَّمَهَا إِلَى غُلَامِهِ . ثُمَّ سَرَّ نَا بِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ
يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ : مَنْ أَنْتَ وَبِمَا اسْتَوْجَبْتَ مِنْكَ
الْبَرَامِكَةُ مَا تَفْعَلُهُ فِي خَرَائِبِ دُورِهِمْ . قَالَ الشَّيْخُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ لِلْبَرَامِكَةِ أَيَادِي خَضِرَةَ عِنْدِي أَفْتَاذَنُ لِي أَنْ أَحْدِثَكَ بِحَالِي
مَعَهُمْ . قَالَ : قُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْمُنْدُرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ مِنْ
أَوْلَادِ الْمُلُوكِ . وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَرُولُ عَنْ الرِّجَالِ . فَلَمَّا
رَكِبَنِي الدِّينُ وَأَخْتَجْتُ إِلَى بَيْعِ مَا عَلَى رَأْسِي وَرُؤُوسِ أَهْلِي وَبَنِي
الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ فَخَرَجْتُ مِنْ

دِمَشْقَ وَمَعِيَ نَيْفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا
 يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ . حَتَّى دَخَلْنَا بَنْدَادَ وَزَلْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ .
 فَدَعَوْتُ بَعْضَ ثِيَابٍ كُنْتُ أَعْدَدْتُهَا لِأَسْتَرِ بِهَا فَلَيْسَتْهَا وَخَرَجْتُ
 وَزَكَّيْتُهُمْ جِياعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ . وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَنْدَادَ سَائِلًا عَنْ
 الْبَرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِي جَانِبِهِ شَيْخٌ بِأَحْسَنِ زِيٍّ
 وَزِينَةٍ . وَعَلَى أَلْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَامِعِ جَمَاعَةٌ جَاوِسٌ . فَطَلَعْتُ فِي
 الْقَوْمِ وَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَأَنَا أُقَدِّمُ رَجُلًا
 وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى . وَالْعَرَقُ يُسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ صَنَاعَتِي . وَإِذَا
 الْخَادِمُ قَدْ أَقْبَلَ وَدَعَا الْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ بَيْتِي بِنِ
 خَالِدٍ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا بَيْتِي جَالِسٌ عَلَى ذِكْرِهِ لَهُ وَسَطُ بُسْتَانٍ .
 فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يُعِدُّنَا مِائَةً وَوَاحِدًا . وَبَنَ يَدَيْهِ عَشْرَةً مِنْ وُلْدِهِ . وَإِذَا
 بِمِائَةٍ وَأَتَمَّا عَشَرَ خَادِمًا قَدْ أَقْبَلُوا وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِئْبَةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى
 كُلِّ صِئْبَةٍ أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيِ كُلِّ رَجُلٍ مِئَاتَ صِئْبَةٍ .
 فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ وَالْمَشَاحِيخَ يَضَعُونَ الدَّنَانِيرَ فِي أَكْثَامِهِمْ وَيَجْمَعُونَ
 الصَّوَانِي تَحْتَ أَبْطَالِهِمْ وَيَقُومُ الْأَوَّلُ فَلِأَوَّلٍ حَتَّى يَبْقِيَ وَحْدِي لَا
 أَجْسِرُ عَلَى اخْتِذِ الصِّئْبَةِ . فَقَمَزَنِي الْخَادِمُ فُجِسِرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ
 الذَّهَبَ فِي كُمِّي وَالصِّئْبَةَ فِي يَدِي . وَقَمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَأْتَتْ إِلَى
 وَرَائِي مَخَافَةً أَنْ أَمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ . فَوَصَلْتُ وَأَنَا كَذَلِكَ إِلَى
 صَحْنِ الدَّارِ وَبَيْتِي يَلَاظِنِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَتُنِينِي بِهَذَا الرَّجُلِ .

فَأَتَانِي . فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ تَلَفَّتَ عَيْنَا وَشِمَالَا . فَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي .
 فَقَالَ الْخَادِمُ : أَتُنِي بِوَلَدِي مُوسَى . فَأَتَاهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ هَذَا
 رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَاحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَنِعْمَتِكَ . فَبَضَرَ مُوسَى
 وَلَدَهُ عَلَى يَدَيَّ وَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِ . فَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ
 وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي فِي الدَّعِيشِ وَأَتَمَّ سُورُورٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا
 بِأَخِيهِ الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : أَلْوَزِيرُ أَمْرِي بِالْعَطْفِ عَلَى هَذَا أَلْفَتَنِي وَقَدْ
 عَلِمْتَ أَشْتَعَالِي فِي بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَفِضْهُ إِلَيْكَ وَأَكْرَمْهُ .
 فَفَعَلَ ذَلِكَ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ تَسَلَّمَنِي
 أَخُوهُ أَحْمَدُ . ثُمَّ لَمْ أُرَلْ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوُلُونِي عَلَى مَدَّةِ عَشْرَةِ
 أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَبَرَ عِيَالِي وَصِيبِي أَيْ الْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ .
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْخَادِمِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخُدَمِ .
 فَقَالُوا : قُمْ فَأَخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَأَوَيْلَاهُ سُلِيتُ
 الدَّانِيَرِ وَالصِّنِّيَّةِ وَأَخْرَجْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ .
 فَرَفَعَ السِّرَّ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ . فَلَمَّا رَفَعَ الْخَادِمُ
 السِّرَّ الْأَخِيرَ . قَالَ لِي : هَمَا كَانَ لَكَ مِنَ الْخَوَاصِ فَأَرْفَعُهَا إِلَيَّ .
 فَأَنِي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ السِّرَّ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ
 خُجْرَةً كَأَشْمَسٍ حُسْنًا وَنُورًا . وَاسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَائِحَةُ النَّدَى وَالْعُودِ
 وَنَفْحَاتُ الْمِسْكِ . وَإِذَا صِيبِيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالْدِيْبَاجِ
 وَحَمَلٌ إِلَيَّ مِائَةً أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشْرَةُ أَلْفِ دِينَارٍ . وَمَنْشُورًا بِضِعْمَتَيْنِ

وَتِلْكَ الصِّبْيَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّنَائِرِ وَالْبَنَادِقِ . وَاقْتُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ
النَّاسُ أَمِينَ الْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ وَنَزَلَ
بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَحَجَفَنِي عَمْرُو بْنُ مُسْعِدَةَ
وَأَلْزَمَنِي فِي هَاتَيْنِ الصِّعَتَيْنِ مِنَ الْخَرَجِ مَا لَا بَنِي دَخَلَهُمَا بِهِ . فَلَمَّا
تَحَامَلَ عَلَيَّ الدَّهْرُ كُنْتُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَابَاتِ دُورِهِمْ
فَأَنْدَبُهُمْ وَأَذْكُرُ حَسَنَ صُنْعِهِمْ إِلَيَّ وَأُنْكِي عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ
الْمَأْمُونُ : عَلَيَّ بِعَمْرُو بْنِ مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أَتَيْتُهُ بِهِ قَالَ لَهُ : تَعْرِفُ هَذَا
الرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ
الزَّمَنَةُ فِي صِنْعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدِّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَخَذَتْهُ
مِنْهُ فِي مُدَّتِهِ وَأَفْرِغْهَا لَهُ لِيَكُونَ لَهُ وَلِغِيهِ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : فَعَلَا
تَحِبُّ الرَّجُلَ . فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بَكَائِهِ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا قَدْ
أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَبْكِيكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ
الْبَرَامِكَةِ . لَوْ لَمْ أَتِ خَرَابَاتِهِمْ فَأَبْكِيهِمْ وَأَنْدَبُهُمْ حَتَّى أَتَّصَلَ خَبْرِي
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَمْنٍ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : فَرَأَيْتُ الْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ
وَوَضَعَ عَلَيْهِ خُرْنَهُ . وَقَالَ : لَعَنَرِي هَذَا مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ فَلَمَّ بِهِمْ
فَأَبَكَ وَإِيَاهُمْ فَأَشْكُرُ وَلَهُمْ قَاوِفٌ وَإِلَاحْسَانِهِمْ فَأَذْكُرُ (لِلتَلِيدِ)

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْفَكَاهَاتِ

٣٣٤ قَرَعَ قَوْمٌ عَلَى الْجَاحِظِ الْبَابَ فَخَرَجَ صَبِيٌّ لَهُ . فَسَأَلُوهُ مَا يَصْنَعُ .
فَقَالَ : هُوَذَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ . قِيلَ : كَيْفَ . قَالَ : نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ .
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَافَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي (لكمال الدين الحلبي)
٣٣٥ تَحَاكَمَ إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي الرَّشِيدِ وَزَيْدَةُ فِي الْفَالُودَجِ
وَاللُّوزِيجِ أَيُّهُمَا أَطْيَبُ . فَقَالَ : أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى الْعَنَائِبِ . فَأَمَرَ
بِاتِّخَاذِهَا وَتَقْدِيمِهَا إِلَيْهِ . فَعَمَلَ يَأْكُلُ مِنْ هَذِهِ مَرَّةً وَمِنْ ذَلِكَ أُخْرَى
حَتَّى نَصَفَ الْجَامَ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ أَعْدَلَ مِنْهَا
كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسْجَلَ لِأَحَدٍ أَدْلَى الْآخَرِ يُحِبُّهُ (للأبشيحي)

العائد والمريض

٣٣٦ مَرَضَ صَدِيقٌ لِحَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَأَرَادَ أَنْ يُفِذَ إِلَيْهِ ابْنَهُ
يَعُودُهُ . فَأَوْصَاهُ وَقَالَ : إِذَا احْتَلَتْ فَأَجْلِسْ فِي أَرْقَعِ الْمَوْضِعِ وَقُلْ
لِلْمَرِيضِ : مَا تَشْكُو . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا فَقُلْ : سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَقُلْ لَهُ : مَا يَجْعَلُكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . فَإِذَا قَالَ : فَلَانٌ . فَقُلْ : مُبَارَكُ
مَيْمُونٌ . وَقُلْ لَهُ : مَا غِذَاؤُكَ . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقُلْ : طَعَامٌ مَحْمُودٌ .
فَذَهَبَ الْإِبْنُ فَدَخَلَ عَلَى الْعَالِيلِ . وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنَارَةٌ فَجَلَسَ
عَلَيْهَا لِأَرْتِقَاعِهَا . فَسَقَطَتْ عَلَى صَدْرِ الْعَالِيلِ فَأَوْجَعَتْهُ . ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ

لِّلْمَلِئِ: مَا تَشْكُو . قَالَ صُحْبَرَةٌ : أَشْكُو عِلَّةَ الْمَوْتِ . قَالَ : سَلِمٌ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ يَحْيِيكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . قَالَ : مَلِكُ الْمَوْتِ .
 قَالَ : مُبَارَكُ مَيُوتٍ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُكَ . فَقَالَ : مِمُّ الْمَوْتِ . قَالَ :
 طَعَامُ طَيْبٍ تَحْمُودُ
 (لكمال الدين الحلبي)

الطبخ للفضل

٣٣٧ مِنْ ظَرِيفٍ مَا اتَّفَقَ لِأَيِّ الرِّقْمَقِ قَالَ : كَانَ لِي إِخْوَانُ
 أَرْبَعَةٌ وَكُنْتُ أَنَادُهُمْ فِي أَيَّامِ الْأَسْتَاذِ كَافُورٍ . فَأَتَى إِلَيَّ رَسُولُهُمْ فِي
 يَوْمٍ بَارِدٍ وَلَيْسَتْ لِي كَسْوَةٌ تُحَصِّنُنِي مِنَ الْبَرْدِ . فَقَالَ الرَّسُولُ :
 إِخْوَانُكَ يَفْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ لَكَ : أَصْطَبَحْنَا الْيَوْمَ
 وَذَبَحْنَا شَاةً سَمِينَةً فَأَشْتَهُ مَا تَطْبُخُهُ لَكَ وَأَتَيْنَا عَاجِلًا . فَكَبْتُ إِلَيْهِمْ :
 إِخْوَانُنَا قَصَدُوا الصُّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَيَّ خَصِيصًا
 قَالُوا اقْتَرَحَ شَيْئًا نَجِدُ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ أَطْبُخُوا لِي جَبَّةً وَقِصَا
 فَذَهَبَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِالرِّقْمَةِ . فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ
 خِلَعٍ وَأَرْبَعُ صُرَرٍ فِي كُلِّ صُرَّةٍ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ فَلَبِستُ إِحْدَاهَا وَسَرْتُ
 إِلَيْهِمْ

٣٣٨ وَحَكِي أَنَّهُ أَتَى بِرَجُلٍ مَدَنِيٍّ سَكَرَانَ إِلَى بَعْضِ الْوَلَاةِ فَأَمَرَ
 بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ طَوِيلًا وَالْجِلْدُ قَصِيرًا فَلَمَّ يَتَمَكَّنُ مِنْ
 ضَرْبِهِ . فَقَالَ الْجِلْدُ تَقَاصَّرَ لَنَا لَكَ الضَّرْبُ . فَقَالَ لَهُ : وَيَا لَكَ إِلَى
 أَكُلِ أَهْلُ الْوَدَجِ تَدْعُونِي . وَلَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ أَتَيْتُ أَطُولُ مِنْ عُوجِ

يَا سَيِّدِي تَطْمِيْ يُعَابُ بِنَثْرِكَا فَلَيْدَاكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكَا
 أَوْلَيْتَنِي فَضْلَا وَإِنِّي عَاجِزٌ مَا طَالَ غَمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكَا
 أَنَا فِي ضِيَاغَتِكَ الْعَشِيَّةُ كُلُّهَا فَأَجْمَلُ حِمَارِي فِي ضِيَاغَةِ مَهْرِكَا
 فَصَحَّكَ الرَّجُلُ . وَقَالَ : مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي . وَدَعَا بِكَلْبٍ
 لِلْحِمَارِ كَلَفَ الْمَهْرَ قَدَّمَ إِلَيْهِ (لَابَن خَلِكان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانٍ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ : تَقَدَّمْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 وَقَالُوا تَقَدَّمْ قُلْتَ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فَخَّارِي أَنْ تَحْطَمَا
 فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتَقَلَّتْ وَاحِدًا وَلَكِنَّهُ رَأْسُ إِذَا رَاحَ أَعْمَا
 وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى السُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَخْضِلْ بِأَنْ أَتَقَدِّمًا
 فَأَوْتِمَ أَوْلَادًا وَأَرْمِلَ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَزُونَ أَلْتَقَدِّمًا

ابو دلامة في بيت الدجاج

٣٤٥ كَانَ الْمُهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دُلَامَةَ سَاجًا فَأَخَذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ .
 فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ السَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُجْبَسَ فِي بَيْتِ
 الدَّجَاجِ . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دُلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى
 نَفْسَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ صَاحَ : يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ فَاسْتَجَابَ لَهُ السَّجَّانُ
 قَالَ : مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ . قَالَ : وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ :
 أَعْمَلُكَ الْحَيِثَّةُ . أَتَى بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانٌ . فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ
 سَاجِكَ وَجَبَسِكَ مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ أَرُقُبَ لِي سِرَاجًا
 وَجِئَنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ . فَكَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى الْمُهْدِيِّ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَكَتَ نَفْسِي عَلَامَ حُبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
 أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرِ ذَنْبٍ كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخُرَاجِ
 وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
 دَجَاجَاتُ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكَ يُبَادِي بِالصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي
 وَقَدْ كَانَتْ تُخَيِّرُنِي ذُنُوبِي بَأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
 عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقِيتُ شَرًّا لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ الشَّرِّ رَاجِي
 ثُمَّ قَالَ أَوْصِلْهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَوْصِلْهَا إِلَيْهِ السَّجَّانُ . فَلَمَّا قَرَأَهَا
 أَمْرًا بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ بَيْتُ آلِإِلَهِ أَبَا دُلَامَةَ . قَالَ :
 فِي بَيْتِ الدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ . قَالَ :
 كُنْتُ أَقْوِي مَعَهُ حَتَّى أَضَجْتُ . فَصَحَّكَ الْمُهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةِ
 حَزِيلَةٍ وَخَافَ عَلَيْهِ كُفُوءَةَ شَرِيفَةٍ

في أي الاثنين أغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قِيلَ إِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ
 يَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَيَتَرَفُّ أَلْيَنَ فِي مَشُورَتِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ
 وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ فَانْجَبَ بِنَفْسِهِ مُسْتَبِدًّا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ . فَحِيلَ لَهُ : إِنْ
 أَبَاكَ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ . فَقَالَ : كَلَنَ يَنْطَلُ فِيهِ وَسَاءَ مَخْنَةُ
 بِنَفْسِي . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهُمَا أَغْلَبَ عَلَى الرَّجُلِ الْأَدَبُ أَوْ
 الطَّبِيعَةُ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : الطَّبِيعَةُ أَغْلَبُ لِأَنَّهَا أَصْلُ وَالْأَدَبُ فُرْعٌ .
 وَكُلُّ فُرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ . فَقَدْ بَسُفَرْتَهُ فَلَمَّا وَضِعَتْ أَقْبَلَتْ سَنَانِيرُ

بِأَيْدِيهَا السَّمْعُ فَوَقَفَتْ حَوْلَ السُّفْرَةِ فَقَالَ لِلْوَزِيرِ : اُعْتَبِرْ خَطَأَكَ
وَضَعِفَ مَذْهَبُكَ مَتَى كَانَ أَبُو هَذِهِ السَّنَائِيرِ شَمَاعًا . فَسَكَتَ عَنْهُ
الْوَزِيرُ . وَقَالَ : أَهْلِي فِي الْجَوَابِ إِلَى الْآلِيَةِ الْمُفِيلَةِ . فَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ .
فَخَرَجَ الْوَزِيرُ فَدَعَا بَعْلَامَ لَهُ فَقَالَ : ائْتَسْ لِي قَارًا وَارْبِطْهُ فِي خَيْطِ
وَجْنِي بِهِ . فَأَتَاهُ بِهِ الْعَلَامُ فَمَقَّدَهُ فِي سِنِّيَّتِهِ وَطَرَحَهُ فِي كُمِهِ . ثُمَّ رَاحَ
مِنَ الْعَدَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا حَضَرَتْ سُفْرَتُهُ أَقْبَاتِ السَّنَائِيرِ بِالسَّمْعِ حَتَّى
حَفَّتْ بِهَا فَحَلَّ الْوَزِيرُ الْقَادِرَ مِنْ سِنِّيَّتِهِ ثُمَّ أَقْبَاهُ إِلَيْهَا . فَاسْتَبَقَتْ السَّنَائِيرُ
إِلَيْهِ وَرَمَتْ بِالسَّمْعِ حَتَّى كَادَ أَلَيْتُ يَضْطَرُّ نَارًا . فَقَالَ الْوَزِيرُ :
كَيْفَ رَأَيْتَ غَلَبَةَ الطَّبْعِ عَلَى الْأَدَبِ وَرُجُوعَ الْقَرَعَ إِلَى أَصْلِهِ . قَالَ :
صَدَقْتَ . وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ أَبُوهُ عَلَيْهِ مَعَهُ . فَإِنَّمَا مَدَارُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى
طَبْعِهِ وَالتَّكَلُّفُ مَذْمُومٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ

(لابن عبد ربه)

المستخبر عن وفاة أبيه

٣٤٧ بَيْنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَأْكُلُونَ عِنْدَهُ
حَيْثَانًا . إِذْ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ أَشْبُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنَّ مِنْ شَأْنِ أَشْبَ
الْبَسْطِ إِلَى أَجْلِ الطَّعَامِ . فَأَجْعَلُوا كِبَارَ هَذِهِ الْحَيْتَانِ فِي قَصْعَةٍ يَنْجِيَةٍ
وَيَا كُلُّ مَعْنَا الصِّغَارِ . فَفَعَلُوا وَأَذِنَ لَهُ . فَقَالُوا لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ
فِي الْحَيْتَانِ . فَقَالَ : إِنَّ لِي عَلَيْهَا حَرْدًا شَدِيدًا أَوْحَشًا لِأَنَّ أَبِي
مَاتَ فِي الْبَحْرِ وَأَكَلَتْهُ الْحَيْتَانُ . قَالُوا لَهُ : فَدُونَكَ خُذْ بَنَاتِ أَيْتِكَ .
فَجَلَسَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى حُوتٍ مِنْهَا صَغِيرٍ . ثُمَّ وَضَعَهُ عِنْدَ أُذُنِهِ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى

الْقَصَّةَ الَّتِي فِيهَا الْحَيَاتَانُ فِي زَاوِيَةِ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَتَذَرُونِ مَا يَقُولُ
لِي هَذَا الْحَوْتُ . قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَخْضُرْ مَوْتَ أَبِي .
وَلَا أَدْرَكَهُ لِأَنَّ سِنَّهُ يُصْفَرُ عَنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ قَالَ لِي : عَلَيْكَ يَا بَنِيَّ
الْكِبَارِ الَّتِي فِي زَاوِيَةِ الْيَتِ فِيهِ أَدْرَكَتْ أَبَاكَ وَأَكَلَتْهُ

الحب الاليم

٣٤٨ اضْطَحَبَ تَحْوِيٌّ وَرَجُلٌ فِي سَفَرٍ . فَمَرَضَ التَّحْوِيُّ . وَأَرَادَ الرَّجُلُ
أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ . فَأَرَادَ التَّحْوِيُّ أَنْ يُحْمِلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لَهُ :
قُلْ لِأَهْلِي . لَقَدْ أَصَابَهُ صَدْعٌ فِي رَأْسِهِ . وَيَلِي يَوْجِعُ أَضْرَاسِهِ . وَوَقَعَتْ
الْحُمَةُ فِي أَنْفَاسِهِ . وَقَدْ قَرَّتْ يَدَاهُ . وَتَوَرَّمَتْ رِجْلَاهُ . وَشَخَصَتْ
عَيْنَاهُ . وَأَنْحَلَتْ رُكْبَتَاهُ . وَأَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ظَهْرِهِ . وَضَرْبَانٌ فِي صَدْرِهِ .
وَهَزَالٌ فِي طَحَالِهِ . وَتَقَطَّعَ فِي أَوْصَالِهِ . وَخَفَّتَانٌ فِي قَلْبِهِ . وَالْأَمُّ فِي صُلْبِهِ
وَمَاءٌ فِي عَيْنِهِ . وَرِيحٌ فِي سَاقِيهِ . وَارْتِجَاءٌ فِي حَنَكِهِ . وَنَبْضَانٌ فِي
صَدْعِهِ . وَسُكُونٌ فِي نَبْضِهِ مِنْ تَوَاتُرِ غَشْيَانِهِ وَسَكَنَتِ فِي لِسَانِهِ .
قَالَ الرَّجُلُ : يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ أَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُطِيلَ الْكَلَامَ وَلَكِنْ
أَقُولُ لَهُمْ : مَاتَ وَالسَّلَامُ

البقرة العارفة

٣٤٩ حَكِيٌّ فِي الْإِحْيَاءِ أَنْ تَخْصِمَا كَانَتْ لَهُ بَقَرَةٌ وَكَانَ يَشُوبُ لَبَنَهَا
بِالْمَاءِ وَيَبِيعُهُ . فَجَاءَ السَّيْلُ فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ تَرْعَى فَمَرَّ
عَلَيْهَا فَفَرَّقَهَا . فَجَلَسَ صَاحِبُهَا لِيَنْدُبَهَا . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَنِيهِ : يَا أَبَتِ لَا

مُلُوكُهَا وَرَعِيَّتُهَا كَذَلِكَ حَتَّى تَصْرَ قُسْطَنْطِينُ وَحَمَلَهُمْ عَلَى دِينِ النَّصَارَى
 فَتَصَرُّوا عَلَى آخِرِهِمْ . وَمِنْ أُمَمِ النَّصَارَى (الْأَرْمَنِ) كَانُوا بِأَرْمِينِيَّةَ .
 وَقَاعِدَةُ مَمْلَكَتِهَا خِلَاطُ . وَلَمَّا مَلَكَتْهَا صَارُوا فِيهَا رَعِيَّةً . ثُمَّ تَقَلَّبُوا
 وَمَلَكَوا مَنَا طَرُسُوسَ وَالْمَصِيصَةَ وَبِلَادَ سِيسَ مَدِينَةٍ بِقَلْعَةٍ حَصِينَةٍ هِيَ
 كَرْبِي مُلْكِهِمْ فِي زَمَانِنَاهَذَا . وَمِنْهَا (الْكُرْجُ) بِلَادُهُمْ مُجَاوِرَةٌ لِبِلَادِ
 خِلَاطُ إِلَى الْخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِي . وَإِلَى تَحْوِ الشِّمَالِ . وَلَهُمْ جِبَالٌ
 مَنِيعَةٌ وَقَلْعٌ حَصِينٌ . وَأَغْلَابُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ . يَلِي مُلْكَهُمْ
 الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِالْوَرَاثَةِ . وَهُمْ خَلَقَ كَثِيرٌ فِي صَلَاحِ التَّنَازُلِ الْيَوْمَ .
 وَمِنْهَا (الْجُرْكَسُ) عَلَى شَرْقِي بَحْرِ نِيطُسَ فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ
 غَالِيَهُمْ نَصَارَى . وَمِنْهَا (الرُّوسُ) لَهُمْ جَزَائِرٌ فِي بَحْرِ نِيطُسَ وَبَحْرِ
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَهُمْ بِلَادٌ شِمَالِي الْبَحْرِ . وَمِنْهَا (الْبُلْغَارُ) نِسْبَةٌ إِلَى
 مَدِينَةٍ يَسْكُونُهَا شِمَالِي نِيطُسَ كَانَ غَالِيَهُمْ نَصَارَى فَاسْتَلَمَ بَعْضُهُمْ .
 وَمِنْهَا (الْأَلْمَانُ) أَكْبَرُ أُمَمِ النَّصَارَى غَرْبِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى الشِّمَالِ
 جُنُودُهُمْ كَثِيرَةٌ . قَصَدَ مَلِكُهُمْ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتَلَةً صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ
 أَيُّوبَ فَهَلَكَ هُوَ وَغَالِبُ عَسْكَرِهِ فِي الطَّرِيقِ . وَمِنْهَا (الْبِرْجَانُ) أُمَّةٌ
 بَلْ أُمَمٌ طَافِيَةٌ مُتَنَوِّلَةٌ . بِلَادُهُمْ مُتَوَعِّلَةٌ فِي الشِّمَالِ . سِيرُهُمْ مُنْقَطِعَةٌ
 لِعَدِيهِمْ عَنَّا وَجَفَاءُ طَبِيعِهِمْ . وَمِنْهَا (الْقَرْمُجُ) أُمَمٌ أَصْلُ بِلَادِهِمْ
 قَرْمُجَةٌ وَيُقَالُ قَرْنَسَةُ جَوَارِيزَةِ الْأَنْدَلُسِ شِمَالِيهَا يُقَالُ لِلْمَلِكِ
 الْقَرْنِيسِ . قَصَدَ دِيَارَ مِصْرَ وَأَخَذَ دِمْيَاطَ . ثُمَّ أَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ

وَأَسْتَقْدُوا دِمْيَاطَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَلِكِ صَالِحِ أَيُّوبَ بْنِ الْكَامِلِ .
 وَقَدْ غَلَبَ الْقَرْمُجُ عَلَى مُعْظَمِ الْأَنْدَلُسِ . وَلَهُمْ فِي بَحْرِ الرُّومِ جَزَائِرُ
 مَشْهُورَةٌ مِثْلُ صِفْلِيَّةٍ وَقَبْرُسَ وَأَفْرِيطُسَ . وَمِنْهُمْ (الْجَنُوبِيَّةُ) نِسْبَةً
 إِلَى جَنُودِ مَدِينَةِ عَظِيمَةٍ . وَبِلَادُهُمْ كَبِيرَةٌ غَرْبِيَّةُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى
 بَحْرِ الرُّومِ . وَمِنْهُمْ (الْبَنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُمُ الْبُنْدُيقَةُ عَلَى خَلِجٍ مِنْ بَحْرِ
 الرُّومِ تَمْتَدُّ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ مِيلٍ فِي جِهَةِ الشِّمَالِ وَالْقَرْبِ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ
 مِنْ جَنُودَ فِي الْبَرِّ . بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ (لَا بَنَ الْوَرْدِي)

ذكر اسم المنرد وتقاسيمهم وعواندهم

٣٨٠ أُمُّ الْهِنْدِ فِرْقٌ مِنْهُمْ (الْبَاسَوِيَّةُ) . زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ رَسُولًا مَلَكًا
 رُوحَانِيًّا زَلَّ صُورَةَ الْبَشَرِ أَمْرُهُمْ بِتَعْظِيمِ أَثَارِهَا وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِالطِّيبِ
 وَالذَّبَاحِ . وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقَتْلِ وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ النَّارِ . وَسَنَّ لَهُمْ أَنْ
 يَتَوَسَّعُوا بِحَيْطٍ يَفْقِدُونَهُ مِنْ مَنَاصِكِهِمْ الْأَيَّامِ إِلَى تَحْتِ شِمَائِلِهِمْ .
 وَعَظُمَ الْقَبْرُ وَأَمَرَ بِالسُّجُودِ لَهَا حَيْثُ رَأَوْهَا . وَمِنْهُمْ (الْبَهُودِيَّةُ)
 يَقُولُونَ : الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا صَنَعَ الْخَالِقِ فَلَا يَغْفِرُونَ شَيْئًا . وَيَقْلُدُونَ
 بِعِظَامِ النَّاسِ وَيَتَسَحَّوْنَ رُؤُسَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ بِالرَّمَادِ . وَمِنْهُمْ
 (عَبْدَةُ الثَّمَسِ وَعَبْدَةُ الْقَمَرِ) . وَمِنْهُمْ (عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ) وَهُمْ
 مُعْظَمُهُمْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ . وَأَشْكَالُ الْأَصْنَامِ مُخْتَلِفَةٌ . وَمِنْهُمْ
 (عِبَادُ الْمَاءِ الْجَلْمُ كِنِيَّةٌ) . يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَاءَ مَلِكٌ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ
 شَيْءٍ . إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ عِبَادَةَ الْمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ الْمَاءَ إِلَى وَسْطِهِ .

وَيَقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رِيَّاحِينَ يَقْطَعُهَا صَغَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ . وَهُوَ
يُسَبِّحُ وَيُحَمِّدُ . وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ حَرَّكَ الْمَاءَ بِيَدِهِ . ثُمَّ نَقَطَ مِنْهُ عَلَى
رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَتَجَدَّدَ وَانْصَرَفَ . وَمِنْهُمْ (عِبَادُ النَّارِ الْأَكْنَوَطِيَّةُ) .
عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَخْفِرُوا أَخْذُودًا مُرَبَّمًا وَيُوجِّجُوا بِهِ النَّارَ ثُمَّ لَا يَدْعُونَ طَعَامًا
لَذِيذًا وَلَا تَوْبًا فَآخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عَطْرًا فَانِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا
إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ النَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا . وَحَرَّمُوا إِهْلَاءَ النَّفُوسِ فِيهَا خِلَافًا
لِطَائِفَةٍ أُخْرَى . وَمِنْهُمْ (الْبَرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأَتْلُوكِ
وَالنُّجُومِ . مُخْتَلَفُ طَرِيقَتِهِمْ مُتَّجِعِي الرُّومِ وَالنَّجْمِ . لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ
بِاتِّصَالِ الثَّوَابِ دُونَ السَّيَّارَاتِ . يُعْظَمُونَ أَمْرَ الْفِكْرِ وَيَقُولُونَ :
هُوَ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْخُشُوسِ وَالْمَقُولِ . وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ الْفِكْرِ
عَنِ الْخُشُوسَاتِ لِتَجَرَّدِ الْفِكْرِ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذَلِكَ الْعَالَمُ .
فَرُبَّمَا يُخَيَّرُ عَنِ الْمَغِيبَاتِ (الشهرستاني)

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أَمَمِ الْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدٍ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ
سَنَةٍ . فَيَخْرُجُ أَهْلُ الْبَلَدِ جَمِيعًا مِنْ شَيْخٍ وَشَابٍ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى
صَحْرَاءَ خَارِجِ الْبَلَدِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ . فَيُنَادِي مُنَادِي الْمَلِكِ لَا
يَصْعَدُ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْمَيْدَ السَّابِقَ قَبْلَ هَذَا . فَرُبَّمَا جَاءَ
الشَّيْخُ الْهَرِمُ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوْ الْعَجُوزُ الشَّوْهَاءُ وَهِيَ
تَرْبُصُ مِنَ الْكَبِيرِ . فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَرُبَّمَا لَا
يَمُحِي أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذَلِكَ الْقَرْنُ بِأَسْرِهِ . فَمَنْ صَعِدَ عَلَى ذَلِكَ

التَّحْجِرِ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ : قَدْ حَضَرْتُ الْعِيدَ السَّابِقَ وَأَنَا طِفْلٌ
صَغِيرٌ وَكَانَ مَلِكُنَا فَلَانًا وَوَزِيرُنَا فَلَانًا . ثُمَّ صِيفُ الْأُمَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ
ذَلِكَ الْقَرْنِ كَيْفَ طَحَنَهُمُ الْمَوْتُ وَأَهْلَكَهُمُ الْبَلَاءُ وَصَارُوا تَحْتَ التُّرَى .
ثُمَّ يَوْمُ خُطْبَتِهِمْ فَيُعْطَى النَّاسَ وَيُذَكَّرُهُمْ بِالْمَوْتِ وَغُرُورِ الدُّنْيَا
وَيُنْقَلَبُ بِأَهْلِهَا . فَيَكْثُرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْبُكَاءُ وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّأْسُفُ
عَلَى صُدُورِ الذُّنُوبِ وَالنَّفْلَةِ عَنْ ذَهَابِ الْعُمُرِ . ثُمَّ يَتَوَبُّونَ وَيُكْثِرُونَ
الصَّدَقَاتِ وَيَخْرُجُونَ مِنَ التَّيَمَّاتِ (لبهاء الدين العاملي)

٣٨٢ وَمِنْ عَوَانِدِهِمْ فِي مَمْلَكَةِ بَلْهَرَا وَغَيْرِهِ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ مَنْ
يُحْرِقُ نَفْسَهُ بِالنَّارِ . وَذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ بِالتَّسْلُخِ وَتَمَكُّنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ
وَزَوَالِ الشَّكِّ فِيهِ عَنْهُمْ . وَفِي مُلُوكِهِمْ مَنْ إِذَا قَعَدَ لِلْمَلِكِ طُجَّحَ لَهُ أَرُزٌّ
ثُمَّ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى وَرَقِ الْمُوزِ . وَيَتَنَدَّبُ مِنْ أَصْحَابِهِ الثَّلَاثِمَانَةَ
وَالْأَرْبَعِمِائَةَ بِاخْتِيَارِهِمْ لَا أَنْفُسِهِمْ لَا بِإِكْرَاهٍ مِنَ الْمَلِكِ لَهُمْ . فَيُعْطِيهِمْ
الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ الْأَرُزِّ بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ . وَيَتَعَرَّبُ رَجُلٌ رَجُلًا
مِنْهُمْ فَيَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا فَيَأْكُلُهُ . فَيَلْزَمُ كُلٌّ مِنْ أَكْلٍ مِنْ هَذَا
الْأَرُزِّ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ أَوْ قُتِلَ أَنْ يَحْرِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّارِ عَنْ آخِرِهِمْ فِي
الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ وَلَا
أُذُنٌ . وَإِذَا عَزَمَ الرَّجُلُ عَلَى إِحْرَاقِ نَفْسِهِ صَارَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ فَاسْتَأْذَنَ .
ثُمَّ دَارَى فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ أُجِجَتْ لَهُ النَّارُ فِي حَطَبٍ جَزَلٍ كَثِيرٍ . عَلَيْهَا
رِجَالٌ يَفْعَلُونَ بِإِمَادَةٍ حَتَّى تَصِيرَ كَالْعَمِيقِ حَرَارَةً وَأَتْبَاعًا . ثُمَّ يَمْدُو

وَبَيْنَ يَدَيْهِ الصُّنُوجُ دَارًا فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ اخْتَوَشَهُ أَهْلُهُ وَذَوُو قُرَابَتِهِ . وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلًا مِنَ الرِّيحَانِ يَمْلَأُهُ جَرًّا وَيَصُبُّ عَلَيْهِ السَّنْدُوسُ وَهُوَ مَعَ النَّارِ كَالنَّفْطِ . وَيَمْشِي وَهَامَتُهُ تَحْتَرِقُ وَرَوَانِجُ لَحْمِ رَأْسِهِ تَفُوحُ وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي مِشْيَتِهِ . وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ جَزَعٌ حَتَّى يَأْتِيَ النَّارَ فَيَقْبُ فِيهَا فَيَصِيرُ رَمَادًا . فَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرَادَ دُخُولَ النَّارِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَخَذَ الْخَنْجَرَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ فَوَادِهِ فَشَقَّهُ بِيَدِهِ . ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى فَنَبَضَ عَلَى كَبِدِهِ فَجَذَبَ مِنْهَا مَا تَنَبَّأَ لَهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ . ثُمَّ قَطَعَ بِالْخَنْجَرِ مِنْهَا قِطْعَةً فَدَفَعَهَا إِلَى أَخِيهِ أَسْتِهَانَةً بِالْمَوْتِ . وَصَبَرَ عَلَى الْأَلَمِ ثُمَّ رَجَعَ بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمُ الْقِمَارُ بِالْذِّبْكَ وَالزَّرْدُ وَالْذِّبْكَ عَنْدهُمْ عَظِيمَةُ الْأَجْسَامِ وَافِرَةُ الصَّيَاصِي . يَسْتَعْمِلُونَ لَهَا مِنْ الْخَنْجَرِ الصِّغَارِ الْمُرْهَقَةِ مَا يُشَدُّ عَلَى صِيَاصِيهَا ثُمَّ تُرْسَلُ . وَقِمَارُهُمْ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَرْضِينَ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَيَبْلُغُ الذِّبْكَ الْغَالِبُ جُمْلَةً مِنَ الذَّهَبِ (مروج الذهب للسعودي)

نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ إِنْ عَاصِمَةُ مُلْكِ السُّودَانِ تُسَمَّى بِالْغَالِيَةِ وَيَكْتَنِيهَا الْخُدَائِقُ وَالْمَسَاكِينُ وَيَبْنَاءُ بُيُوتَهُمْ بِالْحِجَارَةِ وَخَشَبِ السَّنْطِ . وَلِلْمَلِكِ قَصْرٌ وَقَبَابٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِذَلِكَ كُلُّهُ حَاطِطٌ كَالسُّورِ . وَحَوْلَ مَدِينَةِ الْمَلِكِ غَابَاتٌ وَشَعْرَاءُ يَسْكُنُ فِيهَا سَحَرَتُهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ دِينَهُمْ . وَفِيهَا

ذَكَاءُ كَبِيرُهُمْ وَقُبُورُ مُلُوكِهِمْ . وَلِلْمَلِكِ أَلْفَابَاتُ حَرَسٍ وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا
 دُخُولَهَا وَلَا مَعْرِفَةَ مَا فِيهَا . وَهُنَاكَ تُجْبُونَ الْمَلِكَ فَإِذَا تَجَنَّ فِيهَا أَحَدًا
 أُنْقَطِعَ عَنِ النَّاسِ خَبْرُهُ . وَزَاجِمَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ صَاحِبُ
 يَنْتِ مَالِهِ وَأَكْثَرُ وَزَرَائِهِ . وَلَا يَلْبَسُ الْخَيْطَ مِنْ أَهْلِ دِينِ الْمَلِكِ غَيْرُهُ
 وَغَيْرُ وَلِيِّ عَهْدِهِ . وَيَلْبَسُ سَائِرُ النَّاسِ مَلَا حِفَ الْقَطْنِ وَالْحَرِيرِ
 وَالذَّبْيَاجِ عَلَى قَدَرِ أَحْوَالِهِمْ . وَهُمْ أَجْمَعٌ يَخْلُقُونَ لِحَاهِمُ . وَمَلِكُهُمْ يَخْلَى
 بِحِلْيَةِ النِّسَاءِ فِي الشُّقِّ وَالذَّرَاعَيْنِ . وَيَجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ الطَّرَاطِيرَ الْمُنْهَبَةَ
 عَلَيْهَا عِمَامَتُ الْقَطْنِ الرَّفِيعَةِ . وَهُوَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَالْأَظْلَامِ فِي قُبَّةٍ .
 وَيَكُونُ حَوْلِي الْقُبَّةِ عَشْرَةُ أَفْرَاسٍ يَنْتَابُ مُذْهَبَةً . وَوَرَاءَ الْمَلِكِ
 عَشْرَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَخْلُقُونَ الْحُجَفَ وَالسُّيُوفَ الْحَلَلَةَ بِالذَّهَبِ . وَعَنْ
 يَمِينِهِ أَوْلَادُ مُلُوكٍ بَلَدِهِ قَدْ ضَفَرُوا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الذَّهَبَ وَطَلَبَهُمُ
 الْقِيَابُ الرَّفِيعَةُ . وَوَالِي الْمَدِينَةِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ جَالِسٌ فِي الْأَرْضِ
 وَحَوْلِيهِ الْوُزَرَ . وَعَلَى بَابِ أَلْفَةِ كِلَابٍ مَسُوبَةٌ لَا تَكَادُ تُفَارِقُ
 مَوْضِعَ الْمَلِكِ تَحْرُسُهُ . فِي أَعْنَاقِهَا سَوَاجِيرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَكُونُ فِي
 السَّاجُورِ عَدَدُ رِمَانَاتِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ . وَهُمْ يُنْذِرُونَ بِجُلُوسِهِ بِطَبَلٍ
 وَهُوَ خَشَبَةٌ طَوِيلَةٌ مَمْفُورَةٌ فَيُخْتِمُ النَّاسُ . فَإِذَا دَنَا أَهْلُ دِينِهِ مِنْهُ
 جَسَّوْا عَلَى رُكْبِهِمْ وَنَثَرُوا التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَتَكَرَّرَ تَحِيَّاتُهُمْ لَهُ .
 وَدَيَاتُهُمُ الْحُجُوسِيَّةُ وَعِبَادَةُ الدُّكَاكِيرِ وَإِذَا مَاتَ مَلِكُهُمْ عَقَدُوا لَهُ
 قُبَّةً عَظِيمَةً مِنْ خَشَبِ السَّاجِ وَوَضَعُوهَا فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ . ثُمَّ أَتَوْا بِهِ

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلٍ الْقُرْشُ وَالْوَطَاءُ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ . وَوَضَعُوا مَعَهُ
حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَيْتَهُ الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ . وَأَدْخَلُوا فِيهَا
الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رَجُلًا يَمِينُ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ . وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ الْقُبَّةِ الْخَصِرَ وَالْأَمْتَةَ .
ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَرَدَمُوا فَوْقَهَا بِالتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَالْجَبَلِ الصَّخْمِ . ثُمَّ
يُخْنَدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَهُمْ
يَذُبُّونَ لِمَوَاتِهِمُ الذَّبَابِ وَيَقْرَبُونَ لَهُمُ الْخَمْرَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خُصَّت به كل بلدة

٣٨٤ يُقَالُ: أَقَاعِي سِجِسْتَانَ . وَتَمَائِنُ مِصْرَ . وَذُبَابُ تَلِّ قَافِلٍ .
وَأَوْرُغِيَّةَ . وَيُقَالُ: رُودُ الْيَمِينِ . وَقِبَاطِي مِصْرَ . وَدِبَاجُ الرُّومِ . وَخَزُّ
السُّوسِ . وَحَرِيرُ الصِّينِ . وَمِلْحُ مَرَوْ . وَأَكْسِيَّةُ فَارِسَ . وَحُلُّ
أَصْبَهَانَ . وَسَقْلَاطُونِي بَغْدَادَ . وَعَمَائِمُ الْأَبْلَةِ . وَيُقَالُ: سِنَجَابُ خِرَازِيهِ .
وَتَمُورُ بَلْقَارَ . وَتَمَائِبُ الْحَزَرِ . وَفَنَّاكَ كَاشْفَرِ . وَحَوَاصِلُ هَرَاةَ . وَفَاقُمُ
الْتَرُغُزِ . وَيُقَالُ: عِثَاقُ الْبَلَدِيَّةِ . وَتَجَابِبُ الْحِجَازِ . وَحَمِيرُ مِصْرَ .
وَرِزْدِينُ طَخَارِيسْتَانَ . وَيُقَالُ رَذَعَةٌ . وَيُقَالُ: سَكْرُ الْأَهْوَازِ . وَعَسَلُ
أَصْفَهَانَ . وَقَصَبُ مِصْرَ . وَدِيسُ أَرْجَانَ . وَرُطْبُ الْعِرَاقِ . وَعُنَابُ
جُرْجَانَ . وَتَمْرُ كِرْمَانَ . وَإِجَاصُ بُسْتِ . وَسَفَرَجُلُ نَيْسَابُورَ . وَتَقَّاحُ
الْشَّامِ . وَمَشْمِشُ طُوسَ . وَكُثْرَى نِهَاوَنْدَ . وَنَارَنْجُ الْبَصْرَةِ . وَفَشُوشُ

هَرَاةَ . وَأَنْزَجُ طَبْرِسْتَانَ . وَتَيْنُ حُلَوَانَ . وَعَنْبُ بَنْدَادَ . وَمَوْزُ أَلْيَيْنَ .
 وَوَرْدُ جُورَ . وَنِيلُوفُ شُرَوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمٍّ . وَتَمْرُ حِثَاءِ مَكَّةَ . وَيُقَالُ :
 طَلَوَاعِينَ الشَّامِ . وَطَحَالُ الْبَحْرَيْنِ . وَحَمَى خَيْرَ . وَدَمَامِلُ الْجَزِيرَةِ .
 وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَرَسَامُ الْإِرَاقِ . وَقُرُوحُ بَلْخَ . وَالنَّارُ
 الْقَارِيسِيَّةُ . وَيُقَالُ : شِتَاءُ أَرَمِيَّةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ .
 وَزَلْزَالُ الدَّيْلِ . وَيُقَالُ : شُقْرَةُ الرُّومِ . وَسَوَادُ الزَّنْجِ . وَغَلْظُ التُّرْكِ .
 وَجَفَاءُ الْحُتْلِ . وَدَمَامَةُ الصِّينِ . وَلَطَاقَةُ بَنْدَادَ . وَفَصْرُ يَأْجُوجَ . وَطُولُ
 مَا جُوجَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبِلَادَةُ الشَّامِ . وَحَمَاقَةُ الْجَبَشِ . وَيُقَالُ :
 رُطْبُ ثَوْتٍ . وَرَمَانُ بَابَةِ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَسَمَكُ كِيَهَكَ . وَلَبَنُ
 رَمَاهَاتٍ . وَنَبَقُ بَشْتَسَ (*) (الكز المدفون)

(*) ومن قبيل تفرد البلاد تفرد الناس . قال الصَّفْدِيُّ : جماعة رُزِقُوا السَّعَادَةَ فِي أَشْيَاءَ لَمْ
 يَأْتِ بِعَدَمٍ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ . عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَضَاءِ . أَبُو حَبِيبَةَ فِي الْأَمَانَةِ . أَبُو ذَرٍّ فِي صَدَقِ
 اللُّهْجَةِ . أَبِي بْنُ كَبٍّ فِي الْقُرْآنِ . زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الْفَرَائِضِ . ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .
 الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي التَّذَكِيرِ . وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ فِي الْقِصَصِ . ابْنُ سِيدْرِ بْنِ التَّمِيمِ . نَافِعُ فِي
 الْقِرَاءَةِ . أَبُو حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ قِيَاسًا . ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمَنَازِي . مُقَاتِلُ فِي التَّوِيلِ . ابْنُ الْكَلْبِيِّ
 الصَّغِيرُ فِي النَّسَبِ . أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي الْأَخْبَارِ . مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي حُلُومِ الْأَثَرِ .
 الْحَلِيلُ فِي الْعَرُوضِ . الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي الْعِبَادَةِ . مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي الْعِلْمِ . الشَّافِعِيُّ فِي فِقْهِ
 الْحَدِيثِ . أَبُو حَبِيبَةَ فِي الْغَرِيبِ . عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ فِي مِثْلِ الْحَدِيثِ . يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي الرِّجَالِ .
 أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي السُّنَنِ . الْجُبَارِيُّ فِي فَقْدِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ . الْجُنَيْدُ فِي التَّصَوُّفِ . مُحَمَّدُ بْنُ
 نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ فِي الْإِخْتِلَافِ . الْحَيَّاتِيُّ فِي الْإِعْتِمَالِ . الْأَشْعَرِيُّ فِي الْكَلَامِ . أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ
 فِي الْعَوَالِي . عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَرْحَامِ النَّاسِ إِلَيْهِ . ابْنُ مَنَدَةَ فِي سَمَةِ الرِّجَالِ . أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فِي
 مَرَمَةِ الْخَطَابَةِ . سَيِّدُوهُ فِي الْغَوِي . أَبُو الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ فِي الْكَذِبِ . أَيَّاسُ فِي التَّفَرُّسِ . عَبْدِ الْحَمِيدِ
 فِي الْكِتَابَةِ . أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ فِي حُلَاةِ الْعَمَةِ وَالْحَزَمِ . الْمُوصِلِيُّ فِي التَّدِيمِ فِي الْقَضَاءِ . أَبُو الْفَرَجِ

العقق السارق

٣٨٥ حَدَّثَ حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ
عَقَقْتُ قَدْ رَبَيْتُهُ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ . فَسَرَقَ خَاتَمَ يَاقُوتٍ
كَانَ أَبِي وَضَعَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ
غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَيْرٍ . فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي
دَارِنَا إِذْ أَبْصَرْتُ الْعَقَقَ قَدْ بَشَّرَ تَرَابًا . فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ مِنْهُ وَلَعِبَ
بِهِ طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ فِيهِ وَدَقَّهُ . فَأَخَذْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي فَسَرَّ بِذَلِكَ
وَقَالَ يَهْجُو الْعَقَقَ :

الأصبهاني صاحب الألفاظ في الحاضرة . أبو معشر في النجوم . الرازي في الطب . الفضل بن
يحيى في الجود . جعفر بن يحيى في التوقيع . ابن زيدون في سعة العبارة . ابن القرية في البلاغة .
الحافظ في الأدب والبيان . الحريري في المقامات . البديع الحمذاني في الحفظ . أبو نواس في
الطبايات والعزل . ابن ججاج في سمف الألفاظ . المتني في الحكيم والأمثال شعراً . أبو معشر
في تعاطي العربية . الأسدي في الجدل . جرير في الهجاء الحديث . حماد الراوية في شعر العرب .
معاوية في الحلم . المأمون في حب الصفو . عمر بن العاص في الدعاء . الوليد في شرب الخمر .
أبو موسى الأشعري في سلامة الباطن . عطاء السلي في الخوف من الله . ابن البواب في الكتابة .
القاضي الفاضل في التمثل . العباد الكاتب في الحيناس . ابن الجوزي في الوعظ . أشعب في
الطبع . أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء . ومعرفته وتفسيره . حنين بن إسحاق في ترجمة
اليوناني إلى العربي . ثابت بن قررة في تحذیب ما قيل من الرياضي إلى العربي . ابن سينا في الفلسفة
وعلوم الأوائل . الإمام فخر الدين في الاصلاح على العلوم . السيف الآمدي في التحقيق . التصبر
الطوسي في الجسطي . ابن العيشم في الرياضي . نجم الدين الكاتبي في المطلق . أبو العلا المعري في
الاصلاح على اللغة . أبو العيلاء في الأجوبة المسكتة . مزيد في الجمل القاضي أحمد بن أبي دَرَادٍ في
المروءة وحسن التقاضي . ابن المعتز في التشبيه . ابن الرومي في التظهير . الصولي في الشطرنج . أبو
محمد الغزالي في الجمع بين المتقول والمفعول . أبو الوليد بن رشد في تخلص كتب الاقدمين
الفلسفية والطبية . يحيى الدين بن عربي في التصوف (لهاء الدين)

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الثَّمَرِ
طَوِيلُ الذَّنَابِ قَصِيرُ الْجَنَاحِ مَتَى مَا يَجِدْ غَفْلَةً يَسْرِقِ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زَيْتٍ
(الاعناني)

قصة أصحاب الكهف (٢٥١)

٣٨٦ كَانَ لِلرُّومِ مَلِكٌ أَسْمُهُ دِفْيَا نُوسُ (دِيسوس) وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
وَيَدْبَحُ لِلطَّوَاغِيتِ. وَكَانَ يَنْزِلُ فَرَى الرُّومَ وَلَا يَتْرُكُ فِيهَا أَحَدًا مُؤْمِنًا
إِلَّا قَتَلَهُ حَتَّى يَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. فَزَلَّ يَوْمًا مَدِينَةُ أَصْحَابِ الْكُهْفِ وَهِيَ
أَفْسُوسُ وَكَانَ فِيهَا بَقَايَا عَلَى دِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ. فَهَرَبَ
مِنْهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ. وَكَانَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اتَّخَذَ شُرْطَةً مِنَ الْكُفَّارِ
مِنْ أَهْلِهَا يَتَّبِعُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي أَمَاكِنِهِمْ. فَمَنْ وَقَعَ بِهِ الْمَلِكُ خَيْرُهُ
بَيْنَ الْقَتْلِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْغَبُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْبَى فَيُقْتَلُ.
ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسَادِهِمْ أَنْ تُعَلَّقَ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ
فَأَتَّفَقَ أَنْ سَبْعَةَ فِتْيَانٍ مِنْ أَوْلَادِ الْبَطَارِقَةِ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ
خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِيَنْظُرُوا إِلَى الْمُعَذِّبِينَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ. فَفَتَحَ اللَّهُ
أَبْصَارَهُمْ فَكَانُوا يَرَوْنَ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ هَبَطَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ
السَّمَاءِ وَعَرَّجُوا بِرُوحِهِ فَأَمَّنُوا. فَضَرَعُوا إِلَى اللَّهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: رَبَّنَا
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا.
اللَّهُمَّ اكْشِفْ عَنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْقِتَّةَ وَأَدْفَعْ أَلْبَاءَ وَالْعَمَّ عَنْ

الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ . فَيَنبَأُ هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ الشَّرْطَةُ وَكَانُوا قَدْ
 دَخَلُوا فِي مَصَلَّى لَهُمْ فَوَجَدُوهُمْ سَاجِدُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَتَكَبَّرُونَ
 وَيَضْرَعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ
 تَعْبُدُوا إِلَهَنَا فَأَخْتَارُوا إِمَّا أَنْ تَذْجَبُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ . فَقَالَ
 مَكْسَلِمِينَ وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ : إِنْ لَنَا إِلَهًا مَلَائِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَظَمَتُهُ
 لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا . أَمَّا الطَّوَانِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ تَعْبُدَهَا أَبَدًا
 فَأَصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ فَتَزَعَ مِنْهُمْ الْمُبُوسُ الَّذِي
 كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ لُبُوسٍ عَظَمَتِهِمْ وَقَالَ : إِنْ قَعَلْتُمْ مَا قَعَلْتُمْ فَإِنِّي
 سَأُخَرِّكُمْ وَأَفْرِغُ لَكُمْ وَأَتَجَرِّكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ
 أُعْجَلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَاكُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَا نُكُمْ . فَلَا أُجِبُ أَنْ
 أَهْلَكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَكَّرُونَ فِيهِ وَتَرَا جُؤُنَ عُمُولِكُمْ ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ . وَأَنْطَلَقَ دِقْيَا نُوسُ إِلَى مَدِينَةِ سَوَى
 مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ

فَلَمَّا عَلِمَ الْقَتِيلَةُ أَنَّ دِقْيَا نُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمْ انْتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ
 كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَرَدُّوْا بِمَا
 بَقِيَ . ثُمَّ يَطْلُقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَمْكُونُ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ
 اللَّهَ تَعَالَى . حَتَّى إِذَا جَاءَ دِقْيَا نُوسُ أَتَوْهُ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ
 مَا شَاءَ . فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى الْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتَى
 مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَمْلِيحًا . فَكَانَ يَتَّبِعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ

مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ لَيْسَ ثِيَابَ الْمَسَاكِينِ
 وَاشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ . فَلَبِثُوا كَذَلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ
 أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ يَطْلُبُهُمْ . فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ
 يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ . فَوَقَفَ
 الْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَهْفِ فَيُسَدَّ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطَشًا . وَقَدَّوْنِي اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ وَفَاةَ النَّوْمِ . ثُمَّ عَمَدَ
 رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ الْمَلِكِ فَكَتَبَا شَأْنَ الْقِتِيَّةِ وَأَسْمَاءَهُمْ
 وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقِيمٍ . وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَاهُ فِي
 الْبَيْتَانِ . وَنَامُوا ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَأَزْدَادُوا نِسَاءً وَاقْتَمَدَهُمُ الْمَلِكُ . قَالَ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَلَكَ أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ
 تَاوَدُوسِيُوسُ . وَتَحَزَّبَ النَّاسُ فِي مُلْكِهِ أَخْرَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيَعْلَمُ أَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْذِبُ . فَخَزَنَ خُزْنًا شَدِيدًا لِمَا رَأَى
 أَهْلَ الْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيُظْهِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ . وَيَقُولُونَ : لَا حَيَاةَ
 إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ
 ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَانَ الرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ الْقِتِيَّةَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ . وَبِجَمَاعَتِهِمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . فَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ
 حَظِيرَةً لِنَفْسِهِ . فَاسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا تِلْكَ الْأَشْجَارَ وَيَبْنِيَانِ
 بِهَا تِلْكَ الْحَظِيرَةَ . حَتَّى فَرَّغَ مَا عَلَى فَمِ الْكَهْفِ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ

أَلْبَابَ أَذِنَ اللَّهُ ذُو الْمُدْرَةِ وَالْمُظْمَةِ وَالسُّلْطَانِ نُحْيِي الْمَوْتَى أَنْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ . فَجَلَسُوا فَرَحِينَ مُسْتَبْشِرَةً وَجُوهَهُمْ طَيِّبَةٌ أَنْفُسُهُمْ . فَسَلَّمَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . حَتَّى كَانُوا اسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
 يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمُ الَّتِي يَبْتَثُونَ فِيهَا . ثُمَّ قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ فَصَلُّوا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَبْشَارِهِمْ
 وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ . إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا . وَهُمْ يَرَوْنَ
 أَنَّ مَلَكَهُمْ دِقْيَاوُسَ الْجَبَّارِ فِي طَلَبِهِمْ . فَلَمَّا فَضُّوا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ
 مَكْسَلِمُنَا : يَا إِخْوَانَاهُ أَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ
 إِذَا دَعَاكُمْ غَدَا . ثُمَّ قَالَ تَمْلِيخًا : انْطَلِقْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاسْمَعْ مَا يَقُولُهُ
 النَّاسُ فِي شَأْنِنَا . فَتَلَطَّفَ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَابْتَغِ لَنَا طَعَامًا وَأَتَانَا
 بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَنَا الْجُوعُ . فَأَخَذَ تَمْلِيخًا أَلْيَابَ الَّتِي كَانَ يَتَكْرَّمُ فِيهَا وَأَخَذَ
 وَرَقًا مِنْ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمُ الَّتِي ضَرَبَتْ بِطَاعِ دِقْيَاوُسَ .
 فَأَنْطَلَقَ تَمْلِيخًا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ الْكَهْفِ رَأَى الْحِجَارَةَ مَزْرُوعَةً عَنْ
 بَابِ الْكَهْفِ . فَعَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ فَلَمْ يُبَالِ بِهَا . حَتَّى أَتَى بَابَ الْمَدِينَةِ
 مُسْتَحْفِيًا يَصُدُّ عَنْ الطَّرِيقِ مُخَوِّفًا مَنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَعَرَفَهُ
 فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دِقْيَاوُسَ الْجَبَّارِ . وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دِقْيَاوُسَ وَأَهْلَهُ قَدْ
 هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِينَ سَنَةً . فَلَمَّا رَأَى تَمْلِيخًا بَابَ الْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ
 فَرَأَى فَوْقَ ظَهْرِ أَلْبَابِ عِلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِيْمَانِ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَجِبَ
 وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَحْفِيًا . فَظَرَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرِ أَحَدًا مِنْ يَفْرِفُهُ .

ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ الْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذَلِكَ.
فَجَعَلَ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِأَلَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا . وَرَأَى نَاسًا
كَثِيرِينَ مُخَدِّثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ . فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَتَعَجَّبُ
مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانٌ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي
أَتَى مِنْهُ . فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيِّلُ وَيَقُولُ : يَا لَيْتَ شِعْرِي
أَمَا هَذِهِ عَشِيَّةُ أَمْسٍ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يُخْتَمُونَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ وَيَسْتَحْتَمُونَ
بِهَا . فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لَعَلِّي حَالِمٌ . ثُمَّ بَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ
كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرَانِي سُوِّهَا فَيَسْمَعُ نَاسًا
كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ . ثُمَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ . فَرَأَاهُ عَجَبًا وَرَأَى كَأَنَّهُ
حَيْرَانٌ . فَقَامَ مُسْتَدًا ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدُرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَقُولُ فِي
نَفْسِهِ : مَا أَدْرِي مَا هَذَا أَمَا عَشِيَّةُ أَمْسٍ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ إِلَّا قَتَلَ . وَأَمَّا الْعُدَّةُ فَاسْمَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ
يَذْكُرُ أَمْرَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ هَذِهِ
لَيْسَتْ الْمَدِينَةُ الَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمِعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ .
مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتِنَا ثُمَّ قَامَ كَالْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهًا . ثُمَّ
لَقِيَ فَتًى مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ : يَا فَتَى مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ :
أَفْسُوسُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ بِي مَسَاءٌ أَوْ أَمْرًا أَذْهَبَ عَلَيَّ . ثُمَّ إِنَّهُ
أَفَاقَ فَقَالَ : لَوْ عَجَلْتُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُفْطَنَ بِي لَكَانَ

أَكْبَسَ بِي . قَدْ نَا مِنَ الَّذِينَ يَبْعُونَ الطَّعَامَ تَأْخَرَجَ الْوَرَقَ الَّتِي كَانَتْ
 مَهْ فَأَعْطَاهَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بَيْنِي بِهَذِهِ الْوَرَقِ طَعَامًا .
 فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ وَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِ الْوَرَقِ وَنَفْسَهَا وَعَجِبَ مِنْهَا . ثُمَّ
 طَرَحَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَارَحُونَهَا بَيْنَهُمْ
 مِنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَهُمْ يَحْبُونَ مِنْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِ
 وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَصَابَ كَثْرًا خَيْرًا فِي الْأَرْضِ
 مِنْذُ زَمَانٍ وَدَمَرِ طَوِيلٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِ فَرَّقَ
 شَدِيدًا وَحَزَنَ حُزْنًا عَظِيمًا . وَجَعَلَ يَدْعُو وَيُظَنُّ أَنَّهُمْ قَطَنُوا بِهِ
 وَعَرَفُوهُ . وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى مَلِكِهِمْ دَقْيَانُوسَ . وَجَعَلَ أَنَاسٌ
 آخَرُونَ يَأْتُونَهُ فَيَتَعَرَّفُونَهُ . فَقَالَ لَهُمْ : وَهُوَ شَدِيدُ الْفَرَقِ أَقْضُو
 حَاجَتِي فَقَدْ أَخَذْتُمْ وَرَقِي وَإِلَّا فَأَمْسِكُوا طَعَامَكُمْ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . فَقَالُوا
 لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا قَتِي وَمَا شَأْنُكَ . إِنَّكَ لَقَدْ وَجَدْتَ كَثْرًا مِنْ كُنُوزِ
 الْأَوَّلِينَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُخْفِيَ عَنْنَا فَأَنْطَلِقْ مَعَنَا وَشَارِكْنَا فِيهِ يَخْفُ
 عَلَيْكَ مَا وَجَدْتَ . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَأْتِي بِكَ السُّلْطَانُ فَيُسَلِّمُكَ إِلَيْنَا
 فَيَقْتُلُكَ . فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ عَجِبَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : قَدْ وَقَفْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 أَحَدٌ مِنْهُ . ثُمَّ قَالُوا : يَا قَتِي إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُنَّ شَيْنًا وَجَدْتَهُ وَلَا
 تَقْنُ فِي نَفْسِكَ أَنْ تُسَخِّفِي عَلَيْكَ . فَجَعَلَ تَمَلِّحًا لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ وَمَا
 يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَفَرَّقَ حَتَّى مَا يَجِيرُ إِلَيْهِمْ جَوَابًا . فَلَمَّا رَأَوْهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَخَذُوا
 كِسَاءَهُ فَطَوَّقُوهُ فِي عُنُقِهِ . ثُمَّ جَعَلُوا يَقُودُونَهُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ مُكْبَلًا

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا . فَقِيلَ : أَخِذْ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَثْرٌ . وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ : مَا هَذَا
 أَتَى مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَيْنَاهُ فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ . فَجَعَلَ تَلْمِيحًا
 مَا يَذَرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا سَمِعَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
 فَرَّقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّم . وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدَّقْ .
 وَكَانَ مُسْتَفْتًا أَنْ أَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ بِالْمَدِينَةِ . وَأَنْ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُ إِذَا سَمِعُوا . وَقَدْ اسْتَفْتَى أَنَّهُ عَشِيَّةَ
 أَمْسٍ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا
 فَيَنِمُّ هُوَ قَائِمٌ كَالْحَيْرَانِ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا
 أَبُوهُ أَوْ بَعْضُ إِخْوَتِهِ فَيُخَلِّصُهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذْ اخْتَطَفُوهُ فَأَنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى
 رَئِيسِ الْمَدِينَةِ وَمُدِيرِهَا الَّذِي يُدِيرُ أُمُورَهَا . وَهِيَ رَجُلَانِ صَالِحَانِ
 اسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرُ إِصْطَقُوسُ . فَلَمَّا أَنْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهِمَا ظَنَّ
 تَلْمِيحًا أَنَّمَا يُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى دِقْيَاثُوسَ الْجَبَّارِ مُلْكِهِمُ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ .
 فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يَسْخَرُونَ بِهِ كَمَا يَسْخَرُونَ مِنَ
 الْأَجْنُونِ وَالْحَيْرَانِ . وَجَعَلَ تَلْمِيحًا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :
 اللَّهُمَّ إِلَهَ السَّمَاءِ وَإِلَهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْجِ مَعِيَ رَوْحًا
 مِنْكَ تُوَيِّدُنِي بِهِ عِنْدَ هَذَا الْجَبَّارِ . وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
 فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَيْتُ وَأَيْنَ يَذْهَبُ بِي .
 قَالُوا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ قِيَاثُونِي فَتَقُومُ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الْجَبَّارِ . قَالَا كُنَّا

رَاضِعًا لَنَكُونَنَّ مَعًا لَا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَلَا نَعْبُدُ الطَّاغُوتَ مِن دُونِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ . فُورِقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَمْ أَرَهُمْ وَلَمْ يَرَوْني . وَقَدْ كُنَّا تَوَاقِفًا أَن
لَا تَهْتَرِقَ فِي حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ أَبَدًا . يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ بِي
أَقَاتِلِي أَمْ لَا

ثُمَّ أَتَتْهُ بِهٖ إِلَى الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ أَرْمُوسَ وَإِصْطَفُوسَ فَلَمَّا
رَأَى تَمْلِيحًا أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِهٖ إِلَى دِقْيَا نُوسَ أَفَاقَ وَسَكَنَ عَنْهُ الْبُكَاءُ
فَأَخَذَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ الْوَرَقَ فَنَظَرَا إِلَيْهَا وَعَجَبَا مِنْهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَيُّنَ الْكَثَرِ الَّذِي وَجَدْتَهُ يَا قَتِي . هَذَا الْوَرَقُ يُشْهَدُ عَلَيْكَ
أَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ كَثَرًا . فَحَالَ لَهُ تَمْلِيحًا : مَا وَجَدْتُ كَثَرًا وَلَكِنْ هَذَا
الْوَرَقُ وَرَقُ آبَائِي وَنَفْسُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَضَرْبُهَا . وَلَكِنِّي مَا أَذْرِي
مَا أَقُولُ لَكُمْ . قَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ أَنْتِ . فَحَالَ لَهُ تَمْلِيحًا : أَمَّا مَا أَرَى فَإِنِّي
كُنْتُ أَرَى أَيُّ مَنِ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَحَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ يَرِفُكَ
بِهَا . فَأَتَبَّأَهُمْ بِأَسْمِ أَبِيهِ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَرِفُهُ وَلَا أَبَاهُ . فَحَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَنْتِ رَجُلٌ كَذَّابٌ لَا تُخْبِرُ بِالْحَقِّ . فَلَمْ يَذَرِ تَمْلِيحًا مَا يَقُولُ
لَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ نَكَسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ . فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَوْلَهُ : هَذَا
الرَّجُلُ يَجُنُّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ يَجُنُّ وَلَكِنَّهُ يُحَقِّقُ نَفْسَهُ عَمْدًا
لِكِي يُفْلِتَ مِنْكُمْ . فَحَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرًا شَدِيدًا : أَتَظُنُّ أَنَا
رُسُلُكَ وَنَصَدَقْتُكَ أَنَّ هَذَا مَالُ أَبِيكَ . وَلِنَفْسِ هَذِهِ الْوَرَقِ وَضَرْبِهَا
أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . وَأَنْتِ غَلَامٌ شَابٌ تَظُنُّ أَنَّكَ تَأْفِكُنَا وَتَسْخَرُ

بَنَّا وَنَحْنُ نُنْشِطُ كَمَا تَرَى . وَحَوْلَكَ سَرَاةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَوَلَاةُ أَمْرِهَا
 وَخَزَائِنُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ بِأَيْدِينَا . وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ دِرْهَمٌ
 وَلَا دِينَارٌ . وَإِنِّي لَأُظَنِّي سَأَمُرُّ بِكَ فَتَضْرِبُ وَتُعَذِّبُ عَذَابًا شَدِيدًا
 ثُمَّ أَوْثِقَكَ حَتَّى يُقَرَّ بِهَذَا الْكُذْبِ الَّذِي وَجَدْتُ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ
 لَهُ تَعْلِيخًا : أَنْبِئُونِي عَنْ شَيْءٍ أَسَأَ لَكُمْ عَنْهُ فَإِنْ فَعَلْتُمْ صَدَقْتُكُمْ مَا
 عِنْدِي . قَالُوا : سَلْ لَا نَكْثُكَ شَيْئًا . قَالَ : فَمَا فَعَلَ الْمَلِكُ دِقْيَانُوسَ .
 فَقَالُوا لَهُ : لَيْسَ نَعْرِفُ الْيَوْمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَلِكًا يُسَمَّى دِقْيَانُوسَ .
 وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَلِكًا قَدْ هَلَكَ مِنْذُ زَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ وَقَدْ هَلَكْتَ بَعْدَهُ
 فُرُونٌ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُمْ تَعْلِيخًا : قَوْلَ اللَّهِ مَا يُصَدِّقُنِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَا
 أَقُولُ . لَقَدْ كُنَّا فِتْنَةَ الْمَلِكِ وَإِنَّا أَكْرَهْنَا عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ وَالذَّبْحِ
 لِلطَّوَاغِيتِ . فَهَرَبْنَا مِنْهُ عَشِيَّةَ أَمْسٍ فَنَمْنَا . فَلَمَّا أَتَيْنَاهَا خَرَجْتُ
 لِأَشْتَرِيَ لِأَصْحَابِي طَعَامًا وَأَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَنَا كَمَا تَرَوْنَ .
 فَأَنْطَلَقُوا مَعِيَ إِلَى الْكَهْفِ الَّذِي فِي جَبَلٍ مَنَعْلُوسٍ أُرَكُمُ أَصْحَابِي .
 فَلَمَّا سَمِعَ أَرْمُوسُ وَإِسْطَقُوسُ مَا يَقُولُ تَعْلِيخًا قَالَا : يَا قَوْمُ لِمَ هَذِهِ
 آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ عَلَى يَدَيِ هَذَا الْهَتَى .
 فَأَنْطَلَقُوا بِنَا مَعَهُ بِرُتْنَا أَصْحَابَهُ كَمَا قَالَ . فَأَنْطَلَقَ مَعَهُ أَرْمُوسُ وَإِسْطَقُوسُ
 وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ كَثِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ نَحْوَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ
 لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ

وَلَمَّا رَأَى الْهَتَى أَصْحَابُ الْكَهْفِ تَعْلِيخًا قَدْ أُحْبِسَ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ

وَشَرَّاهُمْ عَنِ الْقَدَرِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ظَنُّوْا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ . فَيَنَامُ هُمْ يَظُنُّونَ ذَلِكَ
 وَيَتَخَوُّوْنَهُ إِذْ سَمِعُوا الْأَصْوَاتَ وَجَلَبَةَ الْخَيْلِ مُصْعِدَةً نَحْوَهُمْ . فَظَنُّوْا
 أَنَّهُمْ رُسُلُ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِيُؤْتِيَ بِهِمْ . فَتَأَمَّلُوا حِينَ سَمِعُوا
 ذَلِكَ إِلَى الصَّلَاةِ وَسَلَّمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَقَالُوا : أَنْطَلِقُوا بَنَاتِي إِلَى
 أَخِينَا تَمْلِيحًا فَإِنَّهُ الْآنَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ يَنْتَظِرُ مَتَى تَأْتِيهِ .
 فَيَنَامُ هُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْكَهْفِ فَلَمْ يَرَوْا
 إِلَّا أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ وَقَوْمًا وَقُوفًا عَلَى بَابِ الْكَهْفِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ
 تَمْلِيحًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا رَأَوْهُ يَبْكِي بَكَوْا مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ
 عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبْرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْمَسْئَلَةَ . فَعَرَفُوا عِنْدَ ذَلِكَ
 أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ذَلِكَ الزَّمَانُ كُلُّهُ . وَإِنَّمَا أَوْقَظُوا
 لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ وَتَصْدِيقًا لِلْبَيْتِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى آثَرِ تَمْلِيحًا أَرْمُوسُ فَرَأَى تَابُوتًا مِنْ نُحَاسٍ
 مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ . فَتَقَامَ بِبَابِ الْكَهْفِ وَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُظَمَاءِ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفَتَحَ التَّابُوتَ عِنْدَهُمْ . فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ مِنْ رَصَاصٍ
 مَكْتُوبًا فِيهِمَا إِنْ مَكْسَلَمِينَا وَتَمْلِيحًا وَمَرْتُوكُشَ وَتَوَالِسَ وَسَانِيُوسَ
 وَبَطْنِيُوسَ وَكَشْفُوطَ (٥) كَانُوا قَتِيلَةً هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ

(٥) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة أسماءهم هكذا كسيمياسوس و لوكوس ومرتيايوسوس

وديويسيسوس ويوحنا وسرايوس وقسططيسوس

الْجَبَّارِ عَاقِفَةً أَنْ يَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ قَدْ خَلَوْا فِي هَذَا الْكَهْفِ . فَلَمَّا أَخْبَرَ
 بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِهَذَا الْكَهْفِ قَسَدًا عَلَيْهِمْ بِالْحِجَارَةِ . وَإِنَّا كَتَبْنَا شَأْنَهُمْ
 وَخَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ مَنْ بَعْدَهُمْ إِنْ عَثَرَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا قَرَّوْهُ عَجَبُوا وَحَمَدُوا
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةَ الْبَيْتِ فِيهِمْ . ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِحَمْدِ
 اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ . ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى الْقَيْتَةِ الْكَهْفِ فَوَجَدُوهُمْ جُلُوسًا بَيْنَ
 ظَهْرَانِيَّةٍ وَوُجُوهِهِمْ مُشْرِقَةً وَلَمْ تَبَلَّ ثِيَابُهُمْ . فَخَرَّ أَرْمُوسُ وَأَصْحَابُهُ
 مُسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى وَحَمَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ . ثُمَّ كَلَّمَ
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَنْبَأَهُمُ الْقَيْتَةُ عَنِ الَّذِي لَقُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دَقْيَانُوسَ
 الْجَبَّارِ . ثُمَّ إِنَّ أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ بَعَثُوا يَرِيدًا إِلَى مَلِكِهِمُ الصَّالِحِ
 تَاوَدُوسِيُوسَ أَنْ يَعْجَلَ لَعَلَّكَ تَنْظُرُ إِلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَهَا
 اللَّهُ آيَةً عَلَى مُلْكِكَ . وَجَعَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ نُورًا وَضِيَاءً
 وَتَصْدِيقًا بِالْبَيْتِ . فَأَعْجَلَ عَلَى قَيْتَةٍ بَعْثَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ قَدْ تَوَفَّاهُمْ مِنْذُ
 أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . فَلَمَّا آتَى الْمَلِكُ الْخَبْرَ قَامَ مِنَ السُّدَّةِ الَّتِي
 كَانَ عَلَيْهَا وَذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ . وَقَالَ : أَحْمَدُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْبُدُكَ وَأَسْجُدُ لَكَ . تَطَوَّلْتُ عَلَى وَرَهِدِي
 بِرَحْمَتِكَ فَلَمْ تُطْنِي النَّورَ الَّذِي كُنْتَ جَعَلْتَهُ لِابْنَائِي
 فَلَمَّا أَنْبَأَنِي بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَكِبُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَعِدُوا
 نَحْوَ الْكَهْفِ وَأَتَوْهُ فَلَمَّا رَأَى الْقَيْتَةَ تَاوَدُوسِيُوسَ فَرِحُوا بِهِ وَخَرُوا
 مُسْجِدًا عَلَى وَجُوهِهِمْ . وَقَامَ تَاوَدُوسِيُوسَ قُدَّامَهُمْ ثُمَّ اعْتَقَهُمْ وَبَكَى .

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُحَمِّدُونَهُ.
 ثُمَّ قَالَ الْفَتْنَةُ لِنَاوَدُوسِيُوسَ: لَسْتُ دَعَاكَ اللَّهُ وَهَرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ
 حَفَظَكَ اللَّهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنَعَيْدَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ.
 فَيَتَنَا الْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَنَامُوا وَتَوَفَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ.
 وَقَامَ الْمَلِكُ فَجَمَلَ ثِيَابُهُ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ
 ذَهَبٍ. فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي الْمَسَامِ وَقَالُوا: إِنَّا لَمْ نَخْلُقْ مِنْ
 ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلَكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ. فَأَثَرُكُمَا
 كَمَا كُنَّا فِي الْكَهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللَّهُ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ حَبِثْدَ
 بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فَعَمَلُوا فِيهِ. وَحَجَّجَهُمُ اللَّهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ
 بِالرُّعْبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ. وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَعَمَلَ عَلَى بَابِ
 الْكَهْفِ مَسْجِدًا يُصَلِّي فِيهِ. وَجَمَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (للدهري)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٨٧ السَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الَّتِي بِهَا قَوَامُهُ وَنِظَامُهُ لِأَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى لَمْ يَجْمَعْ مَنَافِعَ الدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ.
 وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ.

وَحَاسِنُ الْأَثَارِ . مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا . وَيُفِيدُهُ قَهْمًا . يُدْرَةِ اللَّهُ وَحْكَمَتِهِ .
 وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ . وَيُسْمِعُ أَلْجَابَ . وَيَكْسِبُ التَّجَارِبَ .
 وَيَفْتَحُ الْمَذَاهِبَ . وَيَجْلِبُ الْمَكَايِبَ . وَيَشُدُّ الْأَبْدَانَ . وَيَشْطِطُ
 الْكَسْلَانَ . وَيُسْلِي الْأَحْزَانَ . وَيَطْرُدُ الْأَسْقَامَ . وَيُشْفِي الطُّعَامَ .
 وَيُحِطُّ سُورَةَ الْكَبِيرِ . وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِ الذِّكْرِ . وَقَالَ حَاتِمُ طَيِّبٍ :
 إِذَا لَزِمَ النَّاسُ النَّيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ الْأَخْبَارِ خَرَقَ الْمَكَايِبَ
 ٣٨٨ وَفِي الْمُنْبَجِحِ : مَنْ أَثَرَ السَّفَرَ عَلَى الْفُجُودِ . فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَمُودَ
 مُورِقُ الْفُجُودِ . وَرَبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظُّفْرِ . وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ
 الْوَطْرِ . وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَلْبُ جَوَالٍ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَائِيضٍ (لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

تَرَبَّ عَنْ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
 تَفْرُجُ هَمَّ وَأَكْتَثَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ
 فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَخَنَةٌ وَقَطَعَ الْقِيَامِي وَآرَ تَكَابُ الشَّدَائِدِ
 فَمَوْتُ الْقَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقَامِهِ يَدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ
 ٣٨٩ قَالَ الْمُأْمُونُ : لَا شَيْءَ أَلْذَمَ مِنَ السَّفَرِ فِي كِهَانَةٍ لِأَنَّكَ تَحُلُّ
 كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَلَّةٍ لَمْ تَحُلْهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ . وَفِي كِتَابِ
 الْفَتَنِ : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَبْلُ الْرَغَائِبَ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 لَا يَمْنَعُكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَا مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
 تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وَقَالَ أَيْضًا:

يَلَادُ اللَّهُ وَاسِعَةً فَضَاءَ وَرَزَقُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا فَسِيحُ
قُلُوبَ الْقَاعِدِينَ عَلَى هَوَانٍ إِذَا ضَافَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيحُوا
قَالَ غَيْرُهُ:

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ الزَّمَانِ مُقَامُ حُرٍّ عَلَى هَوَانٍ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعِنُهُ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَمَانٍ
وَلِنْ نَبَا مَنْزِلٍ بِحَرٍّ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
قَالَ آخَرُ:

سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضًا عَنْ تَفَارِقِهِ
وَأَنْصَبَ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ
مَمْرَةٌ فَأَنْزَلِكِ الْأَوْطَانَ وَأَعْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُسَدُّهُ
فَإِنْ جَرَى طَابَ أَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أَقُولُ مِنْهُ مَا نَظَرْتُ
إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنٌ مُرْتَبِ
وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ النَّعَابِ مَا قَتَصَتْ
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يَصِبِ
وَالْتَبَرُ كَالْتَّبَرِ مُلْقَى فِي أَمَاكِكِهِ

وَالْمُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَبْلُو إِلَى رَبِّ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا أَهْلًا : إِنَّكَ
تَدْخُلُ بِلَدٍّ لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فَحَسَّكَ بِوَصِيَّتِي تَنْفِقُ بِهَا فِيهِ .
عَلَيْكَ بِنِظَافَةِ الْبِرَّةِ فَإِنَّهَا تُبْنِي عَنِ النَّشْوِ فِي النِّعَمَةِ . وَالْأَدَبِ
الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ الْحُبَّةَ . وَلَكِنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ
فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ . وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إِنْ
اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْقَطَاطَةِ اجْتَنَبْتَ الْحَسَاسَةَ . وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْعَلَايَةِ
لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِيُّ :

لَنْ تَنْقَلُتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتُ بَعْدَ نَوَاءِ رَهْنِ أَسْفَارٍ
فَالْحُرُورُ غَزِيذُ النَّفْسِ حَيْثُ نَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بَرَجٍ ذَاتُ أَنْوَارٍ
٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ ابْنَهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تُجَاوِزُ
الْغُرَبَاءَ . وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ . وَلَمَّا لَكَ لَا تَلْقَ غَيْرَ الْأَعْدَاءِ . فَخَالِطِ
النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ . وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَايَةِ وَالسَّرِّ . وَمِثْلُ بِنَفْسِكَ
مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَأَعْمَلْ بِهِ . وَمَا اسْتَحْجَبْتَ مِنْ غَيْرِكَ
فَاجْتَنِبْهُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ

(القيرواني)

ذم السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْغَرِيبُ كَالْفَرَسِ الَّذِي زَالِمَ أَرْضَهُ

وَقَدْ شَرِبَهُ هُوَ ذَاوِ لَا يُزْهِرُ. وَذَابِلُ لَا يُثْمِرُ. وَيُقَالُ: الْغَرِيبُ
كَالْوَحْشِ الثَّانِي عَنْ وَطَنِ هُوَ كُلُّ رَامٍ رَمِيَتْ وَلِكُلِّ سَبْعٍ فَرَسَةٌ.
وَقَالَ آخَرُ: الْغَرِيبُ كَالْتِيمِ الْكُتَيْمِ الَّذِي تَكِلُ أَبُوَيْهِ فَلَا أُمَّ تَرَامُهُ
وَلَا أَبَ يَرَأْفُ بِهِ. وَيُقَالُ: عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ فِي
غُرْبَتِكَ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا نَفْسُ وَتَحْكِ فِي الْغُرْبِ ذِلَّةً فَنَجْرِي كَأَسِ الْأَذَى وَهَوَانِ
وَإِذَا نَزَلَتْ بِدَارِ قَوْمٍ دَارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الْأَوْطَانِ
قَالَ الطَّرِيفِيُّ:

أَرَى وَطَنِي كَعُشٍّ لِي وَكَئِنْ أَسَافِرُ عَنْهُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وَلَوْلَا أَنْ كَسَبَ الْقَوْتُ قَرْضُ لَمَّا بَرِحَ الْفِرَاحُ مِنَ الْعِشَاشِ
(لِلْمَقْدِسِيِّ)

سفر ابن بطرقة الى القسطنطينية (١٣٣٤)

٣٩٣ رَغِبَتِ الْخَتَّائُونُ بَيْلُونُ ابْنَةُ مَلِكِ الرُّومِ مِنَ السُّلْطَانِ أُوْرْبَكَ
زَوْجَهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا. فَسَافَرْنَا فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَوَالٍ فِي
صُحْبَةِ الْخَتَّائُونِ بَيْلُونُ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا. وَرَحَلَ السُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا
مَرَحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَالْمَلِكَةُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ. وَسَافَرَ سَائِرُ الْخَوَاتِينِ فِي
صُحْبَتِهَا مَرَحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ. وَسَافَرَ صُحْبَتِهَا الْأَمِيرُ بَيْدَرَةُ فِي خَمْسَةِ
آلَافٍ مِنْ عَسْكَرِهِ. وَكَانَ عَسْكَرُ الْخَتَّائُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ.
مِنْهُمْ خُدَّاءُهَا مِنَ الْمَالِيكِ وَالرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَالْبَاقُونَ مِنَ التُّرْكِ.

وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الْجَوَارِي نَحْوُ مِائَتَيْنِ . أَكْثَرُهُنَّ رُومِيَّاتٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ
 الْعَرَبَاتِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ عَرَبِيَّةٍ وَنَحْوُ أَلْفِي فَرَسٍ لِحَرْبِهَا وَلِلرُّكُوبِ .
 وَكَانَ مَعَهَا مِنَ الْقَتِيَانِ الرُّومِيِّينَ عَشْرَةٌ وَمِنْ الْهِنْدِيِّينَ مِثْلُهُمْ
 وَقَائِدُهُمُ الْأَكْبَرُ يُسَمَّى بِسَبِيلِ الْهِنْدِيِّ وَقَائِدُ الرُّومِيِّينَ يُسَمَّى
 بِمِجَانِيلَ . وَيَقُولُ لَهُ الْأَتْرَاكُ لَوْلَوْ أَنَّهُ هُوَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْكِبَارِ . وَتَرَكْتُ
 أَكْثَرَ جَوَارِيهَا وَأَثَقَلَهَا بِمَحَلَّةِ السُّلْطَانِ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ بِرِسْمِ
 الزِّيَارَةِ . وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَدِينَةِ أَكَاكٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ حَسَنَةُ الْعِمَارَةِ
 كَثِيرَةُ الْخَيْرَاتِ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . وَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 جِبَالُ الرُّوسِ . وَهُمْ شَرُّ الشُّعُورِ زُرْقُ الْعُيُونِ فِلَاحُ الصُّوَرِ أَهْلُ غَدَرٍ
 وَعِنْدَهُمْ مَعَادِنُ الْفِضَّةِ وَمِنْ بِلَادِهِمْ يُوقَى بِسَابِئِكَ الْفِضَّةُ الَّتِي يَبِهَا
 يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَوَزْنُ السَّيْكِ مِنْهَا خَمْسُ أَوَاقٍ
 ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ عَشْرِ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةِ سُرْدَاقٍ وَهِيَ
 عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَرَسَاهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَرَاسِي وَأَحْسَنِهَا . وَبِخَارِجِهَا
 الْبَسَاتِينُ وَالْمِيَاهُ وَيَنْزِلُهَا التُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الرُّومِ تَحْتَ ذِمَّتِهِمْ .
 وَهُمْ أَهْلُ الصَّنَائِعِ وَأَكْثَرُ بِيوتِهَا خَشَبٌ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ كَثِيرَةً
 فَخْرَبَ مُعْظَمُهَا بِسَبَبِ قِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ . وَكَانَتْ الضِّيَاقَةُ
 تُحْمَلُ إِلَى الْخَائُونِ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنَ الْخُبْلِ وَالنَّعْمِ
 وَالْبَقَرِ وَالْبَنِ الْبَقَرِ وَالنَّعْمِ . وَالسُّفَرُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مُضْحَى وَمُعْشَى .
 وَكُلُّ أَمِيرٍ بِتِلْكَ الْبِلَادِ يَصْحَبُ الْخَائُونِ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى آخِرِ حَدِّ بِلَادِهِ

تَعْظِيمًا لَهَا لِأَخَوَاتِهَا عَلِيهَا . لِأَنَّ تِلْكَ الْبِلَادَ آمَنَتْ . ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى الْبَلَدَةِ
الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ سَلْطُوقَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوَّلِ عِمَالَةِ الرُّومِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا
فِي بَرِّيَّةٍ غَيْرِ مَعْتُورَةٍ . مِنْهَا ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لَا مَاءَ بِهَا يَتَرَوَدُ لَهَا الْمَاءُ وَيُجْمَلُ فِي
الرَّوَايَا وَالْعَرَبِ عَلَى الْعَرَبَاتِ . وَكَانَ دُخُولُنَا إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ الْبَرْدِ فِي
مُتَّصِفِ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمْ نَخْتِجْ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ الْمَاءِ . وَرَحَلْنَا فِي هَذِهِ
الْبَرِّيَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُضْحَى وَمُعَشَى . وَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا

ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حِصْنٍ مَهْتُولِي وَهُوَ أَوَّلُ عِمَالَةِ الرُّومِ .
وَكَانَتْ الرُّومُ قَدْ سَمِعَتْ بِقُدُومِ هَذِهِ الْخَثَّائِينَ عَلَى بِلَادِهَا فَوَصَّاهَا إِلَى
هَذَا الْحِصْنِ كَهَالِي نَبُوْلَه الرُّومِي فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ وَضِيَافَةٍ عَظِيمَةٍ .
وَجَاءَتْ الْخَوَاتِينُ مِنْ دَارِ أَيْبِهَا مَلَكَ الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَبَيْنَ مَهْتُولِي
وَالْأُسْطَنْطِينِيَّةِ سِيرَةٌ اثْنَتَا عَشْرِينَ يَوْمًا مِنْهَا يَسْتَهْ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى
الْحَلِجِّ وَسِتَّةٌ مِنْهُ إِلَى الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَا يُسَافِرُ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ إِلَّا
بِالْخَيْلِ وَالْبَعَالِ . وَتُتْرَكُ الْعَرَبَاتُ بِهِ لِأَجْلِ الْوَعْرِ وَالْجِبَالِ . وَجَاءَ
كَهَالِي الْمَذْكُورِ بِنَايَالٍ كَثِيرَةٌ وَبَعَثَ إِلَى الْخَثَّائِينَ بِسِتَّةٍ مِنْهَا . وَأَوْصَتْ
أَمِيرَ ذَلِكَ الْحِصْنِ بِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَصْحَابِي وَغَامَانِي مَعَ الْعَرَبَاتِ
وَالْأَنْدَالِ فَأَمَرَ لَهُمْ بِدَارٍ . وَرَجَعَ الْأَمِيرُ يَنْدَرَةُ بِسَاكِرِهِ وَلَمْ يُسَافِرْ
مَعَ الْخَثَّائِينَ إِلَّا نَاسُهَا . ثُمَّ وَصَلْنَا حِصْنَ مُسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ
بِسَفْحِ جَبَلٍ عَلَى نَهْرِ زَخَارٍ يُقَالُ لَهُ إِصْطَقِيلِي . وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ
إِلَّا أَنْارُهُ وَخَارِجُهُ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ . ثُمَّ سَرْنَا يَوْمَيْنِ وَوَصَلْنَا إِلَى الْحَلِجِّ

وَعَلَى سَاحِلِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ قَوَّجَدْنَا فِيهِ الْمُدَّ . فَأَقْنَسَا حَتَّى كَانَ الْجَزْرُ .
وَحُضْنَاهُ وَعَرَضُهُ ثَمَحُو مِيلَيْنِ . وَمَشِينَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ فِي رِمَالِهِ . وَوَصَلْنَا
الْحَلِيجَ الثَّانِي فَحُضْنَاهُ وَعَرَضُهُ ثَمَحُو ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . ثُمَّ مَشِينَا ثَمَحُو مِيلَيْنِ
فِي حِجَارَةٍ وَرَمَلٍ وَوَصَلْنَا الْحَلِيجَ الثَّالِثَ وَقَدْ أَبْتَدَأَ الْمُدُّ . فَتَعَبْنَا فِيهِ
وَعَرَضُهُ مِيلٌ وَاحِدٌ . فَعَرَضُ الْحَلِيجِ كُلِّهِ مَائَتُهُ وَبِأَسْبَحِهِ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا .
وَتَصِيرُ مَاءٌ كُلُّهَا فِي أَيَّامِ الْمَطَرِ فَلَا تُخَاضُ إِلَّا فِي الْقَوَارِبِ . وَعَلَى
سَاحِلِ هَذَا الْحَلِيجِ الثَّالِثِ مَدِينَةُ الْقَنْيَكَةِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ لَكِنَّهَا حَسَنَةٌ
مَائِنَةٌ . وَكَتَابِسُهَا وَدِيَارُهَا حَسَنٌ وَالْأَنْهَارُ تَخْرُقُهَا وَالْبَسَاتِينُ تَحْتُمُهَا
وَيَذْخُرُ بِهَا الْعَنْبُ وَالْإِجَاصُ وَالْتَفَاحُ وَالسَّفْرَجُلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى
الْأُخْرَى . وَأَقْنَسْنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثًا وَالْخَانُونَ فِي قَصْرِ لَا بِهَا هُنَا لَكَ .
ثُمَّ قَدِمَ أَخُوهَا شَقِيقُهَا وَأَتَمَّهُ كَهَالِي قَرَّاسُ فِي حِمْسَةِ آلَافٍ فَارِسٍ
شَاكِنٍ فِي السَّلَاحِ . وَلَمَّا أَرَادُوا لِقَاءَ الْخَانُونَ رَكِبَ أَخُوهَا الْمَذْكُورُ قَرَّسًا
أَشْهَبَ وَلَيْسَ ثِيَابًا بَيَضًا وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ مُظْلًا مُكَلَّلًا بِالْجَوَاهِرِ .
وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِهِ خَمْسَةَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ لَا بِسِينَ
أَلْيَاضَ أَيْضًا . وَعَلَيْهِمْ مِظَلَّاتٌ مُزَكَّشَةٌ بِالذَّهَبِ . وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
مِائَةً مِنَ الْمُسَاوِينَ وَمِائَةً فَارِسٍ قَدْ أَسْبَغُوا الدَّرْعَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَخَيْلِهِمْ .
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ قَرَّسًا مُسْرَجًا مُدْرَعًا عَلَيْهِ شِكَّةٌ فَارِسٍ مِنْ
الْبَيْضَةِ الْمَجُوهَرَةِ وَالْدِرْعُ وَالْقَوْسُ وَالسَّيْفُ . وَيَبِيدُهُ رُمْحٌ فِي طَرَفِ
رَأْسِهِ رَايَةً . وَأَكْثَرُ تِلْكَ الرِّمَاحِ مَكْسُوءَةٌ بِصَفَاحِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

وَتِلْكَ الْخَيْلُ الْمُقَوَّدَةُ هِيَ مَرَاكِبُ ابْنِ السُّلْطَانِ وَقَسَمَ فُرْسَانُهُ عَلَى
أَفْوَاجٍ كُلُّ فَوْجٍ فِيهِ مِائَتَا فَارِسٍ . وَلَهُمْ أَمِيرٌ قَدْ قَدَّمَ أَمَلَهُ عَشْرَةَ مِنْ
الْفُرْسَانِ شَاكِنِينَ فِي السِّلَاحِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فَرَسًا . وَخَلْفَهُ
عَشْرَةٌ مِنْ الْعَلَامَاتِ مُلَوَّنَةٌ بِأَيْدِي عَشْرَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَعَشْرَةُ
أَطْبَالٍ يَتَقَلَّدُهَا عَشْرَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَمَعَهُمْ سِتَّةٌ يَضْرِبُونَ الْأَبْوَاقَ
وَالْأَنْفَادَ وَالصِّرَافَاتِ وَهِيَ الْغَيْطَاتُ . وَرَكِبَتِ الْخَاتُونُ فِي مَمَالِكِهَا
وَجَوَارِيهَا وَفَتَايَاهَا وَخُدَايَا . وَهُمْ نَحْوُ خَمْسِمِائَةٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَرِيرِ
الْمُرْدَكَّةُ بِالذَّهَبِ الرَّمَعَةِ . وَعَلَى الْخَاتُونِ حُلَّةٌ يُقَالُ لَهَا السَّيْحُ
مُرَصَّعَةٌ بِالْجَوْهَرِ . وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مُرَصَّعٌ وَفَرَسُهَا تَجَلُّلٌ بِجِلْدِ حَرِيرٍ
مُرْدَكْسٍ بِالذَّهَبِ . وَفِي يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ خَلَائِلُ الذَّهَبِ وَفِي عُنُقِهِ
فَلَانْدُ مُرَصَّعَةٌ . وَعَظْمُ السَّرِجِ مَكْسُودُهُ ذَهَابًا مُكَلَّلًا جَوْهَرًا . وَكَانَ
أَتَقَاوُهُمَا فِي بَسِيطٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ الْبَلَدِ . وَتَرَجَّلَ لَهَا
أَخُوهَا لِأَنَّهُ أَصْفَرُ سِنَانِهَا وَقَبْلَ رِكَابِهَا وَقَبْلَ رَأْسِهِ . وَتَرَجَّلَ الْأَمْرَأَةُ
وَأَوْلَادُ الْمُلُوكِ وَقَبَلُوا جَمِيعًا رِكَابَهَا وَأَنْصَرَفَتْ مَعَ أَخِيهَا . وَفِي عَدَدِ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَا أَمْنَتْ إِلَّا أَنْ أَسْمَحَا
ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ تَزُلُّ بِخَارِجِهَا . وَوَصَلَ أَخُو الْخَاتُونِ وَلِيُّ الْعَهْدِ فِي
تَرْتِيبٍ عَظِيمٍ وَعَسْكَرٍ صَغِيرٍ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ مُدْرَعٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ
تَاجٌ وَعَنْ يَمِينِهِ نَحْوُ عَشْرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُهُمْ . وَقَدْ
رَتَّبَ فُرْسَانُهُ عَلَى تَرْتِيبٍ أُخْرٍ سِوَاهُ إِلَّا أَنَّ الْحَفْلَ أَعْظَمَ وَالْجَمْعَ أَكْثَرَ .

وَتَلَقَّتْ مَعَهُ أُخْتَهُ فِي مِثْلِ زِيَّهَا الْأَوَّلِ وَرَجَلَا جَمِيعًا . وَأُوتِيَ بِخَبَاءٍ حَرِيدٍ
فَدَخَلَ فِيهِ . وَزَلْنَا عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ أَهْلُهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَصِبْيَانٍ رُكْبَانًا
وَمَشَاءً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ لِبَاسٍ وَضُرِبَتْ عِنْدَ الصُّبْحِ الْأَطْبَالُ
وَالْأَبْوَاقُ وَالْأَنْفَادُ وَرُكِبَتِ الْعَسَاكِرُ . وَخَرَجَ السُّلْطَانُ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ
هَذِهِ الْحَاثُونَ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْخَوَاصُّ . وَعَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ رِوَاقٌ يَحْمِلُهُ
جُمْلَةٌ مِنَ الْقُرْسَانِ وَرِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ عَصِي طَوَالٍ فِي أَعْلَى كُلِّ عَصَا
شِبْهَ كُرَّةٍ مِنْ جِلْدٍ يَرَفَعُونَ بِهَا الرِّوَاقَ . وَفِي وَسْطِ الرِّوَاقِ مِثْلُ الْقُبَّةِ
يَرَفَعُهَا الْقُرْسَانُ بِالْعَصِي . وَلَمَّا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ اخْتَلَطَتِ الْعَسَاكِرُ
وَكَثُرَ الْحَجَاجُ . وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الدُّخُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَزِمْتُ أُنْقَالَ
الْحَاثُونَ وَأَصْحَابَهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِي . وَذَكَرَ لِي أَنَّهَا لَمَّا قَرُبَتْ مِنْ
أَبْوِيهَا رَجَلَتْ وَقَبَلَتْ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهَا . ثُمَّ قَبَلَتْ حَافِرِي
فَرَسَيْهَا . وَقَعَلَ كِبَارُ أَصْحَابِهَا مِثْلَ فِعْلِهَا فِي ذَلِكَ . وَكَانَ دُخُولُنَا عِنْدَ
الزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظْمَى . وَقَدْ ضَرَبُوا نَوَاقِيسَهُمْ
حَتَّى ارْتَجَّتِ الْأَفَاقُ لِاخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا . وَلَمَّا وَصَلْنَا الْبَابَ الْأَوَّلَ مِنْ
أَبْوَابِ قَصْرِ الْمَلِكِ وَجَدْنَا بِهِ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ قَائِدٌ لَهُمْ قَوْقُ
دُكَّانِيَّةٍ وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : سَرَّ أَكُونُ سَرَّ أَكُونُ . وَمَعْنَاهُ الْمُسْلِمُونَ
وَمَنْعُونَا مِنَ الدُّخُولِ . فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ الْحَاثُونَ : إِنْتُمْ مِنْ جِهَتِنَا .
فَقَالُوا : لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِالْإِذْنِ . فَأَقْبَلْنَا بِالْبَابِ وَدَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ

الْحَاثُونَ قَبِمَتْ مَنْ أَعْلَمَهَا بِذَلِكَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيَّ وَالِدَهَا . فَذَكَرَتْ
لَهُ شَأْنَهَا فَأَمَرَ بِدُخُولِنَا وَعَيْنَ لَنَا دَارًا بِمَغْرِبَةٍ مِنْ دَارِ الْحَاثُونَ . وَكُتِبَ
لَنَا أَمْرًا بِأَنْ لَا نَعْتَرِضَ حَيْثُ نَذْهَبُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي
الْأَسْوَاقِ . وَأَقَمْنَا بِالْأُتَاثِ ثَلَاثًا تَبَتْ إِلَيْنَا الضِّيَافَةُ مِنَ النِّعَمِ وَالْغَنَمِ وَالْغَاكِهَةِ
وَالدَّرَاهِمِ وَالْفَرَسِ وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ دَخَلْنَا عَلَى السُّلْطَانِ

٣٩٤ (ذِكْرُ سُلْطَانِ الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ) وَأَتَيْتُهُ تَكْفُورُ ابْنِ السُّلْطَانِ
جُرْجِسَ وَأَبُوهُ السُّلْطَانُ جُرْجِسُ بَقِيدِ الْحَيَاةِ لَكِنَّهُ تَرَهَّدَ وَتَرَهَّبَ
وَأَنْقَطَعَ لِلْمِبَادَةِ فِي الْكُنَائِسِ وَتَرَكَ الْمَلِكَ لَوْلَاهُ وَسَدَّكَرُهُ . وَفِي
الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ وُضُوعِنَا إِلَى الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ بَعَثَ إِلَيَّ الْحَاثُونَ الْفَتَى
سُئْبِلَ الْهِنْدِيِّ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي إِلَى الْقَصْرِ فَجَزَانَا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ
فِي كُلِّ بَابٍ سَقَائِفُ بِهَا رِجَالٌ وَأَسْلَحَتُهُمْ وَقَانِدُهُمْ عَلَى دُكَّانَةٍ
مَقْرُوشَةٍ . فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْخَامِسِ تَرَكْنِي الْفَتَى سُئْبِلَ وَدَخَلَ
ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْفَتَيَانِ الرُّومِيِّينَ فَفَقَّشُونِي لِئَلَّا يَكُونَ مَعِيَ
سِكِّينٌ وَقَالَ لِي الْهَاسِنْدُ : تِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ لَا بُدَّ مِنْ تَفْتِيشِ كُلِّ مَنْ
يَدْخُلُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ خَاصٍّ أَوْ عَامٍّ غَرِيبٍ أَوْ بَلَدِيٍّ وَكَذَلِكَ الْإِعْمَلُ
بِأَرْضِ الْهِنْدِ . ثُمَّ لَمَّا فَقَّشُونِي قَامَ الْمُوَكَّلُ بِالْبَابِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَفَتَحَ
الْبَابَ وَأَحَاطَ بِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ أَمْسَكَ اثْنَانِ بِكَفَيَّ وَاثْنَانِ
مِنْ وَرَائِي فَدَخَلُوا بِي إِلَى شُورٍ كَبِيرٍ . حِيطَانُهُ بِالْأَسْفِسَاءِ قَدْ نَفَسَ
فِيهَا صُورُ الْخُلُوقَاتِ ثُمَّ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجِبَادِ . وَفِي وَسْطِهِ سَاقِيَةُ مَاءٍ

وَمِنْ جِهَتِهَا الْأَشْجَارُ . وَالنَّاسُ وَاقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سَكُوتًا لَا يَتَكَلَّمُ
أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَفِي وَسْطِ الْمَشُورِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَقُوفٌ أَسْلَمَنِي أُولَئِكَ
الْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ . فَأَمْسَكُوا بِيَدَيَّ كَمَا فَعَلَ الْآخَرُونَ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ
فَقَدَّمُوا يَ وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا . فَقَالَ لِي بِالْعَرَبِيِّ : لَا تَخَفْ فَهَكَذَا
عَادْتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِالْوَارِدِ . وَأَنَا التَّرْجُمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ الشَّامِ .
فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ أَسْلِمَ . فَقَالَ : قُل : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةِ
عَظِيمَةٍ وَالسُّلْطَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هُنَيْدٍ الْخَاتُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ .
وَأَسْفَلَ السَّرِيرِ الْخَاتُونُ وَإِخْوَتُهَا . وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ
أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِالسِّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ السَّلَامِ
وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ هُنَيْدٌ لَيْسَ كُنْ رَوْعِي . فَقَعَلْتُ ذَلِكَ ثُمَّ
وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي
عَنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَعَنْ الصَّخْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَعَنْ الْقِيَامَةِ وَعَنْ مَهْدِ
عِيسَى وَعَنْ بَيْتِ لَحْمٍ وَعَنْ مَدِينَةِ الْحَلِيلِ . ثُمَّ عَنْ دِمَشْقٍ وَمِصْرَ
وَالْعِرَاقِ وَبِلَادِ الرُّومِ فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَالْيَهُودِيُّ يُتَرَجِّمُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ فَأَعْجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : اكْرُمُوا هَذَا الرَّجُلَ وَأَمْنُوهُ .
ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِلْمَةً وَأَمَرَ لِي بِفَرَسٍ مُسَرَّجٍ مُلْحَمٍ وَمِظْلَةٍ مِنْ أَلْيِ
يَجْعَلُهَا الْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ الْأَمَانِ . وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَ
مَنْ يَذْكُبُ عَنِّي بِالْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أَشَاهِدَ عَجَابَهَا وَغَرَائِبَهَا
وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي . فَعَيَّنَ لِي ذَلِكَ . وَمِنْ أَلْوَانِدٍ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي

يَلْبَسُ خِلْعَةَ الْمَلِكِ وَتَرْكَبُ قَرَسَهُ يُطَافُ بِهِ بِالْأَبْوَاقِ وَالْأَنْقَارِ
وَالْأَطْبَالِ لِيَرَاهُ النَّاسُ لِئَلَّا يُؤْذَوْهُ . قَطَافُوا يِي فِي الْأَسْوَاقِ
٣٩٥ (ذِكْرُ الْمَدِينَةِ) . وَهِيَ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْكِبَرِ مُتَقَسِّمَةٌ بِقَسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا
نَهْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ قَنْطَرَةٌ مَبْنِيَّةٌ
فَحَرِبَتْ وَهُوَ الْآنَ يُعَبَّرُ فِي الْقَوَارِبِ . وَاسْمُ هَذَا النَّهْرِ أَلْبَسِي . وَاحِدُ
الْقَسْمَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى أَصْطَنْبُولَ وَهُوَ بِالْمَدَوَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ .
وَفِيهِ سُكْنَى السُّلْطَانِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ . وَأَسْوَاقُهُ
وَسَوَارِعُهُ مَفْرُوشَةٌ بِالصَّفَاحِ مُتَسَّعَةٌ . وَأَهْلُ كُلِّ صِنَاعَةٍ عَلَى حِدَةٍ
لَا يُشَارِكُهُمْ سِوَاهُمْ . وَعَلَى كُلِّ سَوَاقٍ أَبْوَابٌ تُسَدُّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَتُكْثَرُ
الصَّنَاعُ وَالْبَاعَةُ بِهَا النِّسَاءُ . وَالْمَدِينَةُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ دَاخِلٍ فِي الْبَحْرِ
تَحْوَ تِسْعَةَ أَمْيَالٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ . وَفِي أَعْلَاهُ قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ
وَقَصْرُ السُّلْطَانِ . وَالسُّودُ يُحِيطُ بِهَذَا الْجَبَلِ وَهُوَ مَانِعٌ لِأَسْبِيلِ لِأَحَدٍ
إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ . وَفِيهِ تَحْوَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَرْيَةً عَامِرَةً . وَالْكَنِيسَةُ
الْعَظِيمَى هِيَ فِي وَسْطِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي
مِنْهَا فَيُسَمَّى الْقَلْطَةَ وَهُوَ بِالْمَدَوَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ شَبِيهُ بِرِبَاطِ الْقَنْجِ
فِي قُرْبِهِ مِنَ النَّهْرِ . وَهَذَا الْقِسْمُ خَاصٌّ بِبَصَارَى الْإِفْرِجِ يَسْكُنُونَهُ .
وَهُمْ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْجَنْوِيُّونَ وَالْبِنَادِيَّةُ وَأَهْلُ رُومَةَ وَأَهْلُ إِفْرَاسَةَ
وَحُكْمُهُمْ إِلَى مَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَرْتَضُونَهُ
وَيُسَمُّونَهُ الْقَمُصَّ . وَعَلَيْهِمْ وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ لِلْمَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

وَرَبَّمَا اسْتَعَصَوْا عَلَيْهِ فَيُجَارِبُهُمْ حَتَّى يُصْلِحَ بَيْنَهُمُ الْآبَاءَ . وَجَمِيعُهُمْ أَهْلُ
تِجَارَةٍ . وَمَرَسَاهُمْ مِنْ أَكْثَرِ الْمَرَايِي رَأَيْتُ بِهِ نَحْوَ مِائَةِ جَنْفٍ مِنْ
الْقَرَارِقِ وَسِوَاهَا مِنْ السُّفُنِ الْكِبَارِ . وَأَمَّا الصِّغَارُ فَلَا تُحْصَى كَثْرَةُ .
وَأَسْوَاقُ هَذَا النِّقَمِ حَسَنَةٌ يَشْفِيهَا نَهْرٌ صَغِيرٌ قَدِرٌ

٣٩٦ (ذِكْرُ الْكَنِيسَةِ الْعَظْمَى) وَإِنَّمَا نَذْكُرُ خَارِجَهَا وَأَمَّا دَاخِلُهَا فَلَمْ
أَشْهَدْهُ . وَهِيَ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ أَيْ صُوفِيًّا . وَهِيَ مِنْ أَكْثَرِ كَنَائِسِ
الرُّومِ وَعَالِيهَا سُورٌ يُطِيفُ بِهَا فَكُنْهَا مَدِينَةً . وَأَبْوَابُهَا ثَلَاثَةٌ شَرْبَابًا .
وَلَهَا حَرَمٌ هُوَ نَحْوُ بَيْلٍ عَلَيْهِ بَابٌ كَبِيرٌ وَلَا يُنْبَعُ أَحَدٌ مِنْ دُخُولِهِ وَقَدْ
دَخَلْتُهُ مَعَ وَالِدِ الْإِلَهِ . وَهُوَ شِبْهُ سُورٍ مُسَطَّحٌ بِالرَّخَامِ وَتَشْمُهُ سَاقِيَةٌ
تُخْرَجُ مِنَ الْكَنِيسَةِ . لَهَا حَائِطَانِ مُرْتَفِعَانِ نَحْوَ ذِرَاعٍ مَعَهُ نِوَعَانِ
بِالرَّخَامِ الْبُحْرَجُ الْمُتَفَوِّشُ بِأَحْسَنِ صَنْعَةٍ . وَالْأَشْجَارُ مُنْتَظِمَةٌ عَنْ
جِهَتِي السَّاقِيَةِ . وَمِنْ بَابِ الْكَنِيسَةِ إِلَى بَابِ هَذَا الْأَشُورِ مُرَّشٌ مِنْ
الْخَشَبِ مُرْتَفِعٌ عَلَيْهِ دَوَالِي الْعِزِّ وَفِي أَسْفَلِهِ الْإِيَّامُ وَالرَّيَّاحِينُ .
وَخَارِجُ بَابِ هَذَا الْأَشُورِ قُبَّةٌ خَشَبٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا طَبَلَاتُ خَشَبٍ
يَجْلِسُ عَلَيْهَا خُدَّامُ ذَلِكَ الْبَابِ . وَعَنْ يَمِينِ الْقُبَّةِ مَصَاطِبُ وَحَوَائِثُ
أَكْثَرُهَا مِنَ الْخَشَبِ يَجْلِسُ بِهَا قُضَاتُهُمْ وَكُتَّابُ دَوَاوِينِهِمْ . وَفِي وَسْطِ
تِلْكَ الْحَوَائِثِ قُبَّةٌ خَشَبٌ يُصْعَدُ إِلَيْهَا عَلَى دَرَجٍ خَشَبٍ . وَفِيهَا كُرْسِيٌّ
كَبِيرٌ مُطَبَّقٌ بِالْإِلَافِ يَجْلِسُ فَوْقَهُ قَاضِيهِمْ . وَعَنْ يَسَارِ الْقُبَّةِ الَّتِي عَلَى
بَابِ هَذَا الْأَشُورِ سُوقُ الْعُطَّارِينَ . وَالسَّاقِيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَنْسِمُ

فَمِمَّنِ أَحَدُهُمَا يَمْرُسُوقُ الطَّارِينَ وَالْآخَرُ يَمْرُسُ بِالسُّوقِ حَيْثُ الْقَضَاءُ
وَالْكِتَابُ. وَعَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ سَقَافٌ يُجْلِسُ بِهَا خُدَّاءُ الَّذِينَ يَقُومُونَ
طَرَفَهَا وَيُوقِدُونَ سُرُجَهَا وَيُغْلِقُونَ أَبْوَابَهَا. وَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا
حَتَّى يَسْجُدَ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَقِيَّةٌ مِنْ
الْخَشَبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا عِيسَى. وَهُوَ عَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ مُجْعُولٌ فِي
جَعْبَةٍ ذَهَبٍ طُولُهَا ثَمَنُ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ. وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهَا جَعْبَةً ذَهَبٍ
مِثْلَهَا حَتَّى صَارَتْ صَايِبًا. وَهَذَا الْبَابُ مُصَفَّحٌ بِصَفَاحِ الْقِضَّةِ وَالذَّهَبِ
وَحَلَقَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَذِكْرِي أَنْ عَدَدَ مَنْ يَهْدِيهِ الْكَنِيسَةُ
مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْقَسِيصِينَ يَنْتَهِي إِلَى مِائَتٍ. وَأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ
الْحَوَارِيِّينَ وَأَنَّ يَدْخُلُهَا كَنِيسَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ. وَمِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ
وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْتُوا كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا إِلَى زِيَارَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ

٣٩٧ (ذِكْرُ الْمَانِسْتَارَاتِ بِمُسْتَنْطِئَةٍ) وَالْمَانِسْتَارُ عِنْدَهُمْ شِبْهُ
الرَّأْوِيَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ. وَهَذِهِ الْمَانِسْتَارَاتُ بِهَا كَثِيرَةٌ فَمِنْهَا مَانِسْتَارُ
عَمْرَةِ الْمَلِكِ جَرَجِيسُ. وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ خَارِجَ الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَنْ
يَمِينِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا وَهَمَا فِي دَاخِلِ بُسْتَانٍ يَشْهُمَانِ نَهْرُ مَاءٍ وَأَحَدُهُمَا
لِلرِّجَالِ وَالْآخَرُ لِلنِّسَاءِ وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَنِيسَةٌ وَيَدُورُ بِهِمَا
الْيَتِيمُونَ الْمُتَعَمِّدِينَ وَالْمُتَعَمِّدَاتِ وَقَدْ حُسِبَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَحْبَاسُ
لِكُسُوتِهِ الْمُتَعَمِّدِينَ وَتَقَعَتِهِمْ. وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ عَنْ يَسَارِ الدَّاخِلِ
إِلَى الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَلَى مِثْلِ هَذَيْنِ الْآخَرَيْنِ وَيُطِيفُ بِهِمَا

يُوتُ. وَاحِدُهُمَا يَسْكُنُهُ الْغَمِيَانُ وَالْآخَرُ يَسْكُنُهُ الشُّيُوخُ الَّذِينَ لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْخِدْمَةَ يَمْنُ بَلْعَ السِّتِينَ أَوْ تَحْوَهَا. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
كُنُوتُهُ وَنَفَقَتُهُ مِنْ أَوْقَافٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ. وَفِي دَاخِلِ كُلِّ مَا نِسْتَارٍ
مِنْهَا دُورَةٌ لِمَتَبَدُّ الْمَلِكِ الَّذِي بَنَاهُ وَكَثُرُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا بَلْعَ السِّتِينَ
أَوِ السِّبِينَ بَنَى مَا نِسْتَارًا وَلَيْسَ الْمُسُوحَ وَهِيَ ثِيَابُ الشَّعْرِ وَقَدْ وَلَدَهُ
الْمَلِكُ وَاشْتَمَلَ بِالْعِبَادَةِ حَتَّى يَمُوتَ. وَهُمْ يَحْتَمِلُونَ فِي بَنَاءِ هَذِهِ
الْمَانِسْتَارَاتِ وَيَعْمَلُونَ بِالرَّخَامِ وَالْفَسْفَسَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ.
وَدَخَلَتْ مَعَ الرُّومِيِّ الَّذِي عَيْنُهُ الْمَلِكُ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ إِلَى مَا نِسْتَارٍ يَسْمُهُ
نَهْرُ وَفِيهِ كِبَاهَةٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْكَارِ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ وَرُؤُوسُهُنَّ مَحْلُوقَةٌ
فِيهَا فَلَانِسُ الْأَبْدِ وَعَلَيْهِنَّ أَثَرُ الْعِبَادَةِ. وَقَالَ لِي الرُّومِيُّ: إِنَّ هَؤُلَاءِ
الْبَنَاتِ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِحَدْمَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ. وَدَخَلَتْ
مَعَهُ إِلَى كَنَائِسٍ فِيهَا الرُّهْبَانُ يَكُونُ فِي الْكَنِيسَةِ مِنْهَا مِائَةُ رَجُلٍ وَكَثُرُ
وَأَقَلُّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُتَعَبِدُونَ وَقَسِيصُونَ وَكَنَائِسُهَا لَا تَحْصَى
كَثْرَةً. وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَغَيْرِهِ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يَجْمَعُونَ عَلَى
رُؤُوسِهِمُ الْمِظَلَّاتِ الْكِبَارَ شَتَاءً وَصَيْفًا. وَالنِّسَاءُ لهنَّ عَمَائِمُ كِبَارُ

٣٩٨ (ذَكَرَ الْمَلِكُ الْمُتَرَهَّبُ جَرَجِيسَ) وَهَذَا الْمَلِكُ وَلَّى الْمَلِكُ لِابْنِهِ
وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ وَبَنَى مَا نِسْتَارًا كَمَا ذَكَرْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاحِلِهَا.
وَكُنْتُ يَوْمًا مَعَ الرُّومِيِّ الْغَمِيَانِ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ فَإِذَا بِهَذَا الْمَلِكِ مَا شِئَا عَلَى
قَدَمَيْهِ. وَعَلَيْهِ الْمُسُوحُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَسُوءَةٌ لَبِيدَةٌ لَهُ لَحْيَةٌ بَيْضَاءُ طَوِيلَةٌ

وَوَجْهٌ حَسَنٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَخَلْفُهُ وَأَمَلُهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَيَدِيهِ
عُكَّازٌ وَفِي عُنُقِهِ سُبُجَةٌ . فَلَمَّا رَأَاهُ الرُّومِيُّ ثَرَلُ وَقَالَ لِي : أَتُرِلْ هَذَا وَالِدُ
الْمَلِكِ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ الرُّومِيُّ سَأَلَهُ عَنِّي . ثُمَّ وَقَفَ وَبَعَثَ عَنِّي فَجِئْتُ إِلَيْهِ
فَأَخَذَ يَدَيَّ وَقَالَ لِدَٰلِكَ الرُّومِيُّ وَكَانَ يَعْرِفُ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ : قُلْ
لِهَذَا السَّرَّاءُ كُنْتُ يَغْنِي الْمُسْلِمُ أَنَا أَصْلَاحُ الْيَدِ الَّتِي دَخَلَتْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ
وَالرِّجْلَ الَّتِي مَشَتْ دَاخِلَ الصَّخْرَةِ وَالْكَنِيسَةِ الْعَظْمَى الَّتِي تُسَمَّى
قُمَامَةً وَبَيْتَ لَحْمٍ وَجَمَلَ يَدُهُ عَلَى قَدَمِي وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ فَجِئْتُ مِنْ
أَعْتِقَادِهِمْ فِيمَنْ دَخَلَ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَيَّ
وَمَشَيْتُ مَعَهُ فَسَأَلَنِي عَنِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَمَنْ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَأَطَالَ
السُّؤَالَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ إِلَى حَرَمِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي وَصَفَنَاهُ آنِفًا . وَلَمَّا قَارَبَ
الْبَابَ الْأَعْظَمَ خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَسْبِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ لِلْسَّلَامِ عَلَيْهِ
وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي الرُّهْبَانِيَّةِ . وَلَمَّا رَأَاهُمْ أَرْسَلَ يَدَيَّ فَقُلْتُ لَهُ أُرِيدُ
الدُّخُولَ مَعَكَ إِلَى الْكَنِيسَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : قُلْ لَهُ لَا بُدَّ لِدَاخِلِهَا مِنْ
السُّجُودِ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا سَنَنَهُ الْأَوَائِلُ وَلَا يُمَكِّنُ خِلَافَهُ
فَتَرَكْتُهُ وَدَخَلَ وَحْدَهُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَهَا . وَلَمَّا ظَهَرَ لِمَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ
الْحَاوُونَ مِنْ الْأَتْرَافِ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الْمَقَامِ مَعَ أَبِيهَا طَلَبُوا مِنْهَا الْإِذْنَ
فِي الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنَتْ لَهُمْ . وَأَعْطَتْهُمْ عَطَاءً خَرِيلاً وَأَجَزَاتٍ
عَلَى الْعَطَاءِ وَأَوْصَتْ بِي أَحَدَ أَمْرَلَيْهَا فَوَدَّعْتُهَا وَأَنْصَرَفْتُ . فَكَانَ مَدَّةُ
مُقَامِي عِنْدَهُمْ شَهْرًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ (تحفة النظائر في عجائب الاسفار)

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في سكان السموات وهم الملائكة

٣٩٩ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ جَوَاهِرُ مُقَدَّسَةٍ عَنْ ظُلْمَةِ الشَّهْوَةِ وَكُدُورَةِ
الْغَضَبِ . لَا بَعْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . طَعَامُهُمُ
النَّسِيجُ وَثَرَابُهُمُ التَّقْدِيسُ . وَأَنَّهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى . وَفَرَحُهُمْ بِعِبَادَتِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي فِضَاءِ الْأَفْلاكِ وَسِعَةٌ
السَّمَاوَاتِ خَلِيقٌ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِحِكْمَةِ الْبَارِي تَعَالَى تَرْكُهَا فَارَعَةً خَاوِيَةً
مَعَ شَرَفِ جَوْهَرِهَا . وَإِنَّهُ لَمْ يَتْرِكْ قَمَرًا نَجَارًا مُلْمَلَةً مُظْلَمَةً فَارَافَاتِي
خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ الْحَيَوَانَاتِ وَغَيْرَهَا . وَلَمْ يَتْرِكْ جَوْهُهُ الرِّقِيقِ
حَتَّى خَلَقَ لَهُ أَنْوَاعَ الطَّيْرِ تَسْجُ فِيهِ كَمَا تَسْجُ السَّمَاءُ فِي الْمَاءِ . وَلَمْ
يَتْرِكْ الْبَرَارِي أَلْيَاسَةً وَالْأَجَامَ الْوَحِلَةَ وَالْجِبَالَ الرَّاسِيَةَ الصَّلْبَةَ حَتَّى
خَلَقَ فِيهَا أَجْنَاسَ السَّبَاعِ وَالْوُحُوشِ . وَلَمْ يَتْرِكْ ظُلُمَاتِ التُّرَابِ حَتَّى
خَلَقَ فِيهِ أَجْنَاسَ الْهُوَامِ وَالْحَشَرَاتِ

وَالْمَلَائِكَةُ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْكَرُوبِيُّونَ وَهُمْ الْعَاكِفُونَ فِي حَضْرَةِ
الْقُدْسِ لَا انْتِفَاعَ لَهُمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِاسْتِرَاقِهِمْ بِجَمَالِ الْحَضْرَةِ
الرُّبُوبِيَّةِ وَجَلَالِهَا يُسْجُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ . وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ
السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مُدَاوِمُونَ عَلَى النَّسِيجِ وَالتَّهْلِيلِ فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ

وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمْ
الْمُعَقَّبَاتُ. وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْبُرُكَاتِ وَيَصْعَدُونَ
بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَمِنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ
بِالْكَاتِبَاتِ هُمْ مَلَائِكَةُ شَأْنِهِمْ إِصْلَاحُ الْكَاتِبَاتِ وَدَفْعُ الْقَسَادِ عَنْهَا.
وَقَدْ وُكِّلَ بِكُلِّ قَرْدٍ مِنْ أَقْرَادِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ

في حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها

٤٠٠ دَعَبُوا إِلَى أَنَّ النَّصْرَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَرَادُ مِنْهُ
الْأَجْسَامُ الَّتِي دُونَ فَلَكِ الْقَمَرِ. وَتِلْكَ الْأَجْسَامُ أُمَمَاتٌ وَالْمَوْلِدَاتُ
الْمُعَادِنُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ وَيُقَالُ لِلْأُمَمَاتِ الْأَرْكَانُ. وَالْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ
النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ. فَالنَّارُ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ
تَحْتَ أَهْلَاكِ وَفَوْقَ الْهَوَاءِ. وَالْمَاءُ بَارِدٌ رَطْبٌ مَوْضِعُهُ الطَّبِيعِيُّ تَحْتَ
الْهَوَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ. وَالْأَرْضُ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ مَوْضِعُهَا الطَّبِيعِيُّ الْوَسْطُ
فصل في فوائد الجبال وعجائبها

٤٠١ أَمَّا فَإِنَّدَتْهَا الْعُظْمَى فَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ لَمْ تَكُنِ الْجِبَالُ لَكَانَ
وَجْهُ الْأَرْضِ مُسْتَدِيرًا أَمْلَسَ. وَكَانَتْ مِيَاهُ الْإِنْبَارِ تُغَطِّيهَا مِنْ جَمِيعِ
جِهَاتِهَا وَتُحِيطُ بِهَا إِحَاطَةُ كُرَّةِ الْهَوَاءِ بِالْمَاءِ فَتَبْطُلُ الْحِكْمَةُ الْمَوْدَعَةُ
فِي الْمُعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ. فَأَقْنَصَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَجُودَ
الْجِبَالِ لِأَنَّهَا ذَكَرْنَا مِنَ الْحِكْمَةِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْجِبَالَ سَبَبُ
لِوُجُودِ الْمَاءِ الْعَذْبِ السَّائِحِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ

النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء إنما هو انقياد البخار في الجو أعني السحاب. والجبال الشاححة الطوال على بساط الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة بينها حتى يلحمها البرد قصير مطراً وتلجأ. فلو فرضت الجبال مرتفعة عن وجه الأرض لكانت الأرض ككرة لا غور فيها ولا ثوء فألبحار المرتفع لا يبقى في الجو منحصراً إلى وقت يضربه البرد بل يتخلل ويستحيل هواء فلا يجري الماء على وجه الأرض إلا قدر ما ينزل من المطر ثم تنشفه الأرض. فكان يرض من ذلك أن يكون النبات والحيوان يعدم الماء في الصيف كما في البوادي البعيدة. فاقضى التذبير الإلهي وجود الجبال لتحصر البخار المرتفع من الأرض بين أغوارها وتممه من السيلان وتمنع الرياح أن تسوقه

المعدن

٤٠٢ المعدن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة إلى ما يذوب وإلى ما لا يذوب. والذي اشتهر بين الناس من المعدن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والأسرب والجارصيني

٤٠٣ (الذهب). طبعه حار لطيف لا يحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائه (*). ولا يسل في الثراب ولا يصدأ على طول

(*) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على اقتراق الاهراء وقد اتفق المحدثون

الزَّمانَ . وَهُوَ لَيْنٌ أَصْفَرُ بَرَّاقٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ثَقِيلُ رَزِينٌ . فَصُفْرَةٌ لَوْنُهُ
 مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَآيَنُهُ مِنْ ذَهَبِيَّتِهِ . وَبَرِيْقُهُ مِنْ صَفَاءِ مَا بَيْنَتْهُ . وَثِقَلُهُ مِنْ
 تُرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قِوَامُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَنِظَامُ
 أَحْوَالِ الْخَلْقِ لِإِضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُخْتِاجٌ
 إِلَى أَعْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلَمَّا
 يَمْلِكُ مَا يَسْتَعِينِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ الْبَابَ وَهُوَ مُخْتِاجٌ إِلَى الْبَرِّ . وَلَمَّا
 صَاحِبُ الْبَرِّ لَا يَخْتِاجُ إِلَى الْبَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْعُبُ فِيهِ كُلُّ
 أَحَدٍ . فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الدَّرَاهِمَ وَالْدَّنَانِيرَ مُتَوَسِّطِينَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى
 يُبْذَلَانَ فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلَ فِي مُقَابَلَتَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهِيَ
 كَالْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ يَفْضِيَانِ حَوَائِجَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا
 ٤٠٤ (الْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَثِيرُ الْمَادَّةِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ . وَهُوَ
 أَكْثَرُ فَايِدَةٍ مِنْ سَائِرِ الْمَعْلُومَاتِ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
 وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ . قَالَ بَأْسٌ فِي النُّصُولِ الْمُتَخَذَةِ مِنْهُ . وَالْمَنَافِعُ فِي
 الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلِلْحَدِيدِ فِيهَا فِي
 أَدَوَاتِهَا مَدْخَلٌ

الشجر

٤٠٥ (الشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ
 بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْعِظَامِ وَالشُّجُومُ بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الصِّغَارِ . وَالْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق انما يحصل بتركب الأكسجين في العال مع المادة أو مع جزء منها

الْعِظَامُ لَا تَمُرُّ لَهَا كَالسَّاجِ وَالذَّلْبِ وَالْمَرْعِ (*) لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ
إِلَى نَفْسِ الشَّجَرَةِ . وَلَا كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُشْرَعَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ
إِلَى الشَّجَرَةِ وَالثَّمَرَةِ . وَقَدْ يُشَارِكُ الثَّبَاتُ الْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ التَّغْذِيَةِ .
فَإِنَّ الْغِذَاءَ كَمَا يَسْرِي فِي بَدَنِ الْحَيَوَانِ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا وَأَخَذَتْ
مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي صُبَّ فِي أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يَمْلَأُ إِلَى
الْأَنْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِفِ الْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُنْشَرَفَ فِي
جَمِيعِ أَوْدَاقِ الْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَوْدَاقِ وَيُغْذَى كُلُّ جُزْءٍ
مِنْ كُلِّ وَرْقَةٍ وَتَجْرِي مِنْ تَجَاوِفِ عُرُوقِ شَعْرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ تَرَى فِي
أَصْلِ الْوَرَقِ وَكَأَنَّ الْعِرْقَ الْكَبِيرَ نَهْرٌ . وَمَا يَنْشَعِبُ عَنْهُ جُدَاوِلُ فِي
جَمِيعِ عَرْضِ الْوَرَقِ فَيَصِلُ الْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْوَرَقَةِ . وَكَذَلِكَ
إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الثَّقَوَاكِه (*) . وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلْقُ
الْأَوْدَاقِ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا وَوَقَايَةً لِشِمَارِهَا مِنْ نَكَايَةِ الشَّمْسِ
وَالْهَوَاءِ . ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مَرْتَفَعَةً عَنِ الشِّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضُ الثَّقَوِ
لَا مُتَكَثِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ الشِّمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنْ
الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى . وَلَوْ تَكَثَّفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إَصَابَةُ النَّسِيمِ
وَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَبَقِيََتْ عَلَى فُجَاجَتِهَا غَلِيظَةً أَجْلَدَ قَلِيلَةِ الْمَاءِ . وَإِذَا

(*) يراد قول لمروي ان الحور والرحيل يتسرا وكلاهما من الاعمار العظام والصحيح

ان ثمر الاعمار العظام صخر من ثمر الاشجار الصغار

(*) كان قدماء الطبيعيين طوبون ان الثمرة لا تعتمد في الاصلها وفروعها واعدا فداؤها

يكون ايضاً ماورقها التي هي فيها بمرارة المسام في الحسد

سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا كَمَا تَرَى فِي الرُّمَانَةِ
الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَابِ . ثُمَّ إِذَا قَرَعْتَ الثَّمَرَةَ تَنَازَلَتْ
الْأَوْدَاقُ حَتَّى لَا تَجْذِبَ مَائِيَّةُ الشَّجَرَةِ قَضِيفُ قُوَّتِهَا (للقزويني)
٤٠٦ (الْبَلْسَانُ) . لَا يُوْجَدُ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَّا بِمِصْرَ بَيْنَ شَمْسٍ فِي
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحْتَفِظٌ بِهِ مِسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدَنَةٍ . وَارْتِفَاعُ
شَجَرَتِهِ نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَالِيهَا قِشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ
وَالْأَسْفَلُ أَخْضَرُ لَخِينٌ . وَإِذَا مُضِعَ ظَهَرَ فِي الْقَلَمِ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَائِحَةٌ
عَطِرَةٌ . وَوَرَقُهُ شَبِيهُ يَوْزَقِ السَّدَابِ وَيُجْتَنَى دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
بِأَن تَشْدَخَ السُّوقُ بَعْدَ مَا يُحْتُ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا . وَشِدْخُهَا يَكُونُ
بِجُودَةٍ تُتَّخَذُ مُحَدَّدَةً وَيَتَغَيَّرُ شِدْخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ بِحَيْثُ يُقَطَعُ الْقِشْرُ
الْأَعْلَى وَيُشَقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْفُذُهُ إِلَى الْحَشْبِ . فَإِنْ نَفَذَ إِلَى
الْحَشْبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ . فَإِذَا شَدَخَهُ كَمَا وَصَفْنَا أَمَلَهُ رَيْثًا يَسِيلُ
لِشَاةٍ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِإَصْبَعِهِ مَسْتَكًا إِلَى قَرْنٍ . فَإِذَا أَبْتَلَا صَبَّهُ فِي
قَنَازِي زَبَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَقْطَعَ لَنَاهُ . وَكُلُّ
مَا كَثُرَ النَّدَى فِي الْجَوِّ كَانَ لَنَاهُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ . وَفِي الْجَنْبِ وَقَلَّةُ
النَّدَى يَكُونُ اللَّثَا أَثَرًا . ثُمَّ نُوْخَذُ الْفَنَائِي قُدُوقُنُ إِلَى الْقَيْظِ وَحَمَارَةِ
الْحَرِّ وَتُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ . ثُمَّ تَتَمَقَّدُ كُلُّ يَوْمٍ فَيُوجَدُ
الذَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ فَوْقَ رَطُوبَةٍ مَائِيَّةٍ وَأَنْفَالِ أَرْضِيَّةٍ فَيُطْفَأُ الذَّهْنُ .
ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ . وَلَا يَزَالُ يُسَمَّسُهَا وَيُطْفَأُ دُهْنُهَا حَتَّى لَا يَبْقَى

فِيهَا ذُهْنٌ . فَيُؤَخَذُ ذَلِكَ الذَّهْنُ وَيَطْبَخُهُ قَبْمُهُ . ثُمَّ يَرْقَعُهُ إِلَى خِزَانَةِ
 الْمَلِكِ وَمَقْدَارُ الذَّهْنِ الْخَالِصِ مِنَ اللَّانَا بِالْزُرْبِقِ نَحْوُ عَشْرِ الْجُمْلَةِ
 ٤٠٧ (الْجَمِيزُ) . كَأَنَّهُ تَيْنٌ يَرِي وَيُخْرَجُ ثَمَرُهُ فِي الْحَشَبِ لَا تَحْتَ
 الْوَرَقِ . وَيُخْتَلَفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةُ بَطُونٍ . وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
 وَيُحْمَلُ وَفَرَا عَظِيمًا . وَقَبْلَ أَنْ يُجْنَى بِأَيَّامٍ يَصْعَدُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرَةِ
 وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ لِيَسْمُ بِهَا حَبَّةَ حَبَّةٍ مِنَ الثَّمَرَةِ فَيَجْرِي مِنْهَا لَبَنٌ أَيْضُ .
 ثُمَّ يَسْوَدُ الْمَوْضِعُ وَيُحْمَلُ الثَّمَرَةُ بِذَلِكَ الْقَعْلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ
 شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ التَّيْنِ لَكِنَّهُ لَا يَثْبُتُ فِي آخِرِ مَضْمِنِهِ مِنْ طَعْمِ
 خَشْيَةٍ . وَشَجَرَتُهُ كَثِيرَةٌ كَشَجَرَةِ الْجُوزِ الْعَلَاتِيَةِ وَيُخْرَجُ مِنْ ثَمَرِهِ
 وَغَصْنَتِهِ إِذَا فُصِّلَتْ لَبَنٌ أَيْضُ إِذَا طَلِيَ عَلَى تَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَّغَهُ
 وَاحْمَرَّ . وَخَشَبُهُ تَعْمُرُ بِهِ الْمَسَاكِينُ وَيُتَّخَذُ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنْ
 الْأَلَاتِ الْجَفَافَةِ . وَلَهُ بَقَاءٌ عَلَى الدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَاءِ وَالشَّمْسِ . وَقَلَامًا
 يَتَأَكَّلُ هَذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ خَفِيفٌ قَلِيلُ اللَّدُونَةِ . وَيُتَّخَذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ
 خَلٌّ حَادِقٌ وَيَبِيدُ حَادٌ (من كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف)
 ٤٠٨ (الْأَسْبَةُ) . وَهِيَ شَجَرَةٌ تُشَبَّهُ أَشْجَارَ النَّارِ نَجْجٍ إِلَّا أَنَّهَا أَعْظَمُ
 أَجْرَامًا وَتَكُونُ أَوْزَاقًا . وَظِلُّهَا أَكْثَرُ الظِّلَالِ غَيْرَ أَنَّهُ ثَقِيلٌ قَدْ نَامَ ثَمَرَتُهُ
 وَعَلَتْ . وَثَمَرُهَا عَلَى قَدَرِ الْإِجَاصِ الْكَبِيرِ . فَإِذَا كَانَ أَخْضَرَ قَبْلَ تَمَامِ
 نُضْجِهِ أَخَذُوا مَا سَقَطَ مِنْهُ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ النُّلْجَ وَصَيَّرُوهُ كَمَا يُصَيَّرُ اللَّيْمُ
 وَاللَّيْمُونَ بِسَالِدِنَا وَكَذَلِكَ يُصَيَّرُونَ أَيْضًا الزَّعْجِيلَ الْأَخْضَرَ وَغَنَاقِيدَ

الْقُلُلُ وَيَأْكُلُونَ ذَلِكَ مَعَ الطَّعَامِ يَأْخُذُونَ بِأَثَرِ كُلِّ لُقْمَةٍ يَسِيرًا مِنْ
هَذِهِ الْمُلُوحَاتِ . فَإِذَا نَضِجَتِ اللَّذَنَةُ فِي أَوَانِ الْحَرِيفِ أَصْفَرَتْ حَبَاتُهَا
فَأَكَلُوهَا كَالْتَفَاحِ . فَبَعْضُهُمْ يَقْطَعُهَا بِالسَّكَنِ وَبَعْضُهُمْ يَمْصُهَا مَصًّا .
وَهِيَ حُلْوَةٌ يَمَازِجُ حَلَاوَتِهَا يَسِيرُ حَوْصَةٌ وَلَهَا نَوَافٌ كَثِيرَةٌ يَزْعُونَهَا
فَتَنْبُتُ مِنْهَا الْأَشْجَارُ كَمَا تُزْعُ نَوَى النَّارِجِ وَغَيْرِهَا (لَابِنْ بَطُولَةٍ)
٤٠٩ (الْمُوزُ) . مَعَادِنُهُ عُمَانُ . وَتَنْبُتُ الْمُوزَةُ نَبَاتُ الْبَرْدِ لَهَا عُقْرَةٌ
عَلِيظَةٌ وَوَرَقَةٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ تَحْوِي ثَلَاثَ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ . لَيْسَتْ
بِمُخْرِطَةٍ عَلَى نَبَاتِ السَّعْفِ لَكِنْ شَبَّهَ الْمَرْبَعَةَ . وَزَرْعُ الْمُوزَةِ قَامَةٌ
بَاسِطَةٌ . وَلَا تَزَالُ فِرَاحُهَا تَنْبُتُ حَوْلَهَا وَاحِدَةً أَصْفَرًا مِنَ الْأُخْرَى .
فَإِذَا أَجْرَتْ وَذَلِكَ إِدْرَاكُ مُوزِهَا قُطِعَتْ الْأُمُّ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْلِهَا وَتُؤْخَذُ
قَتْوُهَا . وَيُطْلَعُ أَكْبَرُ فِرَاحِهَا فَيَصِيرُ هُوَ الْأُمُّ وَتَبْقَى الْبَوَاقِي فِرَاحًا لَهَا وَلَا
تَزَالُ عَلَى هَذَا أَبَدَ الدَّهْرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَشْعَبُ لَا بَيْنَهُ فِيمَا يَرَوِي عَنْهُ
الْأَصْمَعِيُّ : يَا بُنَيَّ لِمَ لَا تَكُونُ مِثْلِي . فَقَالَ : أَنَا مِثْلُ الْمُوزَةِ لَا تَصْلُحُ
حَتَّى تَمُوتَ أُمُّهَا (لَا بِي حَنِيفَةُ الدِّيُورِي)

٤١٠ (الْقُلُلُ) . شَجَرَةُ الْقُلُلِ شَبِيهَةٌ بِدَوَالِي الْعِنَبِ وَأَهْلُ الْهِنْدِ
يَغْرِسُونَهَا إِزَاءَ النَّارِ جِيلٍ . فَتَصْعَدُ فِيهَا كَصُغُودِ الدَّوَالِي إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا
عُسْلُوجٌ وَهِيَ الْفَزْلُ كَمَا لِلدَّوَالِي . وَأَوْرَاقُ شَجَرِهِ تُشَبَّهُ أَوْرَاقَ الْخَلِيلِ .
وَبَعْضُهَا يُشَبَّهُ أَوْرَاقَ الْعَلِيقِ . وَيُفَرِّغُ عَنَافِيدَ صِنَارًا حَبًّا كَحَبِّ أَبِي قَتِينَةَ
إِذَا كَانَتْ خَضْرَاءَ . وَإِذَا كَانَ أَوَانُ الْحَرِيفِ قَطَفُوهُ وَفَرَشُوهُ عَلَى السُّطْرِ

فِي الشَّمْسِ كَمَا يُصْنَعُ بِالْأُغْنَبِ عِنْدَ تَرْبِيئِهِ . وَلَا يَزَالُونَ يُقْلِبُونَهُ حَتَّى
يَسْتَحْكِمَ يَبْنُوهُ وَيَسْوَدَّ . ثُمَّ يَسْبِعُونَهُ مِنَ الثَّجَارِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَدِينَةِ
قَالِقُوطٍ يُصَبُّ لِلْكَيْلِ كَالذَّرَةِ بِيَلَادِنَا (لأبن بطوطة)

النجوم

٤١١ (النجوم) كُلُّ نَبَاتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ كَالزَّرْعِ وَالْبُؤُولِ
وَالرَّيَاحِينِ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ
يُنْجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيُجْرِي يَأْسَ أَنْهَارِهَا وَيَبْشُرُ رُقَاتِ نَبَاتِهَا
حَتَّى تَرَى مِنَ الْأَوْرَاقِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ الْأَزْهَارِ مُخْضَرَّةً وَهُصْرَةً .
لِيَسْتَدِلَّ بِهِ ذُو الطَّعْمِ السَّلِيمِ . وَالتَّهْمُ الْمُسْتَقِيمِ . عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ .
وِإِعَادَةِ الْأَعْظَامِ الرُّفَاتِ

وَمِنَ الْأَمْوَرِ الْحَيَّةِ الْقُوَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْحَيِّ فَإِنَّهَا
إِذَا وَقَعَتْ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ الَّتِي
تُصْلَحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءٌ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ بِمَا حَوْلَ إِلَيْهَا . كَشَعْلَةِ نَارِ
السِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ الرُّطُوبَةَ الَّتِي فِي السِّرَاجِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ خَلْقِهَا اللَّهُ
تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ الْحَيِّ صَارَتْ
غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ حَتَّى تَبْلُغَ كَمَالَهَا . وَالنُّجُومُ فِي جِنْسِ
النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغَارِ فِي جِنْسِ الْحَيَوَانِ وَالْأَشْجَارُ وَالْكِبَارُ
كَالْحَيَوَانَاتِ الْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي
لَا عَظْمَ لَهَا شَيْءٌ كَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشْبٌ صُلْبٌ .

وَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ الْكِبَارُ فَإِنَّهَا تَصِيرُ عَلَى الْبَرِّ وَكَذَلِكَ الْأَشْجَارُ . ثُمَّ إِنَّ
عُمُولَ الْعَمَلَاءِ مُتَحَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَغَجَائِبِهَا . وَأَهْطَامُ الْأَذْيَا قَاصِرَةٌ
عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِهَا وَقَوَائِدِهَا . وَكَيْفَ لَا مَعَ مَا يُشَاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ صُورِ
قُضَائِبِهَا وَاخْتِلَافِ أَشْكَالِ أَوْزَانِهَا وَغَجِيبِ أَلْوَانِ أَزْهَارِهَا وَتَنَوُّعِ كُلِّ
لَوْنٍ مِنْهَا . كَالْحَبَّةِ مِثْلًا فَلَيْتَ مَا قَدْ تَكُونُ أَزْجَانِيَّةٌ كَمَا تَرَى فِي السُّوسَنِ .
وَقَدْ تَكُونُ مُشَبَّعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ الثُّعْمَانِ . وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً
كَالْأَذْرُوبِ . وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَالْوَرْدِ هَكَذَا حَالُ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا .
ثُمَّ غَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمَخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ الْكُلِّ فِي الطَّيِّبِ .
ثُمَّ غَجَائِبُ أَشْكَالِ جُيُوبِهَا . فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَرَقٍ وَزَهْرٍ وَعَرَقٍ شَكْلًا
وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِيَّةً بَلْ خَاصِيَّاتٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ . وَآتِي
عَرَقَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ (الْقَرْوِينِ)
٤١٢ (الْيَلَمِيَّةِ) . وَهِيَ تَمُرُّ بِقَدْرِ إِبْهَامِ الْيَدِ كَأَنَّهُ جِرَاءُ الْقَتَاةِ
شَدِيدُ الْخُضَرِ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ زَبْرًا مَشُوكًا وَهُوَ خَمْسُ الشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ
خَمْسَةُ أَضْلَاعٍ فَإِذَا شَقَّ أَتَشَقَّ عَنْ خَمْسَةِ آيَاتٍ يَتَنَاهَا حَوَاجِزُ . وَفِي
تِلْكَ الْآيَاتِ حَبٌّ مُصْطَفٍ مُسْتَدِيرٌ أَيْضًا أَصْغَرُ مِنَ الْوَيْبَاءِ هَشٌّ
يَضْرِبُ إِلَى الْخِلَافَةِ . وَفِيهِ أَلْمَائِيَّةٌ كَثِيرَةٌ . يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ اللَّحْمَ
بِأَنْ يُقَطَّعَ مَعَ قُشُورِهِ صِفَارًا وَيَكُونُ طَعَامًا لَا بَأْسَ بِهِ . أَلْفَابٌ عَلَى
طَبْعِهِ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَلَا يَظْهَرُ فِي طَبْعِهِ قُبْضٌ بَلْ رُوحَةٌ
٤١٣ (أَلْفَلَقُاسُ) . هُوَ أَصُولٌ بِقَدْرِ الْخِيَارِ . وَمِنْهُ صِفَارٌ كَالْأَصَابِعِ

يَضْرِبُ إِلَى حَرَّةٍ خَفِيفَةٍ يَشْرُتُمُ يُشَقُّ عَلَى مِثْلِ السَّلْجَمِ . وَهُوَ كَيْفُ
مُكْتَبَرٍ يُشَابِهُ الْوَزَّ الْأَخْضَرَ الْفَحَّ فِي طَعْمِهِ . وَفِيهِ قَبْضٌ يَسِيرٌ مَعَ
حَرَاةٍ قَوِيَّةٍ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَيَتَبَسَّهِ . فَإِذَا سَلِقَ زَالَتْ حَرَاةُ
جَمَلِهِ وَحَدَّثَ لَهُ مَعَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ الْيَسِيرِ لِرُوحَةٍ مُغَرَّيَةٍ كَانَتْ فِيهِ
بِالْقُوَّةِ . إِلَّا أَنَّ حَرَاةَهُ كَانَتْ تُخْفِيهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذَلِكَ صَارَ غَدَاؤُهُ
غَلِيظًا بَطِيءُ الْهَضْمِ ثَقِيلًا فِي الْمَعِدَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ
وَالْقُوَّةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمَعِدَةِ

(لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

٤١٤ : الْحَيَوَانُ مَا فِيهِ حَيَاةٌ . قَالَ الْجَالِحِيُّ : الْحَيَوَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ
أَنْصَافٍ . شَيْءٌ يَمْشِي وَشَيْءٌ يَطِيرُ وَشَيْءٌ يَسُومُ وَشَيْءٌ يَنْسَاخُ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَطِيرُ يَمْشِي وَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَمْشِي يَطِيرُ .
فَأَمَّا النَّوْعُ الَّذِي يَمْشِي فَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْصَافٍ . نَاسٌ وَبَهَائِمٌ وَسَبَاعٌ .
وَالطَّيْرُ كُلُّهُ سَبْعٌ وَبِهَيْمَةٌ وَهَمَجٌ . وَالْحَشَّاشُ مَا لَطَفَ جَرْمُهُ وَصَغُرَ جِسْمُهُ
وَكَانَ عَدِيمَ السِّلَاحِ . وَالْهَمَجُ لَيْسَ مِنَ الطُّيُورِ وَلَكِنَّهُ يَطِيرُ . وَهُوَ فِيمَا
يَطِيرُ كَالْحَشَرَاتِ فِيمَا يَمْشِي . وَالسَّبْعُ مِنَ الطَّيْرِ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ خَالِصًا .
وَالْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَ الْحَبَّ خَالِصًا . وَالْمَشْرُكُ كَالْمَصْفُورِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي
مِخْلَبٍ وَلَا مِئْسَرٍ وَهُوَ يَلْقُطُ الْحَبَّ وَمَعَ ذَلِكَ يَصِيدُ النَّمْلَ وَيَصِيدُ الْجُرَادَ
وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ وَلَا يَذُقُ فِرَاحَهُ كَمَا يَذُقُ الْحَمَامُ فَهُوَ مُشْرَكٌ الطَّبِيعَةِ .
وَأَشْبَاهُ الْمَصَافِيرِ مِنَ الْمَشْرُكِ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَا طَارَ بِجِنَاحَيْنِ مِنَ

الطيرَ فَمَذَّ يَطِيرُ الْجِعْلَانُ وَالذَّبَابُ وَالزَّنَابِيرُ وَالْجُرَادُ وَالنَّمْلُ وَأَهْرَاشُ
وَالْبَعُوضُ وَالْأَرْضَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَلَا تُسَمَّى طُيُورًا (للدميقي)

الانسان

٤١٥ (إِنْسَانُ). قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ الْإِمَامُ
الْعَلَمَةُ: لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقٌ أَحْسَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
خَلَقَهُ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا وَهَذِهِ صِفَاتُ الرَّبِّ
جَلَّ وَعَلَا. قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَهُوَ
أَعْتَدَ لَهُ وَتَسْوِيَةَ أَعْضَائِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مُنْكَبًا عَلَى وَجْهِهِ
وَخَلَقَهُ سَوِيًّا. وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِيقٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَدٌ وَأَصَابِعٌ يَقْبِضُ بِهَا. مُوَدَّبًا
بِالْأَمْرِ مُهْدَّبًا بِالتَّمْيِيزِ. يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ وَمَشْرُوبَهُ بِيَدِهِ. وَأَفْتَحَ ابْنُ
بَحْتِشُوعَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِي كِتَابَهُ فِي الْحَيَوَانِ بِالْإِنْسَانِ وَقَالَ: إِنَّهُ
أَعْدَلَ الْحَيَوَانِ مِزَاجًا وَأَكْمَلَهُ أَفْعَالًا وَأَلَطَّهُ حِسًّا وَأَنْفَذَهُ رَأْيًا. هُوَ
كَامِلُ الْمُسْلَطِ الْقَاهِرِ لِسَانِ الْخَلِيقَةِ وَالْأَمْرِ لَهَا. وَذَلِكَ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ
تَعَالَى لَهُ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ يُمَيِّزُ عَلَى كُلِّ الْحَيَوَانِ الْبَهِيمِيِّ هُوَ
بِالْحَقِيقَةِ مَلِكُ الْعَالَمِ. وَلِذَلِكَ سَمَاهُ قَوْمٌ مِنَ الْأَقْدَمِينَ الْعَالَمِ الْأَصْغَرَ

النعم

٤١٦ النَّعْمُ وَهِيَ تَشْمَلُ الْأَيْلَ وَالْبَقَرَ وَالنَّعَمَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْقَائِدَةُ
سَهْلَةٌ الْإِنْفِيَادُ. لَيْسَ لَهَا شِرَاسَةُ الدَّوَابِّ وَلَا نَفْرَةُ السَّيَاحِ. وَلَشِدَّةُ
حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا يَخْلُقُ اللَّهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى لَهَا سِلَاحًا شَدِيدًا كَأَنْيَابِ

السباع ورأيتها وأنياب الحشرات وإبرها. وجعل في شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وخلقها ذلولاً تقادياً بأيدي فيتها ركونهم ومنها يأكلون. وجعل الله قرنهما سلاحاً لتأمن به من الأعداء. ولما كان ماكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل لها أفواهاً واسعة وأسناناً حاداً وأضراساً صلاباً لتطحن بها الحب والنبأى

٤١٧ (الجاموس). هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس. وهو مع ذلك أخرج خافي الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء. والأسد يخافه. وهو مع شدته وعظله ذكي. ويقال إنه لا ينام أصلاً لكثرة حراسته لنفسه وأولاده. وإذا اجتمع ضرب دائرة وتجمع رؤسها خارج الدائرة وأذناها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل. فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصياها. والذكر منها يباح ذكر الآخر. فإذا غلب أحدهما دخل أجمه فقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوي فيخرج. ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يئله ويطرده. وهو يتنفس في الماء غالباً إلى خرطوميه. والجاموس يقتل التيساح مع عظم بدنه وهول جثته. يمشي إلى الأسد رخي البال ثابت الجنان رابط الجاش. وليس في قرنيه حدة كما في قرن البقر فضلاً عن حدة أطراف مخالب الأسد وأنيابه (للدويري)

٤١٨ (بقر). حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذلولاً متقاداً للناس. وإنما لم يخلق له سلاح شديد مثل السباع وغيرها لأنه

فِي رِعَايَةِ الْإِنْسَانِ . فَأَلْإِنْسَانُ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ السَّيَّاحِ . وَلِأَنَّ
حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَعِبَ ضَبْطُهُ .
وَالْبَقَرُ الْأَجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْسِهِ فَيَسْتَعْمِلُ مَحَلَّ الْقَرْنِ كَمَا تَرَى
مِنَ الْحَاجِلِ قَبْلَ نَبَاتِ الْقَرْنِ تَنْطَحُ بِرُؤُوسِهَا . وَذَلِكَ لِئَنِّي حَقٌّ
لِطَبِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذَلِكَ بِالطَّبْعِ . وَلَمْ يُخْلَقِ لِلْبَقَرِ التَّنَاقُصُ الْقَوَائِيَّةُ فَيَقْلَعُ
الْحَشِيشَ بِالسُّفْلَانِيَّةِ (للقزويني)

٤١٩ (ظِي الْمَسْكِ) . هُوَ كَسَائِرُ الظُّبَاءِ عِنْدَنَا فِي الْقَدِّ وَاللَّوْنِ
وِدَقَةِ الْقَوَائِمِ وَأَفْتَرَاكِ الْأُظْلَافِ وَأَنْتِصَابِ الْقُرُونِ وَأَنْتِطَافِهَا .
وَلَهَا ثَابِتَانِ دَقِيقَانِ أَيْضَانِ فِي الْمَكْنَيْنِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ الظُّبْيِ . طُولُ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْدَارُ فِترٍ وَدُونُهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابٍ أَثْقِلُ هُوَ أَثْقَرُ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ الظُّبَاءِ . وَأَجُودُ الْمَسْكِ كُلُّهُ مَا حَكَّهُ الظُّبْيُ عَلَى
أَحْجَارِ الْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةً تَصِيرُ فِي سُرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دَمَاعِطًا
كَاجْتِمَاعِ الدَّمِ فِيمَا يَرْضُ مِنَ الدَّمَامِلِ . فَإِذَا أَذْرَكَ حَكَّهُ وَأَضْجَرَهُ
فَيَنْزِعُ إِلَى الْحِجَارَةِ حَتَّى يَخْرُقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَفٌّ
وَأَنْدَمَلٌ وَعَادَتِ الْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَيْنَ ذِي قَبْلِ . وَبِاثْبَتِ رِجَالُ
يَخْرُجُونَ فِي طَلَبِ هَذَا وَلَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ . فَإِذَا وَجَدُوهُ أُلْقَطُوهُ وَجَمُّوهُ
وَأَوْدَعُوهُ التَّوَالِجَ وَجَلَّ إِلَى مُلُوكِهِمْ . وَهُوَ نَهَايَةُ الْمَسْكِ إِذْ كَانَ قَدْ
أَذْرَكَ عَلَى حَيَوَانِهِ . وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسْكِ كَفَضْلِ مَا يُدْرِكُ
مِنَ الثَّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِذْرَاكِهِ (للمسعودي)

٤٢٠ (قَرَسٌ). مِنْ أَحْسَنِ الْحَيَوَانَاتِ بَعْدَ الْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدَّ
الدَّوَابِّ عَدُوًّا وَذَكَاةً. وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ. مِنْ ذَلِكَ
حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَعْزَانِهِ وَأَعْضَانِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدُوهِ
وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِقَارِسِهِ كَيْفَ صَرَفَهُ أَنْقَادَهُ. وَمِنْهَا مَا يَلْمُ الْقَارِسُ
عَلَى ظَهْرِهِ بِالْكُرَّةِ فَلَا يَتَحْتَاجُ الرَّاكِبُ أَنْ يَصْرِفَهُ بَلْ عَيْنُهُ إِلَى الْكُرَّةِ
كُلَّمَا رَأَى الْكُرَّةَ يَبْدُو خَلْقَهَا. وَمِنْ الْقَرَسِ مَا يَتَرَفُّ صَاحِبَهُ فَلَا
يُمْكِنُ غَيْرُهُ مِنْ رُكُوبِهِ. وَمِنْ الْخَيْلِ مَا يَلْحَقُ الطَّيْرَ حَتَّى يَضْرِبَ
رَاكِبَهُ الطَّيْرَ بِالسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (ابْنُ آوَى). جَمْعُهُ بَنَاتُ آوَى وَتُنَادِي ابْنُ آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي
إِلَى عُودِ آبَاءِ جَنْسِهِ وَلَا يَنْوِي إِلَّا لَيْلًا. وَذَلِكَ إِذَا اسْتَوْحَشَ
وَبَقِيَ وَحْدَهُ. وَصِيَاحُهُ يُشَبَّهُ صِيَاحَ الصَّبِيَّانِ. وَهُوَ طَوِيلُ الْخَبَابِ
وَالْأَطْفَارِ يَبْدُو عَلَى غَيْرِهِ وَيَا كُلُّ مِمَّا يَصِيدُ مِنَ الطُّيُورِ وَغَيْرِهَا.
وَخَوْفُ الدَّلَاجِ مِنْهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ الثَّلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّ تَحْتَهَا
وَهِيَ عَلَى الشَّجَرَةِ أَوْ الْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا. وَابْنُ
آوَى يُفْسِدُ الْكُرُومَ وَالْقِمَارَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ الْمَاءِ جَمَعَ حَزْمَةً مِنْ
الْحَشِيرِ وَزَمَمَهَا فِي الْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ الطَّيْرُ بِهَا وَيَقَعَّ عَلَيْهَا.
فَإِذَا رَأَى اسْتَأْنَسَ الطَّيْرُ بِهَا جَلَّ يَمِشِي خَلْقَهَا وَيَصْطَادُ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ
٤٢٢ (الْخَنَزِيرُ). حَيَوَانٌ سَمِيحٌ الشَّكْلِ صَغْبٌ لَهُ ثَابَانِ كَنَائِي

الْقَيْلُ يَضْرِبُ بِهِمَا . وَرَأْسُهُ كَرَأْسِ الْجَامُوسِ . وَلَهُ ظِلْفٌ كَمَا لِلْبَقَرِ
يُطْلَعُ بِهِ بِالطَّيْنِ وَالْأَشْيَاءُ اللَّزْجَةُ حَتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ كَالْجَوْشَنِ لَا
تَعْمَلُ فِيهِ أَنْيَابُ الْخَنَازِيرِ عِنْدَ الْحُصُومَةِ . وَهُوَ أَنْسَلُ الْحَيَوَانَاتِ لِأَنَّهَا
تَضَعُ عَشْرِينَ خَنُوصًا . فَلِخَنَزِيرٍ يَأْكُلُ الْحَيَّةَ أَكْلًا ذَرِيًا وَسَمُ الْحَيَّةِ لَا
يَعْمَلُ فِي الْخَنَزِيرِ . وَهُوَ أَرْوَعُ مِنَ الثَّعْلَبِ . يَهْرُبُ مِنَ الْفَارِسِ حَتَّى
يَطْمَعُ فِيهِ الْفَارِسُ وَيَمْدُو خَلْقَهُ وَيَتِمُّ ثُمَّ يَكْرُ عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ الْقَرَسَ
أَوْ الْفَارِسَ ضَرْبَةً شَدِيدَةً يَنَابِهَ قَيْمَتُهُ (للقزويني)

٤٣٣ (الذئب) . حَيَوَانٌ كَثِيرُ الْخُبِّ ذُو عَارَاتٍ وَخُصُومَاتٍ
وَمَكَارَةٍ وَخَلٍّ شَدِيدٍ . وَقَلْبُهُ يُخْطِئُ فِي وَبْتِهِ . وَعِنْدَ اجْتِمَاعِهَا لَا
يَقْرَدُ أَحَدٌ مِنْهَا إِذْ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهَا . وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهَا جَرَحَةٌ
أَوْ ضَرْبَةٌ عَلِمَتْ أَنَّهُ ضَعِيفٌ أَجْتَمَعَتْ وَأَكَلَتْهُ . وَإِذَا تَأَمَّتِ الذَّنَابُ
وَاجَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا يَتَأَمُّ خَلْقَهُ حَتَّى يَنْظُرَ أَحَدُهَا إِلَى الْآخَرِ وَقِيلَ
إِنَّهُ يَتَأَمُّ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ وَيَقْفَحُ الْآخَرَى . قَالَ حَمِيدُ الْمُهَلَّبِيِّ :

يَتَأَمُّ بِإِحْدَى مُقَلَّتَيْهِ وَيَتَّقِي السَّنَابَا بِآخَرَى فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
وَإِذَا عَجَزَ عَنْ غَلَبَةِ مَنْ يُقَاوِمُهُ يَمُوتُ حَتَّى يَأْتِيَ مَا يَسْمَعُ عَوَاهٍ مِنْ
الذَّنَابِ يُبَاوِنُهُ . وَإِذَا مَرِضَ أَنْقَرَدَ عَنِ الذَّنَابِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا إِنْ أَحْسَتْ
بِمَرَضِهِ أَكَلَتْهُ . وَفِيهِ مِنْ قُوَّةِ حَاسَةِ الشَّمِّ أَنَّهُ يَذْكُرُ الشُّتُومَ مِنْ
قَرْنِخ . وَكَثُرَ مَا يَتَعَرَّضُ لِلْغَنَمِ فِي الصُّبْحِ وَإِنَّمَا يَتَوَقَّعُ قَرَّةَ الْكَلْبِ
وَنَوْمَهُ وَكَالَاهُ لِأَنَّهُ يَظَلُّ طَوْلَ لَيْلِهِ حَارِسًا مُتَّقِظًا . وَمِنْ غَرِيبِ

أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذَا صَكَّدَهُ الْجُوعُ عَوَى فَتَجَمَّعَ لَهُ الذِّئَابُ وَتَقِفُ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ فَمِنْ وَلَّى مِنْهَا وَتَبَّ إِلَيْهِ الْبَاقُونَ وَآكَلُوهُ . وَإِذَا عَرَضَ
لِلْإِنْسَانِ وَخَافَ الْفَجَرَ عَنْهُ عَوَى عَوَاءً اسْتِمَاعِيَةً فَتَسْمَعُهُ الذِّئَابُ فَتَقْبِلُ
عَلَى الْإِنْسَانِ إِقْبَالًا وَاحِدًا وَهُمْ سَوَاءٌ فِي الْخِرَاصِ عَلَى أَصْغَلِهِ . فَإِنْ
أَدْمَى الْإِنْسَانُ وَاحِدًا مِنْهَا وَتَبَّ الْبَاقُونَ عَلَى الْمُدْمَى فَمَزَقُوهُ وَزَرَكُوا
الْإِنْسَانَ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُعَاتِبُ صَدِيقًا مَالَ عَنْهُ :

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ
٤٢٤ (السُّنُورُ) . حَيَّوَانُ أُلُوفٌ مُتَمَلِّقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِدَفْعِ الْقَارِ .
وَهُوَ يُجِيبُ النَّظَافَةَ فَيَسْمَحُ وَجْهَهُ بِلَمَائِهِ . وَإِذَا تَطَلَّحَ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ
لَا يَلْبَثُ حَتَّى يُنْظَفَهُ . وَإِذَا أَلِفَ السُّنُورُ مَتَزِلًا مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ السَّنَانِيرِ
الْذُّخُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَحَارَبَهُ أَشَدَّ مُحَارَبَةٍ وَهُوَ مِنْ جَنْسِهِ عِلْمًا
مِنْهُ بِأَنَّهُ أَرْبَابُهُ رُبَّمَا اسْتَحْسَنُوهُ وَقَدَّمُوهُ عَلَيْهِ أَوْ شَارَكُوا بَيْتَهُ وَبَيْتَهُ فِي
الْمَطْعَمِ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا يَخْزُهُ أَصْحَابُ الْمَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ عِلْمًا مِنْهُ
بِمَا يَنَالُهُ مِنْهُمْ مِنَ الضَّرْبِ . وَإِذَا طَرَدُوهُ تَمَلَّقَهُمْ وَتَسَمَّحَ بِهِمْ عِلْمًا
مِنْهُ بِأَنَّهُ يُخَلِّصُهُ التَّمَلُّقُ وَيُحْصِلُ لَهُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ . وَإِذَا مَرَّ
الْقَارُ عَلَى السُّفِّ اسْتَلْقَى وَيُحْرِكُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِيَرَاهُ الْقَارُ فَيَسْقُطَ
مِنَ السُّفِّ قَرْعًا . وَإِذَا صَادَ شَيْئًا مِنَ الْقَارِ يَلْبَسُ بِهَا زِمَانًا قَرِيبًا يُخْلِصُهَا
حَتَّى تُنَمِّنَ فِي الْهَرَبِ وَظَنَّتْ أَنَّهَا نَجَتْ . ثُمَّ يَتَبُّ عَلَيْهَا وَيَأْخُذُهَا . فَلَا
يَزَالُ يُخَدِّعُهَا بِالسَّلَامَةِ وَيُورِثُهَا الْحُسْرَةَ وَالْأَسْفَ وَيَلْتَذُّ بِتَعَذُّبِهَا ثُمَّ

بأكلها. وَالسَّوَرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ. أَهْلِيٌّ وَوَحْشِيٌّ وَسَّوَرُ الزَّبَادِ.
وَكُلُّهُ مِنَ الْأَهْلِيِّ وَالْوَحْشِيِّ لَهُ نَفْسٌ غَضَبِيَّةٌ وَيَقْتَرِسُ وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ
الْحَيَّ. وَأَمَّا سَّوَرُ الزَّبَادِ فَهُوَ كَالسَّوَرِ الْأَهْلِيِّ لَكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ذَنْبًا
وَأَكْبَرُ جَنَّةً وَوَرَدَهُ إِلَى السَّوَادِ أَمِيلٌ وَرَبْمَا كَانَ أَثَمَرٌ. وَيُجْلِبُ مِنْ بِلَادِ
الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ. وَالزَّبَادُ فِيهِ شَيْءٌ بِالْوَسْخِ الْأَسْوَدِ اللَّزْجِ وَهُوَ ذِفْرُ
الرَّائِحَةِ يُخَالِطُهُ طِيبٌ كَطِيبِ الْمِسْكِ (للدِمِيرِيِّ)

٤٢٥ (النَّمِرُ). ضَرْبٌ مِنَ السَّبَاعِ فِيهِ شَبَهُ مِنَ الْأَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ
أَصْفَرُ مِنْهُ. وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَسَطَوَةٌ صَادِقَةٌ وَوَثَابَتٌ شَدِيدَةٌ وَهُوَ
أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْحَيَوَانَاتِ. وَهُوَ ذُو وَشْيٍ وَأَلْوَانٍ حَسَنَةٍ لَا يَرُدُّعُهُ
سَطَوَةٌ أَحَدٍ وَلَا يَتَصَرَّفُ عَنِ الْمَسْكِرِ الدِّهْمِ. وَخُلُقُهُ فِي غَايَةِ الضِّيقِ
لَا يَسْتَأْنِسُ الْبَتَّةَ وَعِنْدَهُ كِبَرٌ وَعَجَبٌ بِنَفْسِهِ إِذَا شَبِعَ نَامَ أَيَّامًا فَإِذَا
أَنْتَبَهَ جَانِمًا خَرَجَ شَدِيدًا يَعْرِفُ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ
الْصَّيْدَ. وَالنَّمِرُ يَتَرَضُّ لِكُلِّ حَيَوَانٍ رَأَاهُ فِي جُوعِهِ وَشِبَعِهِ بِخِلَافِ
الْأَسَدِ فَإِنَّهُ لَا يَتَرَضُّ لِلْحَيَوَانِ إِلَّا عِنْدَ جُوعِهِ

الطيور

٤٢٦ (أَبُو بَرَاقِشَ). طَائِرٌ حَسَنُ الصُّورَةِ طَوِيلُ الرِّقَةِ وَالرِّجْلَيْنِ
أَحْمَرُ الْبَنْقَارِ فِي حُجْمِ الْفَلَقِ. يَتَلَوْنَ كُلُّ سَاعَةٍ بِلَوْنٍ آخَرَ مِنْ أَحْمَرٍ
وَأَصْفَرٍ وَأَخْضَرَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي التَّنَقُّلِ وَالتَّحْوِيلِ. قَالَ الشَّاعِرُ:
كَأَيِّ بَرَاقِشَ كُلِّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَغَلَّبُ

وَعَلَى لَوْنِ هَذَا الطَّائِرِ نُسِجَتُ ثِيَابٍ تُسَمَّى أَبَا قَلْمُونٍ تَجَلُّبُ مِنَ
الرُّومِ . وَتَجَبُّ هَذَا الطَّائِرُ فِي لَوْنِهِ وَشَكْلِهِ (للقزويني)
٤٢٧ (الذيك) . أَكْثَرُ الطُّيُورِ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَبْلَهُ الطَّبِيعَةِ
وَعَلَامَتُهُ حُمْرَةُ الرَّفِّ وَغَلْظُ الرِّقَّةِ وَضِيقُ الْعَيْنِ وَسَوَادُهَا وَحِدَّةُ
الْحَنَابِلِ وَرَفْعُ الصَّوْتِ . وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْحَنَابِلِ مَرْقَةُ الْأَوَقَاتِ
الَّلَّيْلِيَّةِ . فَيَقْطُرُ أَصْوَاتَهُ عَلَيْهَا تَفْصِيلاً لَا يَكَادُ يُنَادِرُ مِنْهُ شَيْئاً سِوَاهُ
حَالٍ أَوْ قَصْرٍ . وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَهُ قُسْبِجَانٍ مِنْ هَذَا
لِذَلِكَ . قَالَ ابْنُ الْمُتَرِّصِفِ دِيكًا :

بَشَّرَ بِالصُّبْحِ طَائِرٌ هَتَفًا هَاجَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا انْتَصَفَا
مُذَكِّرٌ بِالصَّاحِ صَاحَ بِنَا كَحَاطِبٍ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا
صَفَقَ إِمَامًا أَرْيَاحَهُ لِسَانُ الْفَجْرِ وَإِمَامًا عَلَى الدُّجَا أَسْفَا
٤٢٨ (الصَّغْرُ) . أَحَدُ أَنْوَاعِ الْجَوَارِحِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الصَّغْرُ
وَالشَّاهِينُ وَالْعُقَابُ وَالْبَازِي وَتَمَّتْ أَيْضًا بِالسَّيَاحِ . وَهُوَ أَصْبَرُ عَنْ
الشَّدَةِ وَأَحْمَلُ لِلْفَيْظِ الْغَذَاءُ وَالْأَذَى وَأَحْسَنُ الْفَأَا وَأَشَدُّ إِفْدَامًا عَلَى
جَمَلَةِ الطُّيْرِ مِنَ الْكُرْكِيِّ وَغَيْرِهِ . وَصَيْدُهُ أَنْجَبُ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ
فَإِذَا أُرْسِلَ صَفَرَانِ عَلَى ظَبْيَةٍ أَوْ بَقَرٍ وَخَسٍ يَنْزِلُ أَحَدُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ
وَيَضْرِبُ بِمِجَنَّاخِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُومُ وَيَنْزِلُ الْآخَرُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ
وَيَشْتَلَانِهِ عَنِ الشَّيْءِ حَتَّى يُدْرِكَهُ مَنْ يَبْطِشُ بِهِ . وَمِنْ أَنْجَبِ أَنْ
الصَّغْرُ مَعَ صَفْرِ جُثَّتِهِ يَتَّبِعُ عَلَى الْكُرْكِيِّ مَعَ ضَخَامَتِهِ (للدميمري)

٤٢٩ (الهُبْرَةُ). الطَّائِرُ ذُو الْأَصْوَابِ الْمُطْرِبَةِ وَالنَّعْمَاتِ اللَّذِيذَةِ عَلَى رَأْسِهِ قُتْرَعَةٌ شَبِيهَةٌ بِمَا لِلطَّائِرِ وَهُوَ شَدِيدُ الْإِحْتِيَاطِ إِذَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ يَنْظُرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَوَرَاءَهُ. وَمَعَ كَثَرَةِ احْتِيَاطِهِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ يَتَخَذُ عَشَائِجِيًّا لَهُ تَأْلِيفٌ مُعْجِبٌ. وَهُوَ أَنَّهُ يَمْعِدُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَعْوَادٍ مِنْ شَجَرَةِ الْكُرْمِ أَوْ شَجَرَةٍ مِثْلَهَا عَرِيضَةً الْأَوْدَاقِ. وَيَأْتِي بِجَشِيشٍ فِي غَايَةِ اللُّطَافَةِ وَيُلْسِجُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْوَادِ سُلَيْلَةً لَطِيفَةً عَجِيبَةً التَّأْلِيفِ لَا يُمَكِّنُ لِلْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا. وَيَدْعُ الْيَضَّةَ فِيهَا وَتَكُونُ السُّلَيْلَةُ مُسْتَتِرَةً بِأَوْدَاقِ الشَّجَرِ لَا يَرَاهَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ. حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ: كَانَ طَرَفَةٌ مَعَ عَمَةٍ فِي سَفَرٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ قَتَلُوا عَلَى مَاءٍ فَذَهَبَ طَرَفَةٌ بِفَحٍّ لَهُ إِلَى مَكَانٍ فَنَصَبَهُ لِلْقَتَايِرِ وَبَقِيَ عَامَّةٌ يَوْمِهِ لَمْ يَحِدْ شَيْئًا. ثُمَّ حَمَلَ فَحَّهُ وَعَادَ إِلَى عَمَةٍ فَرَحَلُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَرَأَى الْقَتَايِرُ يَلْفُظْنَ مَا نَثَرْنَهُ مِنْ الْحَبِّ فَقَالَ: يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَاكَ الْجَوْفِيُّضِيُّ وَأَصْفَرِي قَدْ رُفِعَ أَفْحُ فَإِذَا تَحْذَرِي وَتَقْرِي مَا شَتَّ أَنْ تُقْرِي قَدْ ذَهَبَ الصِّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي لَا بُدَّ مِنْ أَخْذِكَ يَوْمًا فَأَحْذَرِي

الهوام والمشرات

٤٣٠ (حَيَّةٌ). وَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْحَيَوَانَاتِ خِلْقَةً وَأَشَدِّهَا بَأْسًا وَأَقْلَمًا غِذَاءً وَأَطْوَلَهَا عُمُرًا. قَالُوا لَيْسَ فِي حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ شَيْءٍ يَقْتُلُ نَهْشُهُ أَسْرَعَ مِنَ الْحَيَّةِ وَلَا شَيْءٍ يَنْتَفِي بِالْتُّرَابِ غَيْرُهَا. وَمِنْ عَجَائِبِ الْحَيَّةِ

أَنَّهُ إِذَا عَرَفَتْ أَنَّهَا مَمْتُولَةٌ أَحْرَزَتْ رَأْسَهَا بِبَنَنِهَا وَجَعَلَتْ بَنَنِهَا وَقَايَةً
لِرَأْسِهَا وَلَا تَزَالُ تَطْوِي لِلْأُتَى الضَّرْبَةَ عَلَى رَأْسِهَا مَلَكَ الْحَيَاةِ .
وَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْحَيَّةِ إِلَّا وَجَسَمُ الْحَيَّةِ أَقْوَى مِنْهُ .
وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي جُحْرٍ أَوْ صَدَعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ
إِخْرَاجَهَا مِنْهُ وَرَبَّمَا تَقَطَّعَتْ وَلَا تَخْرُجُ . وَلَيْسَ لَهَا قَوَائِمٌ وَلَا أَظْفَارٌ
تَنْتَبِثُ بِهَا وَإِنَّمَا قُوَى ظَهْرُهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ لِكَثْرَةِ أَضْلَاحِهَا فَإِنَّ لَهَا
ثَلَاثِينَ ضِلْعًا . وَإِذَا مَسَّتْ عَلَى بَطْنِهَا فَتَدْفَعُ أَجْزَاؤُهَا وَتَسْمَى بِذَلِكَ
الدَّفْعُ الشَّدِيدُ . وَلِسَانُهَا مَشْفُوقٌ فَيُظَنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ .
وَيُوصَفُ بِالنَّهْمِ وَالشَّرِّهِ لِأَنَّهَا تَنْتَلِعُ الْفَرَاحَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ كَمَا يَفْعَلُ
الْأَسَدُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا أَبْطَلَتْ شَيْئًا لَهُ عَظْمٌ أَتَتْ شَجَرَةً أَوْ نَحْوَهَا
فَتَلْوِي عَلَيْهَا أَلْتَوَاءً شَدِيدًا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذَلِكَ فِي جَوْفِهَا . وَالْحَيَّةُ مِنْ
الْأُمَمِ الَّتِي تَكْثُرُ أَصْنَافُهَا فِي الصَّغَرِ وَالْكِبَرِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَالْهَرَبِ
مِنْهُمْ . فَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا وَطِئَتْهُ وَإِطَى وَمِنْهَا مَا لَا يُؤْذِي إِلَّا إِذَا
أَذَاهُ النَّاسُ مَرَّةً . وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي يَتَخَذُ وَيَكْمُنُ حَتَّى يُدْرِكَ
طَالِبَهُ . وَشَرُّ الْحَيَّاتِ الْأَقَاعِي وَمَسَاكِنُهَا الرَّمَالُ وَالْأَفْئِي حَيْثُ رَفَشَاهُ
دَقِيقَةُ الْمُتَّقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَالْبَقَرُ الْوَحْشِيُّ يَأْكُلُهَا أَكْثَلًا ذَرِيعًا
وَهِيَ أَعْدَى عَدُوٍّ لِلْإِنْسَانِ . قَالَ الْجَالِظُ : الْأَفْعَاءُ تَظْهَرُ الصَّيْفَ فِي
أَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ وَفَجَّ ظَاهِرُ الْأَرْضِ فَتَأْتِي قَارِعَةُ الطَّرِيقِ وَتَسْتَدِيرُ
كَأَنَّهَا رَحًا وَيَلْصِقُ بَنَنِهَا بِالْأَرْضِ وَيَشْخَصُ رَأْسُهَا مُتَعَرِّضَةً لِأَنْ يَطَّأ

إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةً لِّتَنْهَشَهُ وَتُتِمَّ مَوْتُ سَرِيعٌ

٤٣١ (التَّجَابُ). حَيَّوَانٌ عَلَى حَدِّ الْبُرُوعِ. أَكْبَرُ مِنَ الْقَارِ وَشَرُّهُ فِي غَايَةِ النُّمُوَّةِ يَتَّخِذُ مِنْ جُلْدِهِ الْفَرَّاءَ يَلْبَسُهُ الْمُتَنَعِمُونَ. وَهُوَ شَدِيدُ الْحِيلِ إِذَا أَبْصَرَ الْإِنْسَانَ صَعِدَ الْعَالِيَةَ وَفِيهَا يَأْوِي وَمِنْهَا يَأْكُلُ. وَهُوَ كَثِيرُ بِلَادِ الصَّقَالِبَةِ وَالْتَّرِكِ وَمِزَاجُهُ حَارٌّ رَطْبٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ عَنْ حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ. وَأَحْسَنُ جُلُودِهِ الْأَزْرَقُ الْأَمَّاسُ

٤٣٢ (عَرَبٌ). أَخْبَتُ الْحَشَرَاتِ. تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَرْجُلٍ وَعَيْنَانِ عَلَى بَطْنِهَا. وَإِذَا لَدَغَتْ هَرَبَتْ فِي الْحَالِ. وَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا أَوَّلُ اللَّيْلِ تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ مِنْ حَيَّوَانٍ أَوْ جَادٍ وَرَبَّمَا ضَرَبَتْ الْحَجَرَ وَالْمَدْرَ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ:

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَرَبًا وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
قُلْتُ لَهَا إِنَّهَا صَخْرَةٌ وَطَبَعُكَ مِنْ طَبْعِهَا أَلَيْسَا
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَعْرِضَهَا مِنْ أَنَا

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهَا أَنَّهَا لَا تَضْرِبُ الْمَيِّتَ وَلَا النَّائِمَ حَتَّى تَحْرِكَ بِشَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُهُ. وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا لَسَمَتْ الْإِنْسَانَ فَرَّتْ فِرَارَ مُسِيٍّ يَخْشَى الْمَقَابَ (للدِمِيرِي)

٤٣٣ (قُتْمُذُ). الْحَيَّوَانُ الَّذِي سِلَاحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ الشُّوْكُ الَّذِي عَلَيْهِ وَيَقَعُ بِحَيْثُ لَا يَتَّيْنُ مِنْ أَطْرَافِهِ شَيْءٌ. وَيَسْتَطِيبُ الْهَوَاءَ وَيَتَّخِذُ لِمَسْكِنِهِ بَابَيْنِ أَحَدُهُمَا مُسْتَقْبِلُ الشِّمَالِ وَالْآخَرُ مُسْتَقْبِلُ الْجَنُوبِ.

وَيُعَادِي الْحَيَّةَ فَإِنْ ظَفِرَ بِمَقَاهَا أَكَلَهَا بِأَهْلٍ طَرِيقٍ وَإِنْ ظَفِرَ بِذَنَبِهَا
عَضَّ ذَنَبَهَا وَيَقْبَعُ . وَيُعْطِي الْحَيَّةَ ظَهْرَهُ فَالْحَيَّةُ تَضْرِبُ نَفْسَهَا عَلَى شَوْكِهِ
حَتَّى تَهْلِكَ . وَيَصْعَدُ الْكُرْمُ وَيَرْمِي حَبَاتِ الْعَنَاقِيدِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ
يَتَرَعَّخُ فِي الْحَبَاتِ لِيَدْخُلَ شَوْكُهُ فِي الْحَبَاتِ وَيَجْعَلُهَا إِلَى أَوْلَادِهِ .
وَمِنْهَا صَنْفٌ يُقَالُ لَهُ الدُّدُلُ وَهُوَ أَكْبَرُ جَسَمًا مِنْ الْقَنْفَذِ وَأَطْوَلُ شَوْكًا .
نُسِبَتْهُ إِلَى الْقَنْفَذِ كَنَسَبَةِ الْجَلَامُوسِ إِلَى الْبَقَرِ قَالُوا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ
بِشَوْكِهِ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ عَدُوًّا يَرْمِيهِ كَرَمِي النَّشَابِ وَلَا يُنْطَلِ .
فَقَرُّ الشَّوْكَةِ كَرَمِي النَّشَابِ الْمُسَدِّ وَتَثَبْتُ فِيهِ

٤٣٤ (غُلُّ) . حَيَوَانٌ حَرِيصٌ عَلَى جَمْعِ الْغِذَاءِ وَهُوَ عَظِيمُ الْحِيلَةِ فِي
طَلَبِ الرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ . وَيُقَالُ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْهَا رُؤُوسًا وَهَامًا . وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يُحْتَكِرُ قُوَّتَهُ مِنْ زَمَنِ
الصَّيْفِ لَزَمَنِ الشِّتَاءِ . وَلَهُ فِي الْأَحْتِكَارِ مِنَ الْحِيلِ مَا إِنَّهُ إِذَا احْتَكَرَ
مَا يَخَافُ إِنْ بَاتَهُ قَسَمَهُ يَصِفِينَ مَا خَلَا الْكُسْبَرَةَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُهَا أَرْبَاعًا مَا أَلْهِمَ
مِنْ أَنْ كُلَّ يَصِفِ مِنْهَا يَثْبُتُ وَإِذَا خَافَ الْعَفْنَ عَلَى الْحَبِّ أَخْرَجَهُ إِلَى
ظَاهِرِ الْأَرْضِ وَشَرَّهُ . وَإِذَا أَحْسَتْ بِالْقَمِ بِالنِّعَمِ رَدَّتْهُ إِلَى مَكَانِهَا خَوْفًا مِنْ
الْمَطَرِ . فَإِنْ أَتَبَلَ شَيْءٌ مِنْهَا تَبَسُّطُهُ يَوْمَ الصُّبْحِ فِي الشَّمْسِ . وَمِنْ عَجَائِبِهِ
اتِّخَاذُهُ الْقَرِيَّةِ تَحْتَ الْأَرْضِ وَفِيهَا مَنَازِلُ وَدَهَالِيزُ وَغُرَفٌ وَطَبَقَاتُ
مَنْعُطَاتٍ يَمْلَأُهَا حُبُوبًا وَدَخَارَ الشِّتَاءِ . وَتَجْعَلُ بَعْضُ يُوتِيهَا مُنْقَضًا
لِيَنْصَبَّ إِلَيْهِ الْمَاءُ وَبَعْضُهَا مُرْتَفِعًا لِلْحَبِّ . وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ لَطَافَةِ

مُخَصَّصِهِ وَخَصَّهُ وَزَنَّهُ لَهُ شَمَّ لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَيَّوانِ مِثْلُ ذَلِكَ . فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ يَدِ الْإِنْسَانِ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَى فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ فَلَا يَلِيقُ أَنْ يُقِيلَ كَالْحَيْطِ الْأَسْوَدِ الْمُدَوْدِ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ . وَيَشَمُّ رَائِحَةَ الشَّيْءِ الَّذِي لَوْ وَضَعْتَهُ عَلَى أَنْفِكَ مَا وَجَدْتَ لَهُ رَائِحَةً (للقزويني)

السَّمَكُ

٤٣٥ السَّمَكُ مِنْ خَلْقِ الْمَاءِ وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُ كِبَارٌ . وَمَا لَا يُدْرِكُهُ الطَّرْفُ لِصِغَرِهِ وَكُلُّ يَأْوِي الْمَاءَ وَيَسْتَنْشِقُهُ كَمَا يَسْتَنْشِقُ بَنُو آدَمَ وَحَيَّوانُ الْبَرِّ الْهَوَاءَ إِلَّا أَنَّ حَيَّوانَ الْبَرِّ يَسْتَنْشِقُ الْهَوَاءَ بِالْأَنْفِ وَيَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى قَصَّةِ الرِّئَةِ . وَالسَّمَكُ يَسْتَنْشِقُ بِأَصْدَانِهِ فَيَقُومُ لَهُ الْمَاءُ فِي تَوَلُّدِ الرُّوحِ الْحَيَّوانِيِّ فِي قَلْبِهِ مَقَامَ الْهَوَاءِ . وَإِنَّمَا اسْتَعْنَى عَنْ الْهَوَاءِ فِي إِقَامَةِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَسْتَعِنْ نَحْنُ وَمَا أَشْبَهَنَا مِنَ الْحَيَّوانِ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْمَاءِ وَنَحْنُ مِنْ عَالَمِ الْأَرْضِ . وَصِغَارُ السَّمَكِ تَحْتَرِسُ مِنْ كِبَارِهِ وَلِذَلِكَ تَطْلُبُ مَاءَ الشُّطُوطِ وَالْمَاءُ الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يَحْدِلُ الْكَبِيرَ . وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَكَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُ الْخَرِجَةَ لِلْإِرَادَةِ تَجْرِي فِي مَسَلِّكَ وَاحِدٍ لَا يَقْسِمُ فِي عُضْوٍ خَاصٍّ . وَهَذَا يَسْتَعْنَى بِمَوْجُودٍ فِي الْحَيَاتِ . وَمِنْ جَمَلَةِ أَنْوَاعِهِ السَّقْفُورُ وَالذَّلَّهَيْنُ وَالْخَرَشَفُ وَالْأَتَسَاحُ . وَمِنْ أَصْنَافِهِ مَا هُوَ عَلَى شَكْلِ الْحَيَاتِ وَغَيْرُ ذَلِكَ

٤٣٦ (الذَّلَّهَيْنُ) . دَابَّةٌ مِنَ الْبَحْرِ تُتَجَّى الْقَرِيقَ ثُمَّ كَنَّهُ مِنْ ظَهْرِهَا لَيْسَتَيْنِ بِهِ عَلَى السِّبَاحَةِ . وَهُوَ كَثِيرٌ بِالْوَغْرِ نِيلٍ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ

أَلْعَجُ لِأَنَّهُ يَنْدِفُ بِهِ الْبَحْرُ إِلَى الْبَيْلِ . وَصَفَتْهُ كَهَيْفَةِ الرِّقِّ الْمُنْفُوخِ
وَلَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ جَدًّا وَلَيْسَ فِي دَوَابِّ الْبَحْرِ مَالُهُ رُبُّهُ سِوَاهُ فَلِذَلِكَ
يُسْمَعُ مِنْهُ الْفُحْ وَالنَّفْسُ . وَهُوَ إِذَا ظَهَرَ بِالْفَرِيقِ كَانَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي
تَحَارِكِهِ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْبَرِّ حَتَّى يُنَجِّهَهُ . وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا وَلَا
يَأْكُلُ إِلَّا الْأَسْمَكَ . وَرُبَّمَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ وَهُوَ يَلِدُ وَيَرْزُقُ .
وَأَوْلَادُهُ تَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَلَا يَلِدُ إِلَّا فِي الصَّيْفِ . وَمِنْ طَبْعِهِ الْأَنْسُ
بِالنَّاسِ وَإِذَا صِيدَ جَاءَتْ دَلَّافِينَ كَثِيرَةٌ لِقِتَالِ صَانِدِهِ . وَإِذَا لَيْثٌ فِي
الْمَنْقِ حِينَ جَسَّ نَفْسُهُ . ثُمَّ صَعِدَ مُسْرِعًا مِثْلَ السَّهْمِ لَطَلَبِ النَّفْسِ
فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِينَةٍ وَتَبَّ وَثْبَةٌ أَرْتَفَعَ بِهَا السَّفِينَةُ (للدِمِيرِي)

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي التَّارِيخِ

ذَكَرَ دَوْلَةُ الْكَلْدَانِيِّينَ (مِنْ ١٩٠٠ إِلَى ٥٣٨ قَبْلَ الْمَسِيحِ)

٤٣٧ الْكَلْدَانِيُّونَ أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ الرِّبَاسَةِ نَبِيَّهُ الْمُلُوكُ . كَانَ مِنْهُمْ
النَّمَارِدَةُ الْجَبَّارَةُ الَّذِينَ كَانَ أَوَّلُهُمْ نَمْرُودَ مِنْ بَنِي حَامٍ بَابِي الْبَحْرِ .
وَكَانَ مِنْ وَلَدِهِ نَمْرُودَ بَنَتْ نَسْرُ الَّذِي غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا
كَثِيرًا وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ . وَغَزَا مِصْرَ وَأَفْتَحَهَا وَدَوَّخَ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ
(٦٠٦) . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُ الْكَلْدَانِيِّينَ يَبْلُغُ إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْفَرَسُ

وَعَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ قَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَطُبِستْ
 آثارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عَنَاءَةٌ بِأَرْصَادِ الْكَوَاكِبِ وَتَحْقُقُ بِلَعْمِ أَسْرَارِ
 أَهْلِكَ وَمَعْرِفَةِ مَشْهُورَةِ طَبَائِعِ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا. وَهُمْ نَهَجُوا لِأَهْلِ
 الشَّقِ الْقُرْبَى مِنْ مَعْنُورِ الْأَرْضِ الطَّرِيقَ إِلَى تَدْيِيرِ الْهَيَاكِلِ
 لِأَظْهَارِ طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ التَّدَايِيرِ الْخُصُوصَةِ بِهَا. وَلَمْ يَصِلْ
 الْبَنَانُ مِنْ مَذَاهِبِ الْكَلْدَانِيِّينَ فِي حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْصَادِهِمْ
 غَيْرُ الْأَرْصَادِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْجِسْطِيِّ

ذَكَرَ الْفَرَسِ وَدَوْلَهُمْ مِنْ لِسْتَرٍ مِنْ مَلُوكِهِمْ

٤٣٨ أَمَّا الْفَرَسُ فَأَهْلُ الشَّرَفِ الشَّائِخِ وَالنَّزْرِ الْبَادِخِ وَأَوْسَطُ
 الْأُمَمِ دَارًا وَأَشْرَفُهُمْ إِقْلِيمًا وَأَسْوَسُهُمْ مَلُوكًا تَجَمُّعُهُمْ وَتَدْفَعُ ظُلُمُهُمْ عَنْ
 مَظَالِمِهِمْ. وَتَحْمِلُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى مَا فِيهِ حَظُّهُمْ. عَلَى اتِّصَالِ وَدَوَامِ.
 وَأَحْسَنَ الْبَنَانِ وَأَنْتِظَامِ. وَخَوَاصُّ الْفَرَسِ عَنَاءَةٌ بِالْفَنِّ بِصِنَاعَةِ الطَّبِ
 وَمَعْرِفَةِ نَاقِبَةِ أَحْكَامِ النُّجُومِ. وَكَانَتْ لَهُمْ أَرْصَادُ قَدِيمَةٍ وَقَالَ
 بَعْضُ عُلَمَاءِ النُّجُومِ: أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ بَعْدَ الطُّوفَانِ كُيُومَرْتُ مِنْ بَنِي
 سَامٍ. وَكَانَ يَنْزِلُ فَارِسَ وَاتَّخَذَ الْأَلَاتِ لِإِصْلَاحِ الطَّرِيقِ وَخَفِيَ
 الْأَنْهَارَ وَذَنَجَ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَقَتَلَ السَّبَاعِ. وَمَا زَالَ الْمَلِكُ فِي
 وَلِيهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ دَارًا الَّذِي غَزَاهُ الْأَسْكَندَرُ وَقَتَلَ فِي الْمَرْكَةِ (٣٣٣).
 ثُمَّ مَلَكَتِ الدَّوْلَةُ الْأَشْكَانِيَّةُ وَأَوَّلُهُمْ أَشْكَ (٢٦٦ قَبْلَ الْمَسِيحِ)
 وَاسْمُ خُلَفَائِهِ بِالشَّاهِيَّةِ. وَدَامَ الْمَلِكُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ الْمَمَالِكُ

السَّاسَانِيَّةُ (٢٧٦ للمسيح) أَوْلَهُمُ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ مِنْ بَنِي كُشْتَا سَابَ
فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَبَسَطَ الْمَدَلَ (لاي العرج)

٤٣٩ وَاشْتَهَرَ فِي الدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ (سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ ٢٤١ -

٢٧٢) وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ حَازِمًا مَخْصَصًا إِلَى تَصْيِيبِ فَلَكَهَا عَنُودَ .

فَقَتَلَ وَسَبَى وَأَفْتَحَ مِنَ الشَّامِ مَدَنًا وَأَسَرَ وَالْأَرِيَانُسَ وَحَمَلَهُ إِلَى

جُنْدِيسَابُورَ وَيُقَالُ جَدَعَ أَنْفَهُ بِلَ قَتْلِهِ . وَيُقَالُ فِي زَمَانِهِ اسْتُخْرِجَتْ

الْعُودُ وَهِيَ الْمَلَاهُ الَّتِي يُنْتَجَى بِهَا . وَمِنْهُمْ (بَهْرَامُ بْنُ هُرْمُزَ ٢٧٦) وَكَانَ

حَلِيمًا وَقُورًا وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَأَقْتَدَى بِأَبَائِهِ وَكَانَ مَا يَنِي صَاحِبُ الْقَوْلِ

بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ فِي أَيَّامِهِ فَجَمَعَ بِهْرَامُ الْعُلَمَاءَ لِامْتِحَانِهِ فَأَشَارُوا بِكُفْرِهِ

فَقَتَلَهُ . وَمِنْهُمْ (سَابُورُ بْنُ هُرْمُزَ ٣١٠ - ٣٨٠) . وَظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ

عَظِيمَةٌ مِنْ صِبَاهٍ وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ الْعُرْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً انْتَحَبَ فُرْسَانُ

عَسْكَرِهِ عِدَّةً وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْعَرَبِ وَقَتَلَ مِنْ وَجَدَهُ مِنْهُمْ . وَكَانَ يَنْزِعُ

الْكَتَافَ الْأَمْرِي فَسَمِي سَابُورَ ذَا الْأَكْتَافِ . وَلَمْ يَنْزِلْ بِمَاءٍ لِلْعَرَبِ

إِلَّا وَغَرَّهُ وَلَا يَبْرُ إِلَّا وَطَمَهَا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ

وَسَبَى حَتَّى هَادَنَهُ قُسْطَنْطِينُ . وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِيَ قُسْطَنْطِينُ

وَبُوهُ . ثُمَّ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ يُليَانُسُ وَارْتَدَّ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَتَلَ

النَّصَارَى وَأَخْرَبَ الْكِنَانِسَ وَأَحْرَقَ الْأَنْجِيلَ . وَسَارَ إِلَى قِتَالِ سَابُورَ

فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ غَرَبَ فِي فُؤَادِهِ فَتَلَّهُ (٣٦٣) . وَانْتَضَمَ

الْصُلْحُ وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ . وَمِنْهُمْ (أَثُوشَرَوَانُ ٥٣١) هَذَا

قَوِي بَعْدَ ضَعْفِهِ بِإِدَامَةِ النَّظَرِ وَهَجْرِ الْمَلَادِ وَتَزَكِّيِ اللَّهِ . وَقَوَّى جُنْدَهُ
بِالْأَسْلِحَةِ وَالْكَرَاعِ وَعَمَّرَ أَلْيَادَهُ وَرَدَّ إِلَى مُلْكِهِ كَثِيرًا مِنْ الْأَطْرَافِ
الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ بِعِلَالٍ وَأَسْبَابِ شَتَّى مِنْهَا السِّندُ وَطَخَارِيسْتَانُ
وَدُورُسْتَانُ وَغَيْرُهَا وَبَنَى الْمَعَاقِلَ وَالْحُصُونِ . وَمِنْهُمْ هَرْمُزُ بْنُ
أَنُوشِروَانَ (٥٧٩) وَكَانَ عَادِلًا يَأْخُذُ لِلْأَدْنَى مِنَ الشَّرِيفِ وَبَالِغٌ فِي
ذَلِكَ حَتَّى أَنْبَضَهُ خَوَاصَهُ وَأَقَامَ الْحَقَّ عَلَى بَيْنِهِ وَحُبِّيهِ وَأَفْرَطَ فِي
الْعَدْلِ . ثُمَّ تَوَارَثَ بَنُوهُ الْمُلُوكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ يَزْدَجَرْدُ بْنُ شَهْرِيَارِ الْعَادِلِ
وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الْفَرَسِ . فَلَمَّا مَلَكَ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ وَتَفَاقَتْ
أُمُورُهَا وَطَلَمَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ بِالنُّصْرَةِ (٦٤١) (لَا فِي الْقِدَامِ)

نظر في دولة اليونانيين وفلاسفهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٠ أَمَّا الْيُونَانِيُّونَ فَكَانُوا أُمَّةً عَظِيمَةً الْقُدْرَةِ فِي الْأُمَمِ . طَائِرَةٌ
الذِّكْرِ فِي الْأَقَاوِيقِ فَحَمَّةُ الْمُلُوكِ . مِنْهُمْ الإسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيْفُوسَ
الْمَقْدُونِيَّ (٣٣٦) الَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طَرًّا عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ .
وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْبَطَالِسَةُ (٣٠١ - ٣٠) دَامَتْ
لَهُمُ الْمَالِكُ وَذَلَّتْ لَهُمُ الرِّقَابُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا إِلَى أَنْ غَلَبَ
عَلَيْهِمُ الرُّومُ . وَكَانَتْ بِلَادُ الْيُونَانِيِّينَ فِي الرُّبْعِ الْغَرْبِيِّ الشِّمَالِيِّ مِنَ
الْأَرْضِ . وَالْقِسْمُ الْأَعْظَمُ مِنْهَا فِي حِيزِ الْمَشْرِقِ وَالْقِسْمُ الْأَصْغَرُ مِنْهَا
فِي حِيزِ الْمَغْرِبِ . وَلُغَةُ الْيُونَانِيِّينَ أَوْسَعُ اللُّغَاتِ وَأَجْلَاهَا . وَكَانَتْ عَامَّةُ
الْيُونَانِيِّينَ صَابِيَةً مُعْظِمَةً لِلْكَوَائِبِ دَائِمَةً بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . وَالْفَلَسِيفَةُ

مِنْهُمْ مَنْ أَرْفَعَ النَّاسَ طَبَقَةً وَأَجَلَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مَنَزَلَةً لِمَا طَهَّرَ مِنْهُمْ مِنْ
 الْإِعْتِنَاءِ بِقُنُونِ الْحِكْمَةِ وَمَعَارِفِ السِّيَاسَاتِ الْمُنْزَلِيَّةِ (لَا يَلِي الْقِرَج)
 ٤٤١ وَجَمِيعُ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ مَأْخُودَةٌ عَنِ الْيُونَانِيِّينَ مِثْلُ الْعُلُومِ
 الْمُنَظَّمَةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ . وَالْعِلْمُ الرِّيَاضِيُّ مُشْتَمِلٌ عَلَى
 عِلْمِ أَلْمِيتَةِ وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْحِسَابِ وَالنُّحُونِ وَالْإِقْبَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَكَانَ
 الْعَالَمُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ يُسَمَّى فَيْلَسُوفًا وَتَفْسِيرُهُ مَحَبُّ الْحِكْمَةِ . وَمِنْ
 فَلَسَفِيهِمْ (ثَالِيسُ الْمَلَطِي ٦٣٩) . (وَفِيئَاغُورُسُ ٤٨٠) مِنْ كِبَارِ الْحُكَمَاءِ
 وَالْمَلَكِيِّينَ . كَانَ يَقُولُ : مَا سَمِعْتُ شَيْئًا أَلَدَّ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ وَلَا
 رَأَيْتُ شَيْئًا أَبْعَى مِنْ صُورَتِهَا . وَمِنْهُمْ بَقْرَاطُ الْحَكِيمِ الطَّيِّبُ
 الْمَشْهُورُ . وَمِنْهُمْ (سُقْرَاطُ ٤٧٠) وَكَانَ حَكِيمًا فَاضِلًا زَاهِدًا أَشْتَمَلَ
 بِالرِّيَاضَةِ وَأَعْرَضَ عَنِ مَلَاذِ الدُّنْيَا . وَنَهَى النَّاسَ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
 فَكَارَتْ عَلَيْهِ أَلَمَامَةُ وَالْجَاوِامِلُكُمْ إِلَى قَتْلِهِ فَحَبَسَهُ ثُمَّ سَقَاهُ سُمًّا فَمَاتَ .
 وَمِنْهُمْ (أَفْلَاطُونُ الْإِلَهِيُّ ٤٣٠) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِسُقْرَاطُ . وَلَمَّا أُغْتِيلَ
 سُقْرَاطُ بِالسُّمِّ قَامَ أَفْلَاطُونُ مُقَامَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ . وَمِنْهُمْ
 أَرِسْطَاطَالِيسُ (٣٨٤) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِأَفْلَاطُونُ وَلَمَّا صَارَ عُمُرُ أَرِسْطُو
 الْمَذْكُورِ سَبْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ أَسْلَمَهُ أَبُوهُ إِلَى أَفْلَاطُونُ فَمَكَتْ عِنْدَهُ ثِيْفًا
 وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ صَارَ حَكِيمًا مُبِيرًا يُشْتَمَلُ عَلَيْهِ . وَمِنْ جَمَلِهِ تَلَامِيذُهُ
 أَرِسْطُو الْمَلِكُ إِسْكَندَرُ الَّذِي مَلَكَ قَالِبَ الْمَعُورِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى
 الشَّرْقِ وَأَقَامَ الْإِسْكَندَرُ يَتَعَلَّمُ عَلَى أَرِسْطُو خَمْسَ سِنِينَ وَبَلَغَ فِيهَا

أَحْسَنَ الْمُبَالِغِ وَقَالَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَنْلُ سَائِرُ تَلَامِيذِ أَرِسْطُو. وَمِنْهُمْ
 أَفْلِيدُسُ (٣٢٠) صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِصَابَاتِ الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ وَكَانَ فِي
 أَيَّامِ مُلُوكِ الْيُونَانِ الْبَطَالِسَةِ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَرِسْطُو بِبَعِيدٍ. وَأَمَّا
 بَطْلِيمُوسُ وَجَالِنُوسُ فَإِنَّ زَمَانَهُمَا مُتَأَخِّرٌ عَنْ زَمَنِ الْيُونَانِ وَكَانَا فِي
 زَمَنِ الرُّومِ وَقَدْ أَذْرَكَ جَالِنُوسُ زَمَنَ بَطْلِيمُوسَ وَبَطْلِيمُوسُ هُوَ
 الْمَصْنَفُ الْحَسْبِيُّ. وَمِنْهُمْ فَرْفُورِيُوسُ (٢٦٠ للمسيح) وَكَانَ مِنْ أَهْلِ
 مَدِينَةِ صُورَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِالشَّامِ وَكَانَ بَعْدَ زَمَنِ جَالِنُوسَ. وَكَانَ
 حَالِمًا بِكَلَامِ أَرِسْطُو وَقَدْ قَسَرَ كُتُبَهُ لِمَا شَكَا إِلَيْهِ النَّاسُ عُضْوَهَا وَنَحَزَهُمْ
 عَنْ فَهْمِ كَلَامِهِ (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ وَمِنْ جُلَّةِ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْأِسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيْفُوسَ الْمَقْدُونِي
 الَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طُرّاً عَلَى الطَّلَاعَةِ لِسُلْطَانِيهِ وَمَلَكَ سِتِّ سِنِينَ
 بَعْدَ قَتْلِهِ دَارِيُوشَ. وَكَانَ قَدْ مَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ سِتّاً أُخْرَى وَفَتَحَ بِلَاداً
 كَثِيرَةً حَتَّى بَلَغَ مُلْكُهُ إِلَى أَفْصَى الْهِنْدِ وَأَوَائِلِ حُدُودِ الصِّينِ وَسَمَّى ذَا
 الْقَرْنَيْنِ لِبُلُوغِهِ قَرْنِي الشَّمْسِ وَهِيَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ. وَقَتَلَ خَمْسَةَ
 وَثَلَاثِينَ مَلِكاً وَبَنَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدِينَةً مِنْهَا اثْنَتَانِ فِي بَلَدِ خُرَاسَانَ
 وَهِيَ هَرَاةٌ وَمَرُوءُ وَوَاحِدَةٌ فِي بَلَدِ السُّعْدِ وَهِيَ سَمَرْقَنْدُ. وَأُخْرَى فِي بَلَدِ
 الْقَبْطِ وَهِيَ الْأِسْكَندَرِيَّةُ. وَفِي عَوْدَتِهِ مِنَ الْهِنْدِ وَوُصُولِهِ إِلَى بَابِلَ
 مَاتَ مَسْمُوماً وَوُضِعَ فِي ثَابُوتٍ ذَهَبٍ وَجُمِلَ عَلَى أَكْتَفِ الْمُلُوكِ

وَالْأَشْرَافِ إِلَى إِسْكَندَرِيَّةِ الْقِبْطِ وَدُفِنَ بِهَا. وَبَعْدَ مَوْتِ إِسْكَندَرَ
تَقَالَسَمَ الْمَلَائِكُ أَرْبَعَةَ مِنْ عِيْدِهِ وَهُمْ بَطْلِيمُوسُ بْنُ لَأُوْسَ
وَأَرِيْذَاوُسُ وَأَنْطِيُوخُوسُ وَسَلُوْقُوسُ (لَايِي الْمَرْج)

ذَكَرَ الرُّومَانِيْنَ وَمَبَادِي دَوْلَتِهِمْ إِلَى زَمَانِ الشَّيْخَةِ (مِنْ ٧٥٤ إِلَى ٥١٠ قَبْلَ السَّيْحِ)

٤٤٣ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ أَشْهَرِ أُمَمِ الْعَالَمِ وَمَوَاطِنُهُمْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ
مِنْ خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَنْجَةِ فِيمَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْأَهْيَاطِ
وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ شِمَالِهِ. وَكَانَ مَقَرُّ مُلُوكِهِمْ رُومَةَ الْكُبْرَى قَبْلَ
عَلِيهِمْ عَلَى الْيُونَانِ. وَكَانَ الرُّومُ يَدِينُونَ بَيْنَ الصَّابِنِينَ وَلَهُمْ أَصْنَامٌ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ يَمْدُدُونَهَا. وَكَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمْ أَنَّ بَرْقَاشَ
مَلِكَ الْطِينِيِّينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَجَارَ الْمَلِكَ إِلَى حَافِدِيَّةٍ وَهِيَ رُومُلُسُ
وَرَامَاشُ وَأَشْتَقَ رُومُلُسُ أَسْمَ رُومَةَ مِنْ أَسْمِهِ (٧٥٤). وَكَانَتْ مِنْ أَخْطَلِ
مُدُنِ الْعَالَمِ لَمْ تَزَلْ دَارَ مَمْلَكَةِ الْطِينِيِّينَ وَالْقَيْصَرَةِ حَتَّى أَصْبَحَهُمْ
الْإِسْلَامُ وَهِيَ فِي مُلْكِهِمْ. ثُمَّ بَعْدَ ابْتِنَاءِ رُومَةَ وَتَبَ رُومُلُسُ عَلَى أَخِيهِ
فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ بَعْدَ قَتْلِهِ ثَمَانِيَا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَحَدَهُ وَأَتَّخَذَ رُومُلُسُ رُومَةَ
مَلْعَبًا عَجِيبًا. وَعُدَّ بَعْدَ رُومُلُسَ خَمْسَةُ مِنْ الْمُلُوكِ (وَالصَّحِيحُ سِتَّةُ)
اِخْتَصَبَ ابْنُ لَئِرِهِمْ رَجُلًا فِي زَوْجِهِ فَقَتَلَتْ نَفْسَهَا. فَسَمَّ الْأَطِينِيُّونَ
وَلَايَةَ الْمُلُوكِ وَأَجْمَعُوا أَنْ لَا يُؤَلُّوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا وَقَدَّمُوا شَبُوحًا ثَلَاثَ
مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَدْرُونَ مَلِكَهُمْ. وَصَارَ هَكَذَا أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَ
الْوُرَرَاءِ (٥١٠). وَكَانَ لِلرُّومِ حُرُوبٌ مَعَ الْأُمَمِ الْجَائِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ

جَهَ فَأَجَاذُوا إِلَى أَفْرِيقَةَ فَمَلَكُوهَا وَخَرَّبُوا قَرطاجنةَ ثُمَّ مَلَكُوا جَزِيرَةَ
صِقِلِيَّةَ (٢٤١) ثُمَّ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ (٢٠٢) ثُمَّ حَارَبُوا الْيُونَانِيِّينَ (١٤٦)
ثُمَّ حَارَبُوا الْفَرَسَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى الشَّامِ (٦٤) وَمِصْرَ (٣٠)
الخبر عن تخريب قرطاجنة (من ٢٦٤ إلى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٤ كَانَ بَنَاءُ قَرطاجنةَ قَبْلَ بِنَاءِ رُومَةَ بِثَمَانِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً
(والصحيح بمائة وثلاث سنين) عَلَى يَدَي دِيدَنْ. وَكَانَ بِهَا أَمِيرٌ يُسَمَّى
مَلِكُونُ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ إِلَى الإسكندرِ بِطَاعَتِهِ عِنْدَ اسْتِبْلاَنِهِ عَلَى
طَرَسُوسَ. ثُمَّ صَارَ مَلِكُ أَفْرِيقَةَ إِلَى أَمْلَقَارَ مِنْ مَلُوكِهِمْ فَأَقْتَحَ صِقِلِيَّةَ
وَهَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومَانِيِّينَ بِسَبَبِ أَهْلِ سَرْدَانِيَّةَ. ثُمَّ
وَقَعَتِ السَّلَامُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ وَلَّى بِقَرطاجنةَ أَمْلَقَارُ أَبْنَهُ أُنَيْبِلَ فَأَجَاذَ إِلَى
بِلَادِ الْأَفْرِجِ وَعَلَيْهِمْ عَلَى بِلَادِهِمْ وَرَحَفَ إِلَيْهِ قُوَادِرُومَةُ قَوَالِي عَلَيْهِمْ
الْهَزَائِمَ وَبَعَثَ أَخَاهُ أَشْدَرْبَالَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَمَلَكَهَا وَخَالَه قُوَادِرُ
الرُّومَانِيِّينَ إِلَى أَفْرِيقَةَ بَعْدَ أَنْ مَلَكُوا مِنْ حُصُونِ صِقِلِيَّةَ أَرْبَعِينَ أَوْ
تَحْوَاهَا ثُمَّ أَجَاذُوا إِلَى أَفْرِيقَةَ فَمَلَكُوهَا وَقَتَلُوا خَلِيفَةَ أُنَيْبِلَ فِيهَا
وَأَقْتَحُوا مَدِينَةَ جَرْدَا. وَخَرَجَ آخَرُونَ مِنْ قُوَادِرُومَةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
فَهَزَمُوا أَشْدَرْبَالَ وَاتَّبَعُوهُ إِلَى أَنْ قَتَلُوهُ (٢٠٧). وَفَرَّ أَخُوهُ أُنَيْبِلُ
عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ إِجَازَتِهِ إِلَيْهِمْ وَبَعْدَ أَنْ حَاصَرُوا
رُومَةَ وَأَتَمَّنَ فِي تَوَلَّجِيهَا. فَحَقَّقَ بِأَفْرِيقَةَ وَلَقِيَ قُوَادِرُومَةَ الَّذِينَ
أَجَاذُوا إِلَى أَفْرِيقَةَ فَهَزَمُوهُ. وَحَاصَرُوهُ بِقَرطاجنةَ حَتَّى سَأَلَ الصَّلَاحَ

عَلَى أَنْ يَفْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ قَنْطَارٍ مِنَ الْقَضَّةِ فَلَجَّأُوهُ إِلَيْهِ
وَسَكَتَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْيْبَلُ صَاحِبُ
أَفْرِيقَةَ مُلُوكَ الْيُونَانِيِّينَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ
مَسْتُومًا (١٨٣) وَبَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ رَجَعُوا
إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ أَجَاذُوا الْبَحْرَ إِلَى قَرْطَاجَةَ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا
مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦)

(لابن خلدون)

حال اللطينين الى وفاة اونغسطس (من ١٤٦ قبل المسيح الى ١٤ بعد المسيح)

٤٤٥ وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هَوْلَاءِ اللَّطِينِينَ رَاجِعًا إِلَى الْوُزْرَاءِ مُنْذُ سَبْعِ
مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَقْتَرِعُ الْوُزْرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيُخْرِجُ قَائِدٌ
مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوجِبُهُ الثَّرْعَةُ فَيُحَارِبُونَ أَمَمَ الطَّوَاقِبِ
وَيَنْتَحُونَ الْمَمَالِكَ . حَتَّى إِذَا هَلَكَ الْأِسْكَندَرُ وَافْتَرَقَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ
وَقَسَلَتْ رِيحُهُمْ وَقَسَتْ قِتَّةُ هَوْلَاءِ اللَّطِينِينَ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقَةَ
وَأَسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا . وَمَلَكُوا الْأَنْدَلُسَ وَمَلَكُوا الشَّامَ وَأَرْضَ الْحِجَازِ وَقَهَرُوا
الْعَرَبَ بِالْحِجَازِ . وَافْتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلِكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنْ
الْيَهُودِ وَهُوَ أَرِسْطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حِشْمَايَ وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ .
إِلَى أَنْ خَرَجَ يُولُسُ قَيْصَرُ وَمَعْنَاهُ شَقٌّ عَنْهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ
يَكُونُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلَقِبَ قَيْصَرَ وَصَارَ لِقَابَ الْمُلُوكِ الرُّومِ .
فَسَارَ إِلَى حِمَّةِ الْأَنْدَلُسِ وَحَارَبَ مَنْ كَانَ يَهَامِنُ الْإِفْرَنْجَ إِلَى أَنْ
مَلَكَ يَرْطَانِيَّةَ وَإِسْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ . وَاسْتَحْلَفَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ

أَكْتَبَيَانَ ابْنِ أَخِيهِ وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ . وَكَانَ الشُّيُوخُ نَائِبُ بَنِي حِثْيَةَ الشَّرْقِ
يُقَالُ لَهُ مُفْيُوسٌ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ ذَهَبَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ
يُولِسُ فَهَزَمَهُ (٤٨) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رُومَةَ وَشَرَّ الْوُزَرَ أَنَّهُ يَرُومُ
الْإِسْتِبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَضَلُّوه (٤٤) . فَزَحَفَ أَكْتَبَيَانُ ابْنُ أَخِيهِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ بِثَارِهِ وَمَلَكَ يَرُومَةَ (٤٢) . ثُمَّ عَصَى أَنْطُونْيُوسُ
عَلَى أَنْغُسْطُسَ وَأَنهَزَمَ إِلَى مِصْرَ بِسَبَبِ عُشْقِهِ فَلَاوُفَطْرًا . فَخَرَجَ
أَنْغُسْطُسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ مِنْ رُومَةَ بِعَسَاكِرٍ عَظِيمَةٍ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَسَرَ وَلَدِي قَلَاوُفَطْرًا
الْمُسَمَّى أَحَدَهَا تَمَسًا وَالْآخَرَ قَرًّا وَقَتْلَهُمَا . وَلَمَّا سَمِعَ أَنْطُونْيُوسُ
وَقَلَاوُفَطْرًا يَقْتُلُ الْوُلَدَيْنِ وَكَانَا مُحَاصَرَيْنِ فِي بَعْضِ الْخُصُونِ شَرِبَا سُمًّا
وَمَاتَا (٣٠) . وَلَمَّا مَلَكَ أَنْغُسْطُسُ دِيَارَ مِصْرَ وَالشَّامَ دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
تَحْتَ طَاعَتِهِ كَمَا كَانُوا تَحْتَ طَاعَةِ الْبَطْلَانِسَةِ قَوْلِي أَنْغُسْطُسُ بَيْتِ
الْمُقَدِّسِ عَلَى الْيَهُودِ وَإِلَيْهِ مِنْهُمْ وَكَانَ يُلقَبُ بِهِيَرُودُسَ . وَفِي أَيَّامِ
أَنْغُسْطُسَ وَلِدَ الْمَسِيحُ لِثَلَاثِينَ وَارْبَعِينَ مِنْ مُلْكِهِ (لابن العميد)

دولة القيصرية بني اغسطس (١٤ - ٦٩)

٤٤٦ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِ أَنْغُسْطُسَ طِيبَارْيُوشُ قِصْرُ وَكَانَ جَائِرًا وَاسْتَوَلَى
عَلَى النَّوَاحِي . وَعَلَى عَهْدِهِ كَانَ شَأْنُ الْمَسِيحِ وَبَنَى الْيَهُودُ عَلَيْهِ وَأَقَامَ
الْحَوَارِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ وَالْيَهُودُ يَحْسُبُونَهُمْ وَيَضْطَهِدُونَهُمْ . ثُمَّ أَقْرَبُوا
فِي الْأَفَاقِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَحَمَلِ الْأُمَمِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . وَمَاتَ طِيبَارْيُوشُ

لِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ (٣٧). ثُمَّ مَلَكَ غَالِيسُ قِصْرُ (٣٧ - ٤١)
وَأَمَرَ أَنْ تُنْصَبَ الْأَصْنَامُ فِي مَحَارِيبِ الْيَهُودِ وَوُثِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ قُوَادِهِ
فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ قُلُودِيُوشُ (٤١ - ٥٤) وَوَقَعَتْ فِي أَيَّامِهِ شِدَّةٌ
عَلَى النَّصَارَى وَقُتِلَ يَعْقُوبُ أَخُو يُوْحَنَّا مِنَ الْخَوَارِيزِينَ وَحُسِنَ سَمْعُونُ
الْصَّفَا. ثُمَّ خَلَصَ وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا وَدَعَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ .
ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى رُومَةَ وَدَرَّهَا وَنَصَبَ فِيهَا الْأَسَاقِفَةَ . وَتَنَصَّرَتِ امْرَأَةٌ
مِنْ بَنَاتِ الْمَلِكِ فَمَضَتْ النَّصَارَى . وَلَقِيَ الَّذِينَ بِالْقُدْسِ شِدَائِدَ مِنَ
الْيَهُودِ وَكَانَ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ يَعْقُوبُ أَخُو يُوْحَنَّا مِنَ الْخَوَارِيزِينَ فَكَارَ الْيَهُودُ
عَلَى مَنْ كَانَ بِالْقُدْسِ مِنَ النَّصَارَى وَقَتَلُوا أَسْقَفَهُمْ وَهَدَمُوا الْبَيْعَةَ .
وَأَخَذُوا الصَّلِيبَ وَالْحَشَبَتَيْنِ وَدَفَنُوهُمَا إِلَى أَنْ اسْتَخَرَجْنَاهَا هِبَالَانَهُ أَمْ
قُسْطَنْطِينَ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِ قُلُودِيُوشَ أَبُ نِيرُونُ وَهُوَ خَامِسُ
الْقِيَاصِرَةِ وَكَانَ غَشُومًا فَاسِقًا وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ سَيُّونُ السَّاحِرُ رُومَةَ .
وَبَلَغَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ رُومَةَ أَخَذُوا بِدِينِ الْمَسِيحِ فَتَنَكَ ذَلِكَ
وَقَتَلَهُمْ حَيْثُ وَجَدُوا . وَقَتَلَ بَطْرُسَ مِنْ بَعْدِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً
مَضَتْ لِبَطْرُسَ فِي كُرْسِيِّهَا وَهُوَ رَأْسُ الْخَوَارِيزِينَ وَرَسُولُ الْمَسِيحِ إِلَى
رُومَةَ (٦٦) . وَقَتَلَ مَرْقُسُ الْإِنْجِيلِيَّ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ لثَلَاثِي عَشْرَةَ مِنْ
مُلْكِ نِيرُونُ وَبِمَثِ نِيرُونُ قَائِدُهُ إِسْبَاشْيَاوُسَ وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْيَهُودِ
وَحَرَابِ الْقُدْسِ . ثُمَّ إِنْ نِيرُونُ قِصَرَ انْتَهَضَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ .
فَرَجَعَ أَهْلُ أَرْمِينِيَّةَ إِلَى طَاعَةِ الْفَرَسِ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ أَهْلُ بَرْطَانِيَّةَ

مِنْ أَرْضِ الْجُوفِ . فَبَثَّ شَوَاطِيئُسَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْمَسَاكِرِ
وَعَلَبَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ . ثُمَّ تَارَ بَنِيرونَ جَمَاعَةً مِنْ قَوَادِهِ قَتَلُوهُ (٦٨)
وَمَلَكُوا غَلْبَانًا فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيلَةً وَقَدَّمُوا عِوَضَهُ أَتُونَ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَكُوا بَطَالِسَ وَكَانَ رَدِّي السَّيْرَةِ . وَبَلَغَ
إِسْبَاشِيَانُوسَ مَوْتُ نِيرُونَ بَيْنَمَا هُوَ فِي حِصَارِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ
بِالْإِصْرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْبُونَ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ
بِالْمَلِكِ فَأَنْطَلَقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَفَ ابْنَهُ طِيطُشَ عَلَى حِصَارِ الْقُدْسِ .
وَأَنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولُوشَ قِصْرَ لِمِائَةِ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَبْدَأِ
دَوْلَتِهِمْ وَأَسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَتَسَمَّى
قِصْرَ كَمَا كَانَ قَبْلُ (٦٩)

(لابن خلدون)

دولة فلايوس اسباشيانوس وبنه الفلايين (٦٩ - ٩٦)

٤٤٧ وملك إسباشيانوس عشر سنين وهو بنى قوقلس أي منارة
الإسكندرية طولها مائة وخمسة وعشرون خطوة . وفي السنة الثانية
من ملكه أفتح طيطش ابنه مدينة أورشليم وقتل فيها زهاء ستين
ألف نفس وسبي ثيفا ومائة ألف نفس ومات فيها من الجوع خلق
كثير والباقيون تشتتوا في البلاد ودعثرها وأخرب هيكلها . ومات
نبوة يعقوب حيث قال : لن تقدر هراوة الملك من يهوذا ولا المنذر
أي النبي من ذريته حتى يأتي من له القلب وإياه تتوقع الشعوب .
وتم أيضا ما أنذر به النخلص مخاطبا لأورشليم : أنه سيأتي أيام تحيط

بِكَ أَعْدَاؤُكَ وَيَكْسُوتُكَ وَيَبْدِكَ فَيْكِ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً
مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسُفُوسُ الْعِبرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ
عَلَامَاتُ قُطِيعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوْقَ الْمَدِينَةِ نَجْمٌ طَوِيلٌ كَثِيفٌ مِنْ
نَارٍ يَلْمَعُ. وَأَبْوَابُ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ وَلَمْ تَكُنْ
تُفْلَقُ وَتُفْتَحُ دُونَ اجْتِمَاعِ عَشْرِينَ رَجُلًا وَجِدَتْ نِصْفَ اللَّيْلِ
مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ. وَكَانُوا عَالِمَةً السَّنَةِ يَسْمُونَ فِي الْهَيْكَلِ أَصْوَاتًا
مُخْتَلِفَةً تَقُولُ: إِنَّا سَتَنَقِلُ مِنْ هُنَا

وَلَمَّا مَلَكَ طَيْطُسُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ رَجَعَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا
عَبَرُوا إِلَى الْأَرْدُنِّ فَبَنَوْا كَنِيسَةً بِالْمَقْدِسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ الْأَسْفُفُ
فِيهِمْ سِتْمَانُ بْنُ كَلَاوُفًا وَهُوَ الثَّانِي مِنْ أَسَاقِةِ الْمَقْدِسِ. ثُمَّ هَلَكَ
إِسْبَاشِيَانُوسُ لِسَعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ طَيْطُسُ قِصْرُ
سَلْتِينَ وَكَانَ مُتَعَنِّتًا فِي الْعُلُومِ مُلْتَمِزًا لِلْخَيْرِ عَارِفًا بِالْأَسَانِ الْغَرِيبِ
وَالطَّبِيعِ وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْمَلِكِ انْشَقَّ جَبَلُ بِالْرومِ وَخَرَجَ مِنْهُ
شُبُّ نَارٍ أحرَقَتْ مُدُنًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةٍ حَرِيقٌ كَثِيرٌ. ثُمَّ مَلَكَ
دُومِطِيَانُوسُ قِصْرُ (٨١-٩٦) وَتَنَبَّأَ مِنْ رُومَةِ الْعَجَمِيِّينَ وَأَصْحَابِ
الزَّجَرِ وَالْقَالِ وَالْعَالِقَةِ وَالطَّيْرَةِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُفْرَسَ بِرُومَةٍ كَرَمُ الْبَتَّةِ.
ثُمَّ اضْطَهَدَ النَّصَارَى اضْطِهَادًا شَدِيدًا وَمَعَ هَذَا كَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ الْمَسِيحِ أَفْوَاجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ

وَاتَّخَذَ قَطْرُوفِيلُسُ اتِّبَاعَ النَّصَارَى بِالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ وَتَرَكَ
 الدُّنْيَا وَمَلَازِمَهَا يُفِيدُهُمُ الْأَيْدِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَفِي هَذَا
 الزَّمَانِ عُرِفَ أَفُولُونِيسُ الطَّلَسَاطِيْقِيُّ وَكَانَ يُضَادُّ التَّلَامِيذَ
 بِإِقْلَاعِهِ الْخُلَاقَةَ لِأَقْلِيلِ الْمَسِيحِ وَيَقُولُ : أَوَّلِي لِي إِنْ سَبَقَنِي
 ابْنُ مَرْيَمَ . وَتَقَى دُومِيطْيَانُوسُ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيَّ إِلَى بَعْضِ الْجُزَائِرِ
 وَكَتَبَ إِلَيْهِ دِيُونِيسُوسُ أَسْفُفُ أَثِينَا كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : لَا يَتَرَدَّدُ
 الصَّخْرُ وَالْمَلِكُ فَإِنَّهُ لَا يَطُولُ سَخَنُكَ قَالَهُ يُعْمَلُ لَكَ الْخُلَاصَ
 فَأَلِمَ نَفْسَكَ بِالصَّبْرِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ دُومِيطْيَانُوسُ قِصْرُ عَلَى
 بَسَاطَةٍ فِي مَجْلِسِهِ

دولة الاطرونيين (٩٦ - ١٩٣)

٤٤٨ وَمَلَكَ بَعْدَهُ زُرَّاسُ وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَأَمَرَ بِرَدِّ مَنْ كَانَ مُنْفِيًّا
 مِنَ النَّصَارَى وَخَلَّاهُمْ وَدِينَهُمْ وَرَجَعَ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيَّ إِلَى أَفَسُسَ بَعْدَ
 سِتِّ سِنِينَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَعَهْدَ بِالْمَلِكِ إِلَى طَرِيَانُسَ مِنْ عُظَمَاءِ
 قَوَادِمِهِ قَوْلِي بَعْدَهُ (٩٨) وَتَسَمَّى قِصْرَ وَقَتْلَ شِمْعَانَ بْنِ كَلَاوْفَا أَسْفُفَ
 يَنْتِ الْمَقْدِسِ . وَأَغْنَاطِيُوسُ بَطْرِكُ أَنْطَاكِيَةِ رُبِّي لِلْسَّابِعِ (١٠٧) . وَتَبَعَ
 أَتْبَتَهُمْ بِالْقَتْلِ وَاسْتَعْبَدَ قَامَتَهُمْ وَفِيلِينُوسُ صَاحِبُ الشَّرْطِ لَمَّا عَجَزَ مِنْ
 قَتْلِ النَّصَارَى لِكَثْرَتِهِمْ طَالَعَ قِصْرَ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْمَذْهَبِ حَامِلُونَ
 بِجَمِيعِ سُنَنِ التَّلَاسِيفَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يُكْرِمُونَ الْأَصْنَامَ . فَأَمَرَ قِصْرُ أَنَّ
 لَا يُجَدِّي فِي آذَانِهِمْ إِلَّا إِذَا وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يَقْوَاهُ بِسَبِّ الْآلِهَةِ فَلْيَدْنِ .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى طَرِيائُوسَ خَارِجِيًّا بِأَيْدِي خَلَّكَ فِي حُرُوبِهِ
 ٤٤٩ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَذْرِيائُوسُ (١١٧) وَفِي الرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ بَطَلَ
 الْمَلِكُ مِنَ الرُّهَا وَتَدَاوَلَتْهَا الْقَضَاءُ مِنَ الرُّومِ . وَبَنَى أَذْرِيائُوسُ بَيْتَهُ
 اثْنَيْتَيْتَا وَرَتَّبَ فِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمَدَارَسَةِ الْعُلُومِ . وَبَلَغَ أَذْرِيائُوسُ
 أَنَّ الْيَهُودَ يَرُومُونَ الْإِنْتِقَاصَ وَأَنَّهُمْ مُلْكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ
 الْكُوكَبِ أَصْلُ الْيَهُودِ مُدَّعِيًا أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ كَالْكُوكَبِ فَيُخَلِّصُهُمْ
 مِنْ عُبودِيَّةِ الرُّومِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَسَاكِرَ وَتَتَبَعَهُمُ بِالْقَتْلِ وَخَرَّبَ
 الْمَدِينَةَ حَتَّى عَادَتْ صَخْرَاءً . وَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْكُنَهَا يَهُودِيٌّ وَأَسْكَنَ
 الْيُونَانَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ . وَكَانَ هَذَا الْحَرْبُ لِحُسْنِ وَسِتَيْنِ سَنَةٍ مِنْ
 خَرَابِ طَيْطُوسَ الَّذِي هُوَ الْجَلُودَةُ الْكُبْرَى . وَأَمْتَلَا الْقُدْسُ مِنَ الْيُونَانِ .
 وَكَانَتْ النَّصَارَى يَتَرَدَّدُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ وَالصَّلِيبِ . فَمِنْهُمْ الْيُونَانُ
 مِنَ الصَّلَاةِ وَبَوَّاهُنَا لِكَ هَيْكَلًا عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)
 وَخَافَ أَذْرِيائُوسَ طَيْطُوسُ أَنْطُونِيَانُسُ قَيْصَرُ الْمُسَمَّى بَارَاوَابَا
 الْبَلَدِ (١٣٨) وَأَزَالَ عَنِ النَّصَارَى الْأَضْطِهَادَ وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَدَيَّنُوا
 بِأَيِّ دِينٍ شَاءُوا . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ نَبَعَ فِي أَلْبَسَةِ مِنَ الْخَطَّالِينَ شَخْصٌ
 اسْمُهُ الْنَطْيَائُوسُ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ أَنْزَلَ مَعَهُ جَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ
 وَأَجْتَازَهُ بِمَرِّمٍ كَأَجْتِيَازِ الْمَاءِ بِالْمِزَابِ أَيْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا . وَظَهَرَ
 رَجُلٌ يُسَمَّى مَرْقِيُونُ . وَقَالَ إِنَّ الْأَلِهَةَ ثَلَاثَةٌ عَادِلٌ وَصَالِحٌ وَشَرِيرٌ وَلَمَّا
 رَأَى الصَّالِحُ الْعَالَمُ قَدْ انْجَذَبَ إِلَى جِهَةِ الشَّرِيرِ أَرْسَلَ أَبَاهُ لِيَدْعُو

النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ الصَّالِحِ فَأَتَى وَنَحَّجَ التَّوْرَةَ الْمُتَّصِمَةَ سُنَّةَ الْعَدْلِ
بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ مُتَّصِنٌ سُنَّةَ الْفَضْلِ . فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْقُونُ هَذِهِ
الْحُرْعِيَّةَ وَعَظَمَتَهُ الْأَسَاقِفَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خُرْعِيَّتِهِ وَتَمَادَى
فِي أَبَاطِيلِهِ فَفَنَّاهُ الْجَمَاعَةُ وَصَارَ لُعْنَةً (لَا يِي الفرج)

٤٥٠ لَمَّا هَلَكَ أَنْطُونِيوسُ لِثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ
مَرْقُوسُ أَوْرَالِشُ (١٦١) . وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ
غَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَسُورِيَّةٍ مِنْ مَمَالِكِهِ فَدَفَعَهُمْ عَنْهَا وَظَلِمَهُمْ فِي حُرُوبِ
طُولِيَّةٍ . وَأَصَابَ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءٌ عَظِيمٌ وَقُحِطَ النَّاسُ وَاسْتَسْقَى
لَهُمُ النَّصَارَى فَأَمَطُوا وَارْتَفَعَ الْوَبَاءُ وَالْقُحُطُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَشَدَّ
عَلَى النَّصَارَى (وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي بَعْضِ حُرُوبِ أَوْرِيلْيُوسِ)
وَمَعَ كُلِّ هَذَا قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ الشَّدَّةُ الرَّابِعَةُ مِنْ بَعْدِ
نِيرُونَ . وَوَلِيَ مَكَانَهُ قَوْمُذُوسُ أَبْنُ وَمَاتَ مُحْتَبَأً (١٨٠ - ١٩٢) . وَفِي
هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانُسُ الْقَائِلُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ
الْفَارَقْلِيطُ الَّذِي وَعَدَ الْمَسِيحُ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى الْعَالَمِ (لَا بَنَ خلدون)
دولة القياصرة السوريين (١٩٢ - ٢٣٥)

٤٥١ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ قَرْمَلِيخُوسُ وَمُلْكُهُ بِاتِّفَاقِ الْمُؤَرِّخِينَ شَهْرَانِ
وَقَتْلَهُ بَعْضُ قَوَادِمِهِ . ثُمَّ وَلِيَ سُورِيَا يُونُسُ (١٩٣ - ٢١٢) وَأَشَدَّ عَلَى
النَّصَارَى الشَّدَّةَ الْخَامِسَةَ وَقَتْلَ فِيهِمْ . وَاعْتَسَفَهُمْ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ
وَالْأَكْمَلِ مِنْ ذَبَابِهِمْ . ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ الصَّغَالِبَةِ . وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَتْ

الْأَسَاقِفَةُ عَنْ أَمْرِ أَتْفَحٍ وَأَصْلَحُوا رَأْسَ الصَّوْمِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
 أَنْطُونِيُسُ (كَرْكَلَا) قُتِلَ لِسِتِّ سِنِينَ لِلْمَلِكَةِ مَا بَيْنَ حَرَّانَ وَالرَّهَاءِ .
 (٢١٨) ثُمَّ مَلَكَ أَلْيُوغَالِي أَرْبَعَ سِنِينَ . ثُمَّ مَثَرِينُ وَقَتْلَهُ قُوَادُ رُومَةَ
 لِسَنَةِ مِنْ مُلْكِهِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ الْإِسْكَندَرُوسُ (٢٢٢ - ٢٣٥)
 وَكَانَتْ أُمُّهُ مَامَا نَصْرَانِيَّةً وَكَانَتِ النَّصَارَى مَعَهُ فِي سَعَةِ مِنْ أَمْرِهِمْ .
 وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ مُلْكِ هَذَا الْإِسْكَندَرُوسِ قِصْرٌ أَبْتَدَأَتْ مَمْلَكَةُ
 الْفَرَسِ الْأَخِيرَةِ الْمَرْوُفَةُ بِنَيْتِ سَاسَانَ ثُمَّ نَارُ أَهْلِ رُومَةَ عَلَيْهِ وَقَتْلُهُ

الحكم الفرضي (٢٣٥ - ٢٦٨)

٤٥٢ وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ خَشْمِيَانُ (٢٣٥) وَلَمْ يَكُنْ مِنْ نَيْتِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا
 وَلَّوْهُ لِأَجْلِ حَرْبِ الْإِفْرَنْجِ . وَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى الشَّدَّةُ السَّادِسَةُ
 مِنْ بَعْدِ نِيرُونَ . وَقَتْلَ سَرْجِيُوسَ فِي سَلَمِيَّةَ وَبَاخُوسَ الشَّهِيدَيْنِ فِي
 بَالِسَ عَلَى أَهْرَاتٍ وَقُوفِرِيَانُسَ الْأَشْفَافَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ
 هَلَكَ خَشْمِيَانُ وَمَلَكَ بَعْدَهُ غُرْدِيَانُوسُ قِصْرُ (٢٣٨) وَطَالَتْ حُرُوبُهُ
 مَعَ الْفَرَسِ وَكَانَ ظَافِرًا عَلَيْهِمْ وَقَتْلَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى نَهْرِ أَهْرَاتٍ . ثُمَّ مَلَكَ
 فِيلْمُوشُ قِصْرُ سِتِّ سِنِينَ وَآمَنَ بِالْمَسِيحِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَصَرَّ مِنْ
 مُلُوكِ الرُّومِ فَأَحْسَنَ إِلَى النَّصَارَى ثُمَّ رَامَ الْإِجْتِمَاعَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ
 لَهُ الْأَشْفَافُ : لَا يُمْكِنُكَ الدُّخُولُ إِلَى الْيَمَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنِ الْحَارِمِ
 وَتَقْتَصِرَ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ الْقُرْبَى . فَكَانَ يَمُضِرُ وَقَتَ
 الصَّلَاةِ وَيَقِفُ خَارِجَ الْيَمَةِ مَعَ الَّذِينَ أَلْفَوْا الدِّينَ وَلَمْ يَكُنْ لَوْافِيهِ بَعْدُ .

وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَلِكِ ظَهَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبِدْعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَلِكَنَا
يَلْسَانِيهِ وَأَضْمَرَ الْإِيمَانَ بِقَلْبِهِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ بَدَأَتْ
أَعْمَالُ الرُّهْبَانِ عَلَى يَدَيِ أَنْطُونِيوسَ وَفَوَلِي الْمِصْرِيِّينَ . وَهَذَا أَوَّلُ مَنْ
أَظْهَرَ لُبْسَ الصُّوفِ وَالتَّخْلِ فِي الْبِرَارِيِّ . ثُمَّ مَلَكَ ذُو قِيُوسَ قِصْرُ
(٢٤٩) وَلَبَّغِيضِهِ فِيلِيبُوسَ قِصْرُ الْحُسَيْنِ إِلَى النَّصَارَى عَادَاهُمْ وَشَدَّدَ
عَلَيْهِمْ جِدًّا وَهِيَ الشَّدَّةُ السَّابِعَةُ . فَكَثُرَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ
قُتِلَ قَدَمُوا الثَّوْبَةَ . وَكَانَ نَابَاطِيصُ الْقَيْسِ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ قَائِلًا :
إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ أَخْطَأَ فَرِيفَ الْأَسَاقِمَةِ تَعْلِيمُهُ . وَفِي زَمَانِ ذُو قِيُوسَ
كَانَ الْهَيْتَةُ أَصْحَابُ الْكُهْفِ فَالْتَقَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُبَاتًا إِلَى يَوْمِ أَنْبِعَالِهِمْ
مِنْ رُقَادِهِمْ فِي أَيَّامِ تَاوَدُوسِيُوسَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْفُوطِينَ مِنْ بِلَادِهِمْ
وَتَقَلَّبُوا عَلَى بِلَادِ الْغُرَيْقِيِّينَ ثُمَّ وَلِيَ الْإِلْيَانُوسَ وَكَانَ يَتَّبِعُ الْأَصْنَامَ
وَلَقِيَ النَّصَارَى مِنْهُ شِدَّةً . ثُمَّ سَارَ فِي عَسَاكِرِ الرُّومِ لِنَزْوِ الْأَنْفُسِ
فَأَنْهَزَمَ وَجِئًا أَسِيرًا إِلَى كَسْرَى بِهَرَامٍ قَتَلَهُ . فَوَلِيَ أَبْنَةُ عَلِيُوسَ (٢٦٠)
وَوَقَعَ فِي أَيَّامِهِ وَبَاءَ عَظِيمٌ فِي رُومَةٍ فَرَفَعَ طَلَبَهُ عَنِ النَّصَارَى بِسَبَبِهِ

دولة القياصرة الإليريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ - ٣٠٧)

٤٥٣ ثُمَّ مَلَكَ أَفْلُويْدُسُ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ (٢٦٨) وَفِي مَلِكِهِ قَدِيمُ
بُولُسُ الصَّمِيصَاطِيُّ وَكَانَ يَقُولُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَتَجْعَدُ الْكَلِمَةَ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ
لَمْ يُولَدْ مِنْ عَذْرَاءٍ وَذَكَرَ أَوْسَابِيُوسُ الْمَوْرَخُ عَنْ هَذَا بُولُسَ أَنَّهُ اسْتَعَانَ
بِأَمْرَةِ يَهُودِيَّةٍ اسْمُهَا زَيْنَبُ رَأْسَهَا قِصْرٌ عَلَى الشَّامِ . وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ

طِنُهُ وَكَلَامُهُ وَقَوَّضَتْ إِلَيْهِ بَطْرِكِيَّةَ أَنْطَاكِيَّةَ . فَاجْتَمَعَ الْأَسَاقِفَةُ
 وَرَدُّوا مَقَالَتَهُ وَحَرَمُوهُ وَأَتْبَاعَهُ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أُوْرِيلْيَانُسُ (٢٧٠ -
 ٢٧٥) وَحَارَبَ الْقُوطَ فَظْفَرِيَهُمْ وَجَدَّدَ بِنَاءَ رُومَةَ . وَاشْتَدَّ عَلَى
 الْأَنْصَارِيِّ تَاسِعَةً بَعْدَ نِيْرُونَ . وَهَمَّ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ
 فَرَفَّ مَائِي الثَّوِي هَذَا كَانَ يُظَاهِرُ النَّصْرَانِيَّةَ ثُمَّ مَرَّقَ مِنَ الدِّينِ وَتَّبَعِيَ
 نَفْسُهُ مَسِيحًا . وَكَانَ يَقُولُ يَعْلَمُ الثَّوِيَّةُ . وَهُوَ أَنَّ الْعَالَمَ الْهَيْنَ أَحَدُهُمَا
 خَيْرٌ وَهُوَ مَعْدِنُ الثَّوْرِ وَالْآخَرُ شَرٌّ وَهُوَ مَعْدِنُ الظُّلْمَةِ . فَتَلَّهُ سَابُورُ
 وَطَحَّ جِلْدَهُ وَحَشَاهُ تَبَنًا وَصَلَبَهُ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي
 الدَّعَاوِي الْعَظِيمَةَ وَعَجَزَ عَنْ إِزْرَاءِ أَنْبِيَاءِهِ مِنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ
 أُوْرِيلْيَانُسَ قَارُوشُ ثُمَّ فُرُوشُ وَتَمَلَّ بِسَرْمِينَ ثُمَّ قَارُوشُ وَفِي السَّنَةِ
 الثَّانِيَةِ لِلْمَلِكِ قُتِلَ قَرْمَاوَتَمِيَانِي الشَّهِيدَانِ ثُمَّ أُرْبِقُ فَاسْتَظْلَمَهُ وَمَاتَ .
 ثُمَّ اسْتَبَدَّ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ بِالْمَلِكِ (٢٨٤ - ٣٠٥) وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي الْمَلِكِ
 تَحْشِيَانُ وَكَانَ مُعَيَّارُومَةَ . وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ
 عَصَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَادَ إِلَيْهِمْ مِنْ رُومَةَ وَغَالِبَهُمْ
 وَأَتَمَّكَ فِيهِمْ . وَانْتَهَضَ عَلَى دِيُوقَلَسِيَانُوسَ أَهْلُ مَمْلِكَتِهِ وَتَارَ الثَّوَارُ
 بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَّةَ . فَدَفَعَ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ إِلَى
 هَذِهِ الْحُرُوبِ كُلِّهَا تَحْشِيَانُ هِرْكُولِسَ وَصِيْرَهُ قَيْصَرًا . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ
 تَحْشِيَانُ صِهْرَهُ قُسْطَنْطُسَ فَمَضَى إِلَى الْأَلْمَانِيِّينَ فِي نَاحِيَةِ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ
 فَظْفَرِيَهُمْ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ . ثُمَّ أَمَرَ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ بِتَأْقِي كَنَائِسِ

النَّصَارَى بِأَعْرَاءٍ مَخْشَمِيَّانَ وَكَانَ أَشَدَّ كُفْرًا مِنْهُ. وَلَقِيَ النَّصَارَى مِنْهَا
شِدَّةً وَقُتِلَ مَارِي جَرَجِسُ وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ أَوْلَادِ الْبَطَارِقَةِ. وَفِي عَاشِرَةِ
مُلْكِهِ قَدِيمَ مَارِي بَطْرُسُ بَطْرَكًا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ. ثُمَّ قَامَ بَعْدَ مَوْتِهِ تَلْمِيذُهُ
إِسْكَندَرُوسُ وَكَانَ كَبِيرُ تَلَامِيذِهِ أَرِيُوشُ كَثِيرُ الْحَالَةِ لَهُ. وَفِي أَيَّامِ
دِيُوقَلَسِيَانُوسَ رَأَى قُسْطَنْطِينُ هِيلَانَةَ وَكَانَتْ تَنْصَرَّتْ عَلَى يَدِ اسْقُفِّ
الرُّهَا فَأَعْجَبَتْهُ وَزَوَّجَهَا. وَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ فَأَجْمَعَ دِيُوقَلَسِيَانُوسُ
عَلَى قَتْلِهِ فَهَرَبَ إِلَى الرُّهَا. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ مَوْتِ دِيُوقَلَسِيَانُوسَ فَوَجَدَ
أَبَاهُ قُسْطَنْطِينَ قَدْ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ فَتَسَلَّمَ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ (لَا بِنَ الْعَمِيدِ)

ملك قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧)

٥٤٤: ثُمَّ اسْتَعَدَّ قُسْطَنْطِينُوسُ لِنَزْوِ مَكْسَنْطِيَسِ بْنِ مَخْشَمِيَّانَ لِأَنَّهُ عَصَى
وَلَمْ يُبَايِعْهُ وَقَبَلَ عَلَى رُومَةٍ. وَكَانَ قُسْطَنْطِينُوسُ يَتَفَكَّرُ إِلَى أَيِّ آلِهَةٍ
يُخْبِي أَمْرَهُ فِي هَذَا النِّزْوِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي هَذَا الْفَكْرِ رَفَعَ رَأْسُهُ إِلَى
السَّمَاءِ نِصْفَ النَّهَارِ فَرَأَى رُؤْيَا الصَّلِيبِ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ النُّورِ وَكَانَ
فِيهِ مَكْتُوبٌ: أَنَّ بِهَذَا الشَّكْلِ تَقْلِبُ. فَصَاحَ لَهُ صَليبا مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ يَرْقُمُهُ فِي حُرُوبِهِ عَلَى رَأْسِ الرُّمَحِ. ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا رُومَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ
مَكْسَنْطِيَسُ وَوَقَعَ فِي نَهْرٍ فَانْتَحَقَ. فَأَفْتَحَ قُسْطَنْطِينُوسُ مَدِينَةَ
رُومَةَ وَأَعْتَمَدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِرُومَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَعَبْدَةِ الْأَصْنَامِ زُهَاهُ
أَتَتْ عَشَرَ أَلْفِ نَفْسٍ خِلَا النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ (٣١٢). ثُمَّ حَصَلَ
لِقُسْطَنْطِينُوسَ بَرَصٌ. فَأَشَارَ عَلَيْهِ خَدَمُ الْأَصْنَامِ أَنْ يَذْبَحَ أَطْفَالَ

الْمَدِينَةِ وَيَنْتَسِلَ بِيَمَانِهِمْ قَبْرًا مِنْ مَرَضِهِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ
لِيَذِبَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَهُ عَظِيمَةً فِي الْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ . وَفِي
تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بَطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجْهَ إِلَى
سِيلَوَسْطَرُسَ أَسْفَفِ رُومَةَ فَحْيُ بِهِ هُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
وَجْهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ وَوَعَّظَ الْمَلِكُ وَأَوْصَحَ لَهُ سِرَّ النَّصْرَانِيَّةِ فَعَمِدَ
وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِنَاءَ كَنَائِسِ النَّصَارَى الْمُهْدُومَةِ (٣١٣) . وَفِي
السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَلِكِ أَمْرٌ فَبُنِيَ لِبُورْطُيَا سُورٌ فَرَادَى فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةُ
أَمْيَالٍ وَسَمَاهَا قُسْطَنْطِينِيَّةً وَنَقَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا (لَايِي الْفَرَجِ)

٤٥٥ ثُمَّ تَخَصَّصَتْ هِيَ لِأَنَّهُ أُمُّ قُسْطَنْطِينَ لِزِيَارَةِ بَيْتِ الْقُدْسِ .
فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ الصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ الْأَسْفَفُ أَنَّ الْيَهُودَ
أَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَالزَّبْلَ . ثُمَّ اسْتَخْرَجَتْ ثَلَاثَةً مِنَ الخَشَبِ وَسَأَلَتْ
أَيُّهَا خَشَبَةُ الْإِسْحَاقِ . فَقَالَ لَهَا الْأَسْفَفُ : عَلَامَتُهَا أَنَّ الْمَيِّتَ يَحْيَا بِمَسِيحِهَا
فَصَدَقَتْ ذَلِكَ بِفَجْرِ بَيْتِهَا . وَاتَّخَذَ النَّصَارَى ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لَوْجُودِ
الصَّلِيبِ . وَبَنَتْ عَلَى الْمَوْضِعِ كَنِيسَةً أَلَمَامَةً وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسُ
الْأَسْفَفُ بِنَاءَ الْكَنَائِسِ (رَوَاهُ ابْنُ خَلْدُونِ عَنْ ابْنِ الرَّاهِبِ)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٤٥٦ وَفِي هَذَا الزَّمَانِ كَانَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ إِسْكَندَرُوسُ الْبَطْرُكُ
وَكَانَ لِمَهْدِهِ أَدْرِيُوسُ . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حَدُوثِ الْإِبْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا
خَلَقَ الْخَلْقَ بِتَقْوِيضِ الْآبِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَمِنَّمَا إِسْكَندَرُوسُ

الدُّخُولَ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَأَعْلَمَ أَنَّ إِيمَانَهُ قَائِدٌ . وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى
سَارِ الْأَسَاقِفَةِ وَالْبَطَارِكَةِ فِي التَّوَّاجِي وَفَعَلَ ذَلِكَ بِأَسْقَمِينَ آخَرِينَ
عَلَى مِثْلِ رَأْيِ أَرِيُوشَ . فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى قُسْطَنْطِينِ وَأَحْضَرَهُمْ
جَمِيعًا لِسِتْعَ عَشْرَةَ مِنْ دَوْلَتِهِ وَتَنَاطَرُوا . وَلَمَّا قَالَ أَرِيُوشُ إِنَّ الْإِبْنَ
حَادِثٌ وَإِنَّ الْأَبَ قَوْضَ إِلَيْهِ بِالْحَلْقِ . وَقَالَ الْأِسْكَندَرُوسُ الْخَلْقُ
أَسْتَحَقُّ الْأُلُوهِيَّةَ فَاسْتَحْسَنَ قُسْطَنْطِينُ قَوْلَهُ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُشِيدَ بِكُفْرِ
أَرِيُوشَ . وَطَلَبَ الْأِسْكَندَرُوسُ أَجْمَاعَ النُّصْرَانِيَّةِ لِتَحْرِيرِ الْمُتَقَدِّ
الْإِيمَانِي . فَجَمَعَهُمْ قُسْطَنْطِينُ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ أَسْقَمًا
وَذَلِكَ فِي مَدِينَةِ نَيْقِيَّةَ قَسَمِي الْأَجْمَعُ مُجْتَمِعَ نَيْقِيَّةَ . وَكَانَ رَئِيسَهُمْ
الْإِسْكَندَرُوسُ بَطْرِكُ إِسْكَندَرِيَّةَ وَمَقَارِيُوسُ أَسْقَفُ بَيْتِ الْقُدْسِ .
وَبَعَثَ سُلْطُوسُ (سَلُوسْطَرُوسُ) بَطْرِكُ رُومَةَ بِقَسْيَسٍ حَضَرَ مَعَهُمْ
لِذَلِكَ نِيَابَةً عَنْهُ . فَفَاوَضُوا وَتَنَاطَرُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ . فَصَارَ
قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَأَعْطَى سَيْفَهُ وَخَاتَمَهُ وَبَارَكُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا لَهُ
قَوَانِينَ الدِّينِ وَالْمُلْكِ . وَتَنَى أَرِيُوشَ . وَكُتِبُوا الْعَقِيدَةُ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا
أَهْلُ ذَلِكَ الْأَجْمَعِ

(لابن خلدون)

قُسْطَنْطِينُ فِي مَجْمَعِ نَيْقِيَّةَ

وَكَانَ فِي هَذَا الْأَجْمَعِ أَسْقَفُ بَرِّي رَأْيَ نَابَاتِيَسَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
لَمْ لَا تُؤَافِقُ الْجُمْهُورَ فِي قَبُولِ مَنْ تَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ مُنِيبًا إِلَى اللَّهِ .
فَأَجَابَهُ الْأَسْقَفُ : إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ فَرَطَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ

وَالْعِمَادُ بِدَلِيلٍ قَوْلُ فُؤُوسَ الرُّسُولِ حَيْثُ يُقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ الَّذِينَ ذَاقُوا
كَلِمَةَ اللَّهِ أَنْ يَدْنُسُوا بِالْخَطِيئَةِ لِيَطَهَّرُوا بِالتَّوْبَةِ ثَانِيَةً. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ هَازِنًا
بِهِ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَأَنْصُبْ لَكَ سُلَامًا لِيَتَرَقَّى فِيهِ وَحَدِّثْ إِلَى
السَّمَاءِ. وَنَهَضَ بَعْضُ الْأَسَاقِفَةِ فَرَقَعَ إِلَى الْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سِعَامَةٌ بِبَعْضِ
الْأَسَاقِفَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ الْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ الْكِتَابُ بِالنَّارِ وَقَالَ: لَوْ
وَجَدْتُ أَحَدًا مِنْ الْكَهَنَةِ فِي رِيَّةٍ لَسَرْتُهُ بِأَرْجُونَتِي (لَايِ الْهَرَجِ)
موت قسطنطين وملك بنه

٤٥٧ وَلَمْ يَزَلْ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ يَظْهَرُ وَيَقْوَى إِلَى أَنْ دَخَلَ فِيهِ أَكْثَرُ
الْأُمَمِ الْحَاجِرَةِ لِلرُّومِ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالصَّالِبَةِ وَالرُّوسِ وَاللَّانِ
وَالْأَزْمِنِ وَالْكُرَجِ وَجَمِيعِ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَجَمُورُ
أَصْنَافِ السُّودَانِ مِنَ الْحَبَشَةِ وَالتَّوْبَةِ وَسِوَاهُمْ. وَأَمِنْ بَنِي هَوْلَاءِ
أَصْنَافٍ مِنَ التُّرْكِ أَيْضًا. وَبَنَى قُسْطَنْطِينُوسُ بَيْعَةَ عَظِيمَةً بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
وَسَمَّاها أَجْيَا صُوفِيًا أَيْ حِكْمَةَ الْقُدُوسِ. وَبَيْعَةً أُخْرَى عَلَى اسْمِ
السَّلِيمِينَ. وَبَنَى بَيْعَةً بِمَدِينَةِ بَيْلَبَكْ. وَبَنَى بِأَنْطَاكِيَّةِ هَيْكَلًا ذَاتًا ثَمَانِي
زَوَايَا عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ. وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا سَابُورُ بِلَادِ الرُّومِ فَهَضَمَ
قُسْطَنْطِينُوسُ لِحَارِبِهِ. وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى نِقْمُوذِيَادَرَكْتَهُ الْمُنِيَّةِ وَفِي
مَرَضِهِ قَسَمَ الْمَلِكُ عَلَى أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ وَمَلَكَ الْكَبِيرُ الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ
قُسْطَنْطِينُوسُ عَلَى بِلَادِ إِفْرَنْجِيَّةٍ. وَرَبَّ الْآخَرَ الْمُسَمَّى قُسْطَنْطِينُوسَ
عَلَى مِصْرَ وَالشَّامِ وَمَا بَيْنَ النِّهْرَيْنِ وَأَرْمِينِيَّةٍ. وَرَبَّ الصَّغِيرَ الْمُسَمَّى

قُسْطَنْطِينُ عَلَى رُومَةَ وَإِسْبَانِيَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ . ثُمَّ إِنَّ
 قُسْطَنْطِينُوسَ صَارَ إِلَى نِيْقُومُودِيَا فَأَخَذَ جَسَدَ أَبِيهِ فَخَطَّهُ . وَوَضَعَهُ فِي
 صُنْدُوقٍ ذَهَبٍ وَحَمَلَهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَوَضَعَهُ فِي هَيْكَلِ السَّيِّحِينَ . وَفِي
 هَذِهِ السَّنَةِ صَعِدَ سَابُورُ مَلِكُ الْفَرَسِ قَفْزًا نَصِيبِينَ لَمْ يَلْقَهُ وَقَاةُ
 قُسْطَنْطِينُوسِ الْقَاهِرِ فَحَاصَرَهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ مَخَافًا
 وَذَلِكَ بِدُعَاءِ مَارِي يَتَقُوبُ اسْتَقْبَهَا وَمَارِي إِفْرَامَ يَلْمِيزُهُ . فَإِنَّ اللَّهَ
 اسْتَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَرْسَلَ عَلَى جَيْشِ الْفَرَسِ بَقَا وَهَجَا هَزَمَ فِيلَتَهُمْ . ثُمَّ
 إِنَّ سَابُورَ اضْطَهَدَ النَّصَارَى الَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ جِدًّا . لَمَّا
 قُسْطَنْطِينُوسُ وَهُوَ الْآخُ الْكَبِيرُ قُتِلَ فِي حَرْبٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ
 الصَّغِيرِ قُسْطَنْطِينِ صَاحِبِ رُومَةَ وَخَلَفَ أَبْنَى غَالُوسَ وَيُولْيَانُوسَ .
 ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ قُسْطَنْطِينُ صَاحِبُ رُومَةَ . وَأَمَّا الْآخُ الْأَوْسَطُ
 قُسْطَنْطِينُوسُ صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّامِ فَتَنَّبَ غَالُوسَ مَلِكًا عَلَى
 قُسْطَنْطِينِيَّةَ مَكَانَ أَبِيهِ . فَعَصَى عَلَى عَمِّهِ فَسَيَّرَ عَمَّهُ عَلَيْهِ جَيْشًا وَقَتْلَهُ غِيلَةً .
 ثُمَّ مَاتَ أَيْضًا قُسْطَنْطِينُوسُ وَاسْتَقَلَ يُولْيَانُوسُ بِالْمَلِكِ (لَايِي الْهَرَجِ)
 ٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولْيَانُوسُ قِصْرَ (٣٦١) وَتَمَيَّي الْمَارِقَ لِأَنَّهُ خَلَعَ رَبِّيَّةَ
 النَّصْرَانِيَّةَ مِنْ عُنُقِهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ . وَلِذَلِكَ وَبَ الْوَثْنِيُّونَ عَلَى
 النَّصَارَى وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ بَلَاءٌ عَظِيمٌ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَقُتِلَ مِنَ الْمَكَانِينَ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ إِنَّ يُولْيَانُوسَ الْمَلِكَ مَنَعَ النَّصَارَى مِنَ الْإِسْتِنَالِ فِي
 شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ . وَسَلَبَ آيَةَ الْكَنَائِسِ وَالِدُورَةَ وَاسْتَصَفَى

مَالٍ مَنْ لَمْ يُطْعَمْ مِنَ النَّصَارَى فِي أَكْثَلِ ذَبَائِحِ الْأَصْنَامِ وَأَهْلَكَ
 كَثِيرِينَ مِنْهُمْ . ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الْفُرْسِ وَدَخَلَ عَلَى أَقُولُونَ الْحَبْرِ
 الْخَادِمِ لِلصَّمِّ لِيَسْتَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجُو فِي غَزْوِهِ أَمْ لَا . فَحَكَّمَ لَهُ أَنَّهُ يَنْجُو
 أَعْدَاءَهُ عَلَى نَهْرٍ دَجَلَةٍ فَاسْتَكْبَرَ لِذَلِكَ يُوَلِّيَانُوسُ وَصَالَ جِدًّا . وَجَمَعَ
 جُيُوشَهُ وَغَزَا الْفُرْسَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَأَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا نَكَسَ
 رَأْسَهُ سَاجِدًا لِآلِهَةِ الْحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تَاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصُرِعَ فَرَسُهُ
 الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ خَادِمُ الصَّمِّ : إِنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ مَلَكَ هُمْ
 جَلَبُوا عَلَيْكَ هَذِهِ الْبَلَايَا فَانْقَطِعْ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهَاءً عِشْرِينَ أَلْفَ
 رَجُلٍ . وَسَارَ حَتَّى وَافَى الْمَدَائِنَ وَلَمَّا نَشِبَ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُرْسِ
 عَلَى الدَّجَلَةِ صَارَ لَيْسِيرُ فِي صُفُوفٍ مُقَاتِلِيهِ وَيَنْشَطُهُمُ لِلْحَرْبِ . فَرَمَاهُ
 بَعْضُ الْفُرْسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دَائِيَتِهِ . وَبَيْنَمَا هُوَ
 يَتَعَذَّبُ أَخَذَ مِلْءَ خُصَّتِيهِ دَمًا مِنْ دِمِهِ فَرَشَهُ فِي الْجَوِّ نَحْوَ السَّمَاءِ
 وَقَالَ : إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يَا ابْنَ مَرْيَمَ قَرِثْ مَعَ مُلْكِ السَّمَاءِ مُلْكَ الْأَرْضِ

ملك يوفيانس (٣٦٣) وولنطيناس واللس (٣٦٤)

٤٥٩ لَمَّا قُتِلَ يُوَلِّيَانُوسُ الْمَارِقُ بَقِيَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِغَيْرِ مُلْكٍ وَكَانَ مُقَدَّمُ
 الْمَسَاكِرِ يُوْفَيَانُوسَ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَبَايَعُوهُ وَأَشْرَطَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي
 النِّصْرَانِيَّةِ وَجَرَى الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُرْسِ . وَلَمَّا وُلِّيَ زَلُّ الْفُرْسِ
 عَلَى نَصِيبِيِّينَ وَنَقَلَ الرُّومُ الَّذِينَ بِهَا إِلَى أَيْدٍ . وَرَجَعَ إِلَى كُرْسِيِّ
 مَمْلَكَتِهِمْ فَرَدَّ الْأَسَاقِفَةَ إِلَى الْكَنَائِسِ وَرَجَعَ فِيمَنْ رَجَعَ أَمْنًا يَشُوشُ

بَطْرِكُ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَمَانَةً أَهْلُ مَجْمَعِ نَيْقِيَّةَ .
فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَسَّبُوهَا وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِزُوجِهَا ثُمَّ إِنَّ يُوْفْيَا نَسَرَ (٤٥٩)
هَلَاكَ بِالْفَالِجِ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَلِكِهِ . وَافْتَرَقَ الْقُوطُ فِي أَيَّامِهِ
فِرْقَتَيْنِ عَلَى مَذْهَبِي آريُوشَ وَأَمَانَةِ نَيْقِيَّةَ . وَفِي أَيَّامِهِ وَلِيَ دَامَاشُ
بَطْرِكًا بِرُومَةَ . وَلِنَطِينِيَانُ مَلِكٌ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلِيَ وَالْأَنْشُ أَخَاهُ
عَلَى الْمَشْرِقِ وَكَانَ شَرِيكُهُ فِي الْمُلْكِ . ثُمَّ نَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَهْلِ
أَفْرِيقِيَّةَ فَأَجَارَ إِلَيْهِمُ الْبَجَرُ وَحَارَبَهُمْ فَظَفِرَ بِالنَّارِ وَقَتْلَهُ بِقَرَطَاجَنَةَ
وَرَجَعَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَارَبَ الْقُوطُ وَالْأَمَمُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلَاكَ فِي
حُرُوبِهِمْ فَاسْتَقَلَ وَالْأَنْشُ وَخَذَهُ بِالْمُلْكِ . وَكَانَ وَلِنَطِينِيَانُ يَدِينُ
بِالْأَمَانَةِ وَوَالْأَنْشُ يَدِينُ بِمَذْهَبِ آريُوشَ . فَاشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَمَانَةِ
وَقَتْلَهُمْ . وَبَعْدَ وَفَاتِهِ عَقِدَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١) (لَا بَنَ الْعَمِيدِ)

تَمْتَةُ تَارِيخِ الرُّومِ إِلَى ظُهُورِ الْمَلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مَلِكُ أَغْرَاتِيَانُوسَ (٣٧٥) وَتَاوَدَاسِيُوسَ (٣٧٩)

٤٦٠ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَغْرَاتِيَانُوسَ فَيَصْرُ سَنَةً وَاحِدَةً وَأَشْرَكَ مَعَهُ فِي مَلِكِهِ رَجُلًا اسْمُهُ
تَاوَدَاسِيُوسَ وَاسْتَمْلَعَهُ عَلَى الْمَشْرِقِ فَلَمَّا كَثُرَ مِنْهَا ثُمَّ خَارِجِيٌّ عَلَى أَغْرَاتِيَانُوسَ فَقَتَلَهُ .
فَاسْتَقَلَ تَاوَدَاسِيُوسَ بِمَلِكِ الْقِبَايَرَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَرَدَّ جَمِيعَ مَا نَقَاهُ وَالْأَنْشُ قَبْلَهُ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ
إِلَى كُرْسِيِّهِمْ وَخَلَّى كُلَّ وَاحِدٍ مَكَانَهُ . وَفِي السَّنَةِ الْخَامَةِ لِلْمَلِكِ خَرَجَ عَلَى مَكْسِيُوسَ الْخَارِجِيَّ
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جِيُوشًا فَقَتَلَ . وَكَانَ لِتَاوَدَاسِيُوسَ وَلَدَانِ أَرْقَاذِيُوسَ وَأُونُورِيُوسَ . وَلَمَّا كَبُرَا
وَضَعُمَا تَحْتَ تَدْبِيرِ أَرْسَانِيُوسَ . ثُمَّ هَرَبَ أَرْسَانِيُوسَ إِلَى مِصْرَ وَتَرَهَّبَ . فَرَقِبَهُ بِالْمَالِ فَأَتَى
وَأَقَامَ فِي مَنَارَةٍ بِالْحِلِّيلِ الْمُقَطَّمِ حَتَّى مَاتَ . فَبَنَى أَرْقَاذِيُوسَ عَلَى قَبْرِ كَنِيسَةٍ . ثُمَّ وَلَّى تَاوَدَاسِيُوسَ
قَبْلَ وَفَاتِهِ أَرْقَاذِيُوسَ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَأُونُورِيُوسَ عَلَى رُومَةَ (٣٩٥) (لِلْمَسِيحِيِّ)

٤٦١ ملك أرقاذيوس (٣٩٥-٤٠٨) ولتورديوس (٣٩٥-٤٢٣)

أرقاذيوس قيصر ملك ثلاث عشرة سنة وفي أيامه قام يوحنا في الذهب بطرغا على قسطنطينية . ووضع تفسير الإنجيل وهو ابن ثمان وعشرين سنة . ومنع الكهنة من أمور كثيرة من الفساد فحسدوه وجعلوا يطلبون عليه عثرة . ونهى للكهنة أودكسيا امرأة أرقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأة أرملة . ولاخا أبت رشقها في بعض خطبه ذات يوم وشبهها بإيزبل امرأة أخاب ملك إسرائيل التي أخذت كرمها أيضاً من أرملة . فركبت يوماً من الأيام وأخذت معها قسمة وعشرين اسقفاً ممن عادى يوحنا في الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيدونية . وحرموه وأسقطوه من مرتبة بحجة أنه لم يدع النظر في كتب أوردمانيس فاضطرب أهل القسطنطينية لذلك وهبوا بأحراق دار الملك فحافهم الملك وبث إلى في الذهب وردة إلى مرتبة . فلما رجع رفع ثمناً لكان للكهنة بالقرب من الكنيصة . وخطب ذات يوم وبسبب الملكة هيروديا أي الملكة التي قتلت عيسى بن زكرياء للممندان . فغضبت غضباً شديداً ووجهت إلى بعض الأساقفة فجمعتهم إلى قسطنطينية فحرموه ثانياً ونفوه . وكان ذلك في السنة الثامنة لأرقاذيوس . فنفي إلى بلدة بعيدة فتوفي هناك ثمان واربعين سنة من عمره . وثار الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنا في الذهب حتى اتوا جا بعد ثلاث وثلاثين سنة لموته . فدفنوها بقسطنطينية وألقوا اسمه في سفر الحياة مع باقي الآباء القديسين . ثم إن أرقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنة وخلفه ابنه تاودوسيوس ابن ثلثي سنين (لاني الفرج) ،

تاودوسيوس الأصغر (٤٠٨-٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠-٤٥٧)

٤٦٢ وملك من بعده تاودوسيوس الأصغر وفي زمانه كثر الصباري في سلطان العرس وظهرت الصمرانية حداً على يدي مروتا أسقف مينا فارقين الذي أرسل من تاودوسيوس الصغير إلى القرس . وفي السنة العاشرة لتاودوسيوس الصغير عرف شععون صاحب العمود بأنطاكيا وكان يظهر الآيات والمعجائب . وكان في هذا الزمان مار إسماعيل تلميذ مار إفرام صاحب الليام المنظومة . وفي هذا الزمان أتت أصحاب الكهف من رقدهم التي رقدوا على عهد ديقايوس الملك . فخرج تاودوسيوس الملك مع أساقفة وقسيسين وطارقة فخر الهم وكلموم فلما انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وانتفض لهذه قوم أفريقية وخالفه إلى طامة القيصرية فحدث بأفريقية فتنة لذلك . ثم زحف القوط إلى رومة وقرعها أنوريوس فحاربوها ودخلوها غزوة واستباحوها ثلاثاً وخمسين عاماً عن أموال الكنائس . ثم صالحوا الروم على أن يكون لهم الأندلس فاقبلوا إليها وتركوا رومة . وفي السابعة عشرة من ملك تاودوسيوس قدم نستوريس بطرغا بالقسطنطينية فقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها . وكان يقول بالحداد المشبه دون نفس الكلمة . فبانت مقالاته إلى كيرلوس بطرغا الإسكندرية فخطب

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثم اجتمعوا بمدينة أفسس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونصوه (٤٣١) . وأخذ بمقاتلة نصارى الجزيرة والموصل الى الفرات ثم العراق وقرس الى المشرق . ثم ملك مرقيان بعده ست سنين وترجع أخت تاودوسيوس الصغير . وكان في أيامه المجمع الرابع بملقيدونية . وأنه سكان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندرية وما أحدث من البدعة في الامة . فقالوا باللبستين والأقنوم الواحد واجمعوا على نفيه . واقترقت النصارى الى ملكية . وهم أهل الأمانة ففسبوا الى مرقيان قيصر الملك . والى يسقوية وهم أهل مذهب ديسقرس . وانما دُعوا بعلقة نسبة الى بعض تلامذة ديسقرس اسمه يعقوب كان يطوف البلاد داعياً الى مقالة ديسقرس . والى نسطورية وهم نصارى المشرق . ثم ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٤٥٧) ثم لاونطوس (٤٧٥) ثم زنون (٤٧٦) وكان يعقوبياً

ملك انسطاس (٤٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٤٦٣ أنسطاس قيصر ملك سبعا وعشرين سنة . وفي أول ملكه قتل كثيرين من صبيان المكتب لأنهم مجهوه . واجاز البربر من المغرب الى رومة وغلّبوا عليها . وفي السنة الثالثة له بُنيت دارا التي فوق نصيبين . ثم إن أنسطاس الملك أراد أن يرفع في البسعة قول المؤمنين في صلواتهم : أنك صليت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينية كلام وأخذوا الحجارة ليرجموه . فما قاله أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجه عن رأسه قائلاً : اني اتيت الى أمركم فيما تريدون . فكف الشعب عنه . ثم ملك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصله من رومة . هذا أصل جمع البيع ورد كل من نفاه الملوك قبله . وفي السنة السابعة للملك اقتتل الروم والفرس على شاطئ الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط فتح كثير وحليد وأفسد عامة الأنهار مع الكروم . وبعد سنة قلت الأمطار وعزّت الغلات ونقص الماء في الينابيع ثم تبع ذلك حر قوي ووباء شديد ودام ست سنين . وفي السنة التاسعة من ملكه أشرّك معه في الملك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أخته وبعد ثلاثة اشهر مات وفي هذا الوقت فرا كسرى ملك الفرس مدينة الرها وقتل فيها خلقاً كثيراً . ثم ملك بعده يوسطينيانس قيصر ثمانين وثلاثين سنة . وفي ثالثة ملكه غزا الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها الثانية من ملك يوسطينيانس ومعه المنذر ملك العرب فبلغ الرها وغلّب الروم وغرق من الفريقيين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسبواهم ثم وقع الصلح بينهما . وفي خمس وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يُتخذ عيد الميلاد في خامس وعشرين من كانون الأول وعيد الدنح لستة أيام من كانون الأخير . فامشوا امر خلا الأرض فانهم داوموا على تسيّد العبد في يوم واحد . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فامر بان يُوسّع فيها فبُنيّت كما هي لهذا العهد . وفي عهده كان المجمع الخامس بقسطنطينية (٥٥٣)

ثم ملك بعده يوستينوس قيصر (٤٦٥) ثم طياروس (٥٧٨)

موريتي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ - ٦٤١)

٤٦٤ موريتي قيصر ملك عشرين سنة . وكان حسن البيرة سهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يجيء طعاماً للفقراء والمساكين ستين مرة ويقوم هو وزوجته من ملكها فيتوليان خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريتي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفس . ولعمري انتفض على هرمز كسرى قريبه جرم وخلفه واستولى على ملكه وقتله . وصار ابنه أبرويز إلى موريتي قيصر صديقاً . فبث معه الساكر ورد أبرويز إلى ملكه وقتل جرم الخارج عليه . وبث إليه بالعدايا والتحف كما فعل أوه من قبله مع القياصرة وطلب أبرويز من موريتي قيصر ابنته مريم فزوجها إياها وبث معها من الجهاز والأمتة والأقشة ما يضيق عنه الحصر . ثم وثب على موريتي بعض مالهيكو بمداخلة قريبه الطريق فوقاس فدسسه عليه فقتله وملك على الروم وثبى قيصر . وقتل أولاد موريتي . وبلغ أبرويز كسرى ماجرى على موريتي وأولاده . فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثار مهربه وبث عساكره مع مرزبان خزرويه إلى القدس وعهد إليه بقتل أهلها وخراب البلد . وجاء بنفسه في عساكر الفرس إلى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها . وأما خزرويه المرزبان فسار إلى الشام وخرّب البلاد . واجتمع يهود طبرية والمطبل وناصره وصور وأتوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب ومادوا إلى كسرى بالسبي وفيهم زخياً بطرك القدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية ضايقته وضيق عليها اجتمع البطارقة بمالوقيا وبشوا السفن مشحونة بالأنكوات مع هرقل أحد بطارقة الروم فخرجوا به ومالوا إليه ودخلهم في الملك . وثاروا على فوقاس سبب هذه الفتنة وقتلوه . وملكوا هرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً إلى بلاده . وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة وكان ملكه أول سنة من الهجرة . وفي سابعة الهجرة بث عساكر الفرس ومقتحمهم مرزبان شيريار قدوخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ثم تبدل له . فكتب إلى الرازية معه بالقبض عليه وأتفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبث به إلى شيريار فانتفض ومن معه وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلاث مائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من التركان وصار إلى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدائنهم التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرمينية . ثم سار إلى الموصل فلقب جموع الفرس وقادهم المرزبان فانضموا . وقتل وأجفل أبرويز من المداخن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوساً فأخرجته شيرلانداً أصلياً وملكوه وعقدوا مع هرقل الصلح واسترح الصليب (لاين المسيد)

تم بحمد الله
HYDER

وجه	وجه
٤٤	٣
٤٦	٣
٥٩	٤
٦٢	٥
٦٧	٦
٦٧	٧
٦٩	٨
٧٣	٩
٧٤	٩
٧٥	١٠
	١١
	١٣
	١٥
	١٥
	١٧
	١٧
	١٧
	١٧
	١٨
	١٨
	٢٢
	٢٤
	٣٠
	٣٣
	٣٩
	٤٠
	٤٣
المراقي	الباب الأول في التدبير
الباب الثالث في الحكم	في الاخلاص لله تعالى والتناء عليه
نخبة من ارجوزة ابن مكناس	تزيين الخالق تعالى
حكم لبد الطيف البغدادي	عظمة الخالق
الباب الرابع في الامثال السائرة	رحمة الله
من ثمر اللالي لابي بن أبي طالب	محبة الخالق
نبذة من كتاب غرر الحكم	حمد الله
نخبة امثال انتقاها الاشعري	الرجاء بالله والتوكل عليه
نخبة امثال اوردها جاء الدين العاملي	الدعاء الى الله
ايات تستعملها العرب لشعراء مختلفين	العفو من الله
الباب الخامس في الامثال عن السنة	اغراء بابتداء الدين
الحيوانات	ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال
الكلب والديك	المجانب والاعرابي
الاسد والعلب والذئب النام	الصلاة
رجل وقبرة	لذات الجنة
الكلب والظيل	الباب الثاني في الزهد
الصفور والفتح	حد الزهد
الغراب والسنور والسر	ذلة الدنيا
العابد والدرثان	الراهب والمسافر
احمى ومقعد	زوال الدنيا
العابد والكلب	خطبة ابي الدرداء الى اهل الشام
تاجر ومستودع عنده	نوائب الدهر
يراعة وقريه	ذكر الموت
شريكان	في الخوف
رجل وابن عرس	في التوبة
	دعاء

وجـ	وجـ
١٣٧	فيلة وارنب
١٣٨	أرنب واسد
١٤٠	الباب السادس في الفضائل والنقائص ٩٦
١٤١	الكتاب والقلم الشعر ٩٦
١٤٢	الباب الثامن في اللطائف ١٠٠
١٤٣	الاعرابي والسنور ١٠٣
١٤٥	دعوة أكنم بن صيفي لأولاده ١٠٤
١٤٦	الاعرابي الشاعر والحليفة ١٠٥
١٤٧	ستيق وبطيخة ١٠٩
١٤٨	أبرهم الموصلي عند البرامكة ١١٠
١٤٨	الروم يموت أحد الخلفاء ١١١
١٤٩	الرشيد والذكي ١١٤
١٥٠	الملك وسائق الحمار ١١٥
١٥١	عمر بن الخطاب والصمصامة ١١٧
١٥٢	أزهر وأبو جعفر المنصور ١١٨
١٥٣	المستمطي بالحلم ١١٩
١٥٤	السائل وعبيد الله بن عباس ١٢٠
١٥٧	الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة ١٢٢
١٦٠	وطد عرقوب ١٢٣
١٦٣	عين ابصرت بقلمها ١٢٥
١٦٤	الفلاح الحكيم
١٦٤	عفو من بن زائدة عن أسراه
١٦٥	المتني والكتاب
١٦٧	ذكاء المأمون
١٦٨	عبد الملك بن مروان والحجاج
١٧٠	ان للما خالفا
١٧١	الباب التاسع في الحكايات ١٣٦
	الباب السابع في الذكاء والادب ١٣٧
	المقل ١٣٧
	العلم وشرفه ١٣٨
	شرائط العلم آفات العلم ١٣٠
	الادب ١٣٣
	تأديب الصغير ١٣٥
	ما ينبغي للوالد في تربية ابنه ١٣٦

وجه	وجه	يزرجمهر في حبسه
٢٠٦	١٧٢	الدعو الى الوليسة والسائل
٢٠٧	١٧٢	علي بن ابي رافع واثنة علي
٢٠٨	١٧٣	الحلاوة المدخرة
٢٠٩	١٧٤	جرام جور والراعي
٢١٠	١٧٥	الملك المتعظ بمجون
٢١١	١٧٥	الشاب السارق
٢١٢	١٧٦	الأمون والعقيد
٢١٤	١٧٧	الادب يرفع بالخال
٢١٤	١٧٨	عدالة انوشروان في بناءة الإيوان
٢١٥	١٨٠	الغلام والتعب
٢١٧	١٨٠	الثوب المسج
٢١٧	١٨١	كسرى انوشروان والمؤدب
٢٢٠	١٨٢	الحادي والخارجي
٢٢٠	١٨٣	النصور وابوعبد الله
٢٢١	١٨٤	القاضي والصراني الحسن
٢٢٢	١٨٦	هجرة ممن لرجل استغاث به
٢٢٤	١٨٧	ملك الفخوس وصاحب الخلع
٢٢٥	١٨٨	الرشيد والدمشقي
٢٢٦	١٨٨	استقامة رجل أُنْتُكِي عليه ظُلْمًا
٢٢٦	١٩٥	غيلان بن سلة عند كسرى
٢٢٨	١٩٧	للأمون وراي البرامكة
٢٢٨	١٩٨	
٢٣١	٢٠٣	الباب العاشر في المكاهات
٢٣٣	٢٠٣	المائد والمريض
٢٣٥	٢٠٣	الطبخ المفضل
٢٣٦	٢٠٤	الاعرابي وجرو الذئب
٢٣٧	٢٠٥	ابو دلالة وابن سليمان في الصيد
٢٣٧	٢٠٥	
وجه	وجه	
٢٠٦	١٧٢	العتي والحمار
٢٠٧	١٧٢	ابو دلالة في بيت الدجاج
٢٠٨	١٧٣	الادب او الطبع اغلب على الرجل
٢٠٩	١٧٤	المستخبر عن وفاة ابيه
٢١٠	١٧٥	الحب الانياس البقرة الفارقة
٢١١	١٧٥	السائل والنجيل
٢١٢	١٧٦	الاصبع المقطوعة السقط المقفل
٢١٤	١٧٧	الحمار المجوس البرهان القاطع
٢١٤	١٧٨	المتظلم من خصمه
٢١٥	١٨٠	سليمان بن عبد الملك والاعرابي
٢١٧	١٨٠	الباهلي والاعرابي
٢١٧	١٨١	ابان بن عثمان والاعرابي
٢٢٠	١٨٢	الباب الحادي عشر في النوادر
٢٢٠	١٨٣	وضع الشطرنج
٢٢١	١٨٣	المريض والخصفاء الثمان وسنار
٢٢٢	١٨٤	الوزير الحاسد
٢٢٤	١٨٦	كتاب جاد بنفسه
٢٢٥	١٨٧	ابراهيم الخواص والسبع
٢٢٦	١٨٨	المطيب اسم الله الدواء الشافي
٢٢٦	١٩٥	ذكر الامم التي دخلت في دين التصاري
٢٢٨	١٩٧	ذكر ارام الضود وعوائدهم
٢٣١	١٩٨	نبذة من عوائد السودان
٢٣٣	٢٠٣	فائدة فيما حُصِّت به كل بلدة
٢٣٥	٢٠٣	العقيق السارق
٢٣٦	٢٠٣	قصة اصحاب الكهف
٢٣٧	٢٠٤	الباب الثاني عشر في الاسفار
٢٣٧	٢٠٥	مدح السفر

وجه	وجه	ذم السفر
٢٨٣ حبة	٢٥٠	سفر ابن بطوطة الى القسطنطينية
٢٨٥ السحاب عقرب قنفذ	٢٥١	الباب الثالث عشر في عجائب المخلوقات
٢٨٦ نخل	٢٦٤	في سكان السماوات ومم للملائكة
٢٨٧ السمك الدلفين	٢٦٥	في حقيقة الناصر وطباعها وترتيبها
٢٨٨ الباب الرابع عشر في التاريخ	٢٦٥	فصل في فوائد الجبال وعجائبها
٢٨٨ ذكر دولة الكلدانيين	٢٦٦	المعدنيات
٢٨٩ ذكر الفرس ودولهم	٢٦٧	الذهب
٢٩١ نظر في دولة اليونانيين وفلاسفهم	٢٦٧	الحديد
٢٩٣ ملك اسكندر ذي القرنين	٢٦٧	التنجير
٢٩٤ ذكر الرومانيين ومبادي دولتهم	٢٦٩	البلسان
٢٩٥ الخبر عن تغرب قرطاجنة	٢٧٠	الحبيزة
٢٩٦ حال اللطيين الى وفاة اوغسطس	٢٧١	العبة
٢٩٧ دولة القيصرية بني اغسطس	٢٧٢	القلل
٢٩٩ دولة فلاويوس اسباسيانوس وبنيه	٢٧٣	التجوم
٣٠١ دولة الاطونيين	٢٧٣	الفتاس
٣٠٣ دولة القيصرية السوريين	٢٧٥	جنس الحيوان
٣٠٤ الحكم الفوضوي	٢٧٥	الانسان
٣٠٥ القيصرية الالبيين الى قسطنطين الملك	٢٧٦	العم
٣٠٧ ملك قسطنطين	٢٧٧	قر
٣٠٨ مجمع نيقية	٢٧٨	الجاموس
٣١٠ موت قسطنطين وملك بنيه	٢٧٨	ظلي للملك
٣١٢ ملك يوقيانس وولطيانس والانس	٢٧٩	السياح
٣١٣ تسعة تاريخ الروم	٢٨١	فرس ابن آوى الخنزير
٣١٣ ملك اغراتيانوس وثاوداسيوس	٢٨١	الذئب
٣١٤ ملك ارقاذيوس واتوديوس	٢٨١	النسر
٣١٤ تاودوسيوس ومريان	٢٨٢	الطيور
٣١٥ انطاس ويوسطينوس ويوسطينيانس	٢٨٣	ابو يراقتس
٣١٦ موريقي وفوقاس ومورقل		الديك
		القبرة
		الحوام والحشرات

